

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

العلاقات المصرية- الرافدية بين عامي ١٥٥٠- ١٢٠٠ ق.م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الشرق القديم

إعداد الطالبة

ريهام رياض مسكه

إشراف

د. لينا محسن

٢٠١٧م/١٤٣٨هـ

فهرس المحتويات

الموضوع *رقم الصفحة*

ملخص الموضوع

يتناول هذا البحث مرحلة مهمة من مراحل تاريخ الشرق الأدنى القديم عامة ومصر القديمة خاصة. حيث استطاعت بالرغم من تعرضها للاحتلال من قبل الهكسوس من طردهم، لتسلك سياسة التوسع خارج مصر ولتثبت وجودها كقوة عظمى في المنطقة فكانت سورية وجهتها، وكان لذلك أثر كبير عليها لدخولها في علاقات مع دول بلاد الرافدين والدولة الحثية والدولة الحورية الميتانية، فاستغل الحثيون في البداية انشغال المصريين بالتخلص من الهكسوس من أجل احتلال الشمال السوري والوصول إلى عمق بلاد الرافدين والتحالف مع الكاشيين الذين آلت إليهم مقاليد الحكم في بابل. بدأ بعض التحول يطرأ على موازين القوى مع بداية القرن الخامس عشر ق. م إذ تراجعت القوة الحثية بشكل كبير بسبب الصراع على الحكم، مما أدى إلى ظهور الدولة الحورية الميتانية، التي توسعت بقوة في الشمال السوري لتدخل مع مصر في منافسة على سورية، واستمرت هذه المواجهة إلا أن حملات تحوتمس الثالث السبع عشر على سورية، حطمت طموحاتها، واستغلت ميتاني وفاته لاستكمال مشاريعها في المنطقة لكن وصول امنحوتب الثاني إلى الحكم جعلت الأوضاع تسلك منحنى آخر وهو المصالحة الذي اعتمده تحوتمس الرابع فبوصوله إلى الحكم الذي ترافق مع ظهور الخطر الحثي أدى إلى تغير مسار السياسة الخارجية المصرية باتباعه نهج المصالحة مع ميتاني وذلك للتصدي للخطر الحثي. واستمرت العلاقات في عهد امنحوتب الثالث حيث وثق علاقاته مع ميتاني ودول بلاد الرافدين من خلال المصاهرات وتبادل الهدايا والوفود، مما له انعكاس كبير على مصر وغناها الاقتصادي، لكن إهماله لشؤون البلاد الداخلية والخارجية انعكس على النفوذ المصري في سورية إذ أصبح اسمياً فقط. واستمر الوضع سوءاً في عهد امنحوتب الرابع(أخناتون)الذي حاول السيطرة على مقاليد الأمور واستمرار العلاقات مع بلاد الرافدين ومنها آشور وبابل وميتاني لكنها لم تكن بالقوة نفسها كأيام والده، لأن أخناتون انصرف عن ذلك إلى الدعوة إلى دين جديد، في محاولة منه لتوحيد مصر مع دول المجاورة، لكنه لم يستطع تحقيق ذلك، فسقطت الدولة الحورية أمام هجمات الحثيين واستغل الآشوريون سقوط الحوريين من أجل قيام الدولة الآشورية الوسطى. وسيطر الحثيون على سورية لضعف النفوذ المصري فيها وسقوط الحوريين، للسيطرة من جديد على شمال سورية وبلاد الرافدين مما أدى إلى دخولهم في صراع مع مصر بلغ ذروته في عهد رعمسيس الثاني الذي خاض معركة قادش ضد

الحثيين التي انتهت بتوقيع معاهدة تعززت بعقد تحالف ومن ثم زواج بين البيتين الحثي والمصري واستمرت العلاقات وطيدة بينهما إلى أن سقطت الدولة الحثية على يد شعوب البحر.

المقدمة

شكل تاريخ الشرق القديم مادة ضبابية لكثير من الباحثين بسبب فقدان قسم كبير منه عبر العصور، من الألواح الفخارية التي تكسرت أو برديات ضاعت معها الحقيقة، لكن وجود الشواهد التاريخية المكتوبة المتوزعة بين آثار مادية وألواح فخارية، قدمت فائدة كبيرة لكشف الكثير من غموضه، تعتبر مصر من أهم (مناطق الشرق الأدنى القديم) حيث ساهمت جغرافية مصر في تسهيل اتصالها مع دول المشرق مما أدى إلى تفاعل حضاري بين المنطقتين، وشكل عامل جذب لكثير من الباحثين والمهتمين للخوض في دراسته ومعرفة خفاياه وأسراره.

جاء اكتشاف رسائل العمارنة لينيط اللثام عما كان مجهولاً من تاريخ البلدين، حيث تبين الكثير من العلاقات التي كانت سائدة في ذلك الوقت والتي ربطت مصر مع دول الشرق القديم وبخاصة بلاد الرافدين. فقد حرصت على إقامة علاقات مع مصر. وقد اختلفت هذه العلاقات بحسب الظروف. فنجدها تارة عدائية وتارة أخرى تبادل الهدايا والوفود فيما بينها.

شكلت منطقة سورية القديمة مكاناً تتصارع عليه القوى الكبرى في الشرق القديم، وذلك بسبب موقعها المتميز ومواردها الكثيرة، لذلك فقد سعى كل من القوى المتواجدة آنذاك للسيطرة على هذه البقعة الغنية. حيث ساهم بإضعافها انشغال وابتعاد مدنها عن الوحدة السياسية فيما بينها، لتسهيل سقوطها أمام القوى الأخرى التي عرفت الوحدة السياسية. وكانت أهمها مصر ودول بلاد الرافدين. بل أن القوى زحفت نحوها بغرض السيطرة عليها قاصدة إياها، بغية السيطرة على سورية القديمة وثرواتها. مما جعلهما تتصادمان فيما بينهما عليها فمصر اعتبرت سورية من مناطق نفوذها. وسأعمد للكشف عن تنوع وتباين العلاقات بين هذه القوى خلال البحث وما كان لها من دور في الصراع مع مصر، ثم كيف يختفي هذا الصراع لتنشأ علاقات سياسية جديدة تصبح دبلوماسية. فتعقد التحالف مع مصر.

وتم تقسيم البحث إلى أربعة فصول، تناول البحث في الفصل الأول الأوضاع العامة في مصر وبلاد الرافدين، حيث دخلت مصر في فوضى مع مجيء الهكسوس واحتلالهم البلاد ثم العمل على التخلص منهم وبدء عمليات التوسع خارج مصر فاتجهوا إلى سورية لتوسيع النفوذ من خلال الحملات التي قام بها ملوك الأسرة الثامنة عشر. إما في بلاد الرافدين فقد كانت تقوم فيها الدولة البابلية الأولى التي بلغت أوج ازدهارها ونفوذها في عهد حمورابي، ثم سقوطها على يد الحثيين ليتولى الحكم فيها الكاشيين الذين سيطروا على بابل وأسسوا الدولة البابلية الثالثة

(الكاشية Kassite)، إما من الناحية الخارجية فقد تحدثت فيه عن الحثيين وتأسيس دولتهم في أواسط آسيا الصغرى ومحاولتها التوسع إلى الشمال السوري واحتلال حلب ثم التوجه إلى بابل.

ويتحدث الفصل الثاني عن الدولة الحورية الميتانية وعن أصولها الأولى وتأسيس دولتهم التي نشأت في شمال بلاد الرافدين ومدت نفوذها إلى سورية مما شكل سبباً لدخول الصراع على المنطقة مع القوة الحثية انتهى بتراجع الحثيين نتيجة ما ألم بهم من صراعات داخلية وخارجية وسيطرة الميتانيين على الشمال السوري، مما جعلها تدخل في صراع مع مصر التي تعتبر سورية من مناطق نفوذها، في هذه الفترة تعود الدولة الحثية لتظهر كقوى على مسرح الأحداث مما يدفع المصريين والميتانيين إلى إنهاء الصراع بينهما بتوقيع صلح ويتوج بزواج تحوتمس الرابع من ابنة الملك الميتاني أرتاتاما، وتستمر العلاقات في عهد ابنه امنحوتب الثالث الذي عمل توسيع علاقاته مع بلاد الرافدين حيث تبادل الوفود والرسل بينهما كما عقد مصاهرات من خلال زواجه من بنات ملوك ميتاني وبابل، كذلك ألقينا الضوء على أهمية الذهب الذي شكل أهمية كبرى لدول بلاد الرافدين بشكل خاص لاستخدامه في تشييد مبانيهم، وكذلك انعكاسات سياسته ونتائجها.

أما فيما يتعلق بالفصل الثالث فقد تم تخصيصه لأمنحوتب الرابع (أخناتون) الذي بقي محافظاً على علاقته مع بلاد الرافدين ومنها آشور وبابل لكنها لم تكن بالقوة نفسها أيام والده امنحوتب الثالث، ذلك لأن أخناتون انصرف عن ذلك إلى الدعوة إلى دين جديد، فقد حاول أمنحوتب الرابع أن يسلك طريقاً مغايراً لأسلافه وهو طريق السلم بدلاً من الحرب في محاولة منه لتوحيد مصر مع دول المجاورة من خلال دعوته لدين جديد، متمثل بـ الإله آتون بدلاً من آمون وأسباب قيامه بهذه الثورة الدينية وكذلك نتائج هذه السياسة وانعكاساتها على سورية، واستغلال الحثيين للفراغ الذي حل فيها في محاولة منهم لبسط سيطرتهم عليها من جديد.

ويتطرق الفصل الرابع إلى سقوط الدولة الحورية الميتانية بسبب الصراعات على العرش وهجمات الحثيين وضغوط الآشوريين. وكذلك قيام الدولة الآشورية الوسطى التي كانت قد بقيت فترة طويلة تحت النفوذ الحوري فاستطاعت التخلص من السيطرة الحورية وبلغت أوج اتساعها في عهد آشور أوباليط الأول الذي وسع نفوذه وأقام علاقات مع مصر، وكذلك الصراع الحثي المصري الذي بلغ أوجه في عهد الأسرة التاسعة عشرة في مصر. فقد حاول الحثيون استغلال فرصة القضاء على الحوريين ليحلوا محلهم في السيطرة على شمال سورية وبلاد الرافدين، فشكل ذلك

تحدياً لمصر، واستمر الصراع بينهما إلى أن بلغ ذروته في عهد رعمسيس الثاني الذي خاض معركة قادش ضد الحثيين والتي انتهت بتوقيع معاهدة بينما تعززت بعقد تحالف ومن ثم زواج بين البيتين الحثي والمصري واستمرت العلاقات وطيدة بينهما إلى أن سقطت الدولة الحثية على يد شعوب البحر.

أرجو أن أكون قد وفقت في بحثي هذا بالوصول للإحاطة بالموضوع، وكشف ملابساته وغموضه. فأكون قد قمت بتقديمه بأفضل صورة، فإن أصبت فبتوفيق من الله وأن أخطأت فلأن الكمال لله وحده.

الفصل الأول

أوضاع مصر وبلاد الرافدين بين عامي ١٥٥٠- ١٥٩٥ ق.م

أولاً: أوضاع مصر قبل عام ١٥٥٠ ق.م

أوضاع مصر الداخلية

١- وضع مصر الداخلي قبل غزو الهكسوس

٢- الهكسوس في مصر

أ- أصل الهكسوس

ب- غزو الهكسوس لمصر

جـ- حكم الهكسوس في مصر

٣- صراع الهكسوس مع المصريين وتحرير مصر

أوضاع مصر الخارجية

التوسع المصري في سورية

ثانياً : الأوضاع العامة في بلاد الرافدين

الأوضاع الداخلية

١- الدولة البابلية الأولى

٢- الكاشيون

٣- توسع الكاشيين في بلاد الرافدين

٣- العلاقة مع العيلاميين نهاية السلالة الكاشية

الأوضاع الخارجية

١- الحثيون

أ- أصل الحثيين

ب- تأسيس الدولة الحثية

جـ- المملكة الحثية القديمة

٢ – التوسع الحثي في سورية والصراع مع الدولة الحورية الميتانية

الفصل الأول: أوضاع مصر وبلاد الرافدين بين عامي ١٥٥٠–١٥٩٥ ق.م

أولاً: أوضاع مصر قبل عام ١٥٥٠ ق.م

أوضاع مصر الداخلية

١ – وضع مصر الداخلي قبل غزو الهكسوس

عانت مصر من تفكك وانقسام قبل دخول الهكسوس تمثل بضعف عسكري واقتصادي سهل على الهكسوس دخول مصر، فنجد أن الأسرة الثالثة عشرة حكمت في جنوب البلاد، وفي الوقت نفسه حكمت الأسرة الرابعة عشرة في شمالها . أصبحت السلطة الفعلية مع[1] نهاية الأسرة الثالثة عشرة بيد الوزراء الذين تحكموا بالملوك، حيث استطاع الوزراء السيطرة على مصر مع حرصهم، على الاحتفاظ بالملك، ولكن بسلبه كل السلطة. كما وبقيت العاصمة نفسها (اتثيت تاوي). وحسب مانيتون فقد نجح بعض أصحاب النفوذ بالمكان المعروف باسم (سخا)*من تأسيس الأسرة الرابعة عشرة التي عاصرت الأسرة الثالثة عشرة . وبدأ حكم هذه الأسرة في[2] الوقت الذي كان فيه حكام الأسرة الثالثة عشرة يحكمون بعض أجزاء من البلاد. الأمر الذي أدى بدوره إلى سوء أحوال حكام الأقاليم المصرية بنزعتهم الانفصالية، فبعد أن كانوا يدينون بالولاء والطاعة للجالس على عرش مصر مالوا إلى الاستقلال بمقاطعتهم ، وبلغ من شدة هذه الفوضى[3] أن الحكام كان يقتل بعضهم البعض الآخر، ثم يحل الواحد منهم محل الآخر بسرعة بالغة.

---

١ – ريوردا (كارل)، التاريخ المصور لمصر القديمة، ترجمة ابتسام محمد عبد المجيد ، ط١ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ص ٤٠ .

*– سخا: تقع بالقرب من كفر الشيخ، وكانت تسمى في المصرية خاسوت وفي اليونانية إكسويس وكانت واحدة من مدن الإقليم السادس من أقاليم الدلتا، انظر : مهران (محمد بيومي)، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ١ ، دارة المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٢٩ – ٣٠.

٢ – سعد الله (محمد علي)، تاريخ مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠١م، ص ١٤١.

٣ – عبد العزيز (عادل السيد)، مصر تواجه أول احتلال أجنبي لها في التاريخ، مكتبة الإسكندرية، ص ٤.

وتذكر " بردية تورين"*حالتين أو ثلاث حالات لم يكن فيها بالبلاد ملك، وفي ظل مثل هذه الأحوال والظروف لا يمكن تصور وجود حكومة قوية قادرة على حماية الحدود عند مهاجمتها. في هذا الوقت تمكن الهكسوس من استغلال حالة الفوضى هذه وتكوين الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة. وقاموا بهجومهم واحتلالهم مصر.

٢- الهكسوس في مصر

عانت في هذه الفترة مصر ولأول مرة في تاريخها القديم، مرارة الانقسام والاحتلال الأجنبي، وقبل أن نتحدث عن هذه الحقبة التاريخية يجدر بنا أن نستعرض معا أحوال بلاد جنوب شرقي البحر المتوسط حيث كانت تعانى أيضا من عدم الاستقرار والغزو الأجنبي.

أ- أصل الهكسوس

حدثت تغيرات في الشرق أدت إلى عدم الاستقرار ونزوح بشري من منطقة المشرق باتجاه مصر، ذلك منذ أن حل الجفاف في منطقة الشرق الأدنى القديم، وطمعاً للاستقرار في مصر والتمتع بخيراتها، فقد تمكنت الشعوب الهندو أوروبية القادمة من القوقاز (الحيثيون* والميتانيون *) من إرغام الشعوب الأصلية لبلاد الأناضول وسوريا على مغادرة البلاد والهجرة إلى الجنوب وهكذا احتل الهكسوس منطقة الدلتا التي كانت تفتقر إلى تحصينات وذلك بسبب الانقسامات التي سادت البلاد آنذاك والتي أثّرت على الأمن في البلاد [١].

* – بردية تورين : كتبت بالهيروطيقية في عهد الملك رعمسيس الثاني وهي تحتوي على قائمة كاملة للملوك مع عدد حكمهم وهي عثر عليها في البر الغربي في طيبة وأصبحت بعد ذلك ملكاً لمتحف تورين منذ عام ١٨٢٠ وهي تمدنا بمعلومات عن الحكام من أقدم العصور حتى الأسرة السابعة عشرة وتضم أسماء بعض ملوك الهكسوس، انظر: علي(رمضان عبده)، تاريخ مصر القديم، جـ ١، دار نهضة الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٢١ – ٢٢٢.

* – الحثيون : وفدوا إلى هضبة الأناضول في بداية الألف الثاني ق.م من موطنهم الأصلي في أواسط آسيا إلى الشرق من البحر الأسود، وهم فرع من فروع الشعوب الهندو أوربية، وأصبحوا في القرون الأخيرة من الألف الثاني ق.م قوة مدت نفوذها على ما جاورها من البلاد، انظر: فخري (أحمد)، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الانغلو الأمريكية، ط ٢، القاهرة، ص ٨٧ .

* – الميتانيون: من الشعوب الهندو أوربية التي هاجرت إلى منطقة الجزيرة السورية بعد مطلع الألف الثانية ق.م واستطاعت القبائل التي كانت تتألف منها أن تتوحد بمنتصف الألف الثانية ق.م وتتخذ من أوركيش (رأس العين) عاصمة لها، انظر: أحمد (محمود عبد الحميد)، تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، جامعة دمشق، ١٩٩٦ م ، ص ٢٠٠.

١- ريوردا (كارل)، ص ٤٠.

يعرّف "فيليب حتي" الهكسوس هم خليط قبلي من "الآمورين والكنعانيين "، ومعهم بعض الآريين " والحوريين والميتانيين والحيثيين [١] .

كما يبين (ادزارد) على أن الأصول الأولى للهكسوس هي خليط من الشعوب على رأسهم قيادة كنعانية [٢] ، وهذا الرأي يتفق عليه معظم الباحثين.

يرجع الأصل اللغوي لكلمة " هكسوس " من كلمة مصرية قديمة هي (حقا – خاسوت) و تعني "حكام البلاد الأجنبية " والتسمية ترجع لعصر سابق لعهد "الهكسوس" وبالتحديد عصر الأسرة الثانية عشرة حيث أطلقه المصريون على بعض الآسيويين الذين قدموا إلى مصر في هذه الفترة بقصد الزيارة .[٣]

ب- غزو الهكسوس لمصر

لم يكن استيلاء الهكسوس على مصر دفعة واحدة وإنما تدريجياً وعلى مراحل فقد وطدوا أقدامهم في تل الصحابة عند مخرج وادي الطميلات *وفي بوبابستس* واستغرق هذا الزحف قرابة خمسين عاماً لينتهي عام ١٦٧٥ ق.م [٤] . ويذكر الملك سنوسرت الثالث أنه هاجم مناطق الشمال إثر غارات على الحدود المصرية من قبل جموع الهكسوس في فترات مبكرة [٥] ، وهذا ما يؤكده باحثون آخرون على أن الهجرة التي قامت بها المجموعات التي كونت تحالف الهكسوس لم تبدأ بالهجوم المباشر على مصر،

١- حتي (فيليب)، لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٥٩م ، ص ٩٠.

٢ – ادزارد (أوتو)، الحضارات المبكرة موجز تاريخ السياسي والحضاري لبلاد الرافدين ووادي النيل من أقدم العصور وحتى الألف الثانية قبل الميلاد، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٦٧، ص ٣٩ .

٣ – شتيندورف (ك . سيل)، عندما حكمت مصر الشرق، ترجمة محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٠م، ص٣٩ .

*- وادي الطميلات : وهو جزء من درب وادي الحمامات الذي يخترق الصحراء الشرقية ويبدأ من مدينة قفط وحتى مدينة القصير على ساحل البحر الأحمر وطوله ١٨٣ كم وترجع شهرته إلى انه كان طريقاً للتجارة ،كما كان الطريق الموصل إلى العديد من المناجم القديمة، انظر مهران (محمد بيومي)، جـ ١، ص ١٩٦.

*- بوبابستس : يقع جنوب إقليم (أيم – بحو) وكانا يكونا إقليماً واحداً ثم انفصلا، وعاصمته تدعى (بر – باستت) ويسمى الآن باسم" تل بسطة " وكانت تقع على الفرع البيلوزي للنيل ومركز للاتصال بين مدن شرق الدلتا، انظر مهران (محمد بيومي)، جـ ١، ص ١٤٤.

٤ – جريمال (نيقولا)، تاريخ مصر القديمة ، ترجمة ماهر جويجاتي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص ٢٤١ .

٥- صالح (عبدالعزيز)، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، جـ١، مكتبة الأنجلو الأمريكية، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٨٠.

وإنما سبقتها فترات من التغلغل السلمي إلى أن أصبحت هذه المجموعة مؤهلة عسكرياً للتدخل في مصر . استقر الغزاة الهكسوس في[1] شرق الدلتا منذ نهاية الأسرة الثالثة عشرة وتركزت حركة التوسع في نهاية حكم ملوك الأسرة الثالثة عشرة وبداية حكم الأسرة الرابعة عشرة، يذكر (نحسى) الذي كان يحكم في الشمال الشرقي من الدلتا تنفيذه لأوامر الهكسوس مما يعني أنهم كانوا قد انتشروا بسرعة في شرق الدلتا. وهذا يدل بدوره على أن الهكسوس قد كان لهم أعوان قد ساعدوهم على دخول مصر ونفذوا أوامرهم [2] .

كما يبين مانيتون على أن الهجوم من قبل الهكسوس هو بمثابة عقاب للبلاد، فقد كانت الهجمة من قبل شعب غامض، أحرقت مدن مصر وخربت قراها ومعابدها، وتمت معاملة السكان بقسوة بالغة، وذبح الكثير منهم و اقتيد أخرون إلى الأسر. وقام قائدهم ويدعى سالتيس بتنصيب نفسه ملكاً وأخذ الجزية من الحكام في الشمال وفي الجنوب [3] .

"**في عهد الملك توتيمايوس* ولا أدرى السبب في ذلك، أصابتنا ضربة من الإله، ودون أن نتوقع جاءنا غزاة من جهة الشرق. من أصل مجهول ساروا تملؤهم الثقة في النصر ضد بلادنا وتمكنوا بقوتهم من الاستيلاء عليها بسهولة بضربة واحدة، وبعد أن تغلبوا على حكام البلاد حرقوا مدننا دون رأفة، وهدموا معابد الآلهة من أساسها وعاملوا جميع الأهالي بعداء قاس فذبحوا البعض وأخذوا نساء وأطفال البعض الآخر ليكونوا عبيدا لهم، ثم عينوا أحدهم ملكا ساليتيس فأقام في منف وجنى الإتاوات من الأقاليم العليا والسفلى** " [4] .

جـ– حكم الهكسوس في مصر

اتخذ الهكسوس من حات وعرت (أواريس) عاصمة لهم عام١٦٠٠ق.م، والسبب في اختيار الهكسوس لـ حات وعرت (أواريس) قاعدة لحكمهم بشرق الدلتا هو قربها من آسيا التي كانت تحت حكم الهكسوس، ويدل على ذلك أن الهكسوس عندما تم إخراجهم من مصر اتجهوا نحو

---

١ – سليم (أحمد أمين)، دراسات في تاريخ اشرق الأدنى القديم (مصر.العراق.إيران)،دار النهضة العربية، الإسكندرية ، ١٩٩٨م ، ص ١٣٠ .

٢ – علي (رمضان عبده)، جـ ١، ص ٧٠١.

3 - Soderbergh, S, The Hyksos rule in Egypt, 1951 , p 56

*– توتيمايوس: وهو من ملوك الجنوب يعرف باسم (ديدى مس) وهو آخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة الذي سيطر الهكسوس في عهده على مصر، انظر: علي(رمضان عبده)، جـ١، ص ٦٩٩ .

٤ – طبوزادة (زكية يوسف)، تاريخ مصر، القديم، القاهرة ، ٢٠٠٨ م، ص ١٩ .

آسيا ومكثوا في فلسطين مدة ثلاث سنوات قاوموا في أثنائها هجوم المصريين .[١]

اتخذ الهكسوس عاصمة لهم أواريس "حات وعرت" وعبدوا الإله ست لذلك أطلقوا على أنفسهم محبوب ست* ، ويتضح ذلك في لوحة الأربعمائة " التي أقامها رعمسيس الثاني والتي عثر عليها في عاصمتهم بصان الحجر (أواريس)" ومن خلال لوحة الأربعمائة تم تحديد بداية عصر الهكسوس .

بدأت عبادة الاله ست اعتماداً على ذلك منذ أربعمائة عام قبل حكم "حور ام حب " تم تحديد هذا التاريخ ما بين عام ١٧٣٠ ق.م وعام ١٧١٠ ق.م في أواخر عصر الدولة الوسطى .[٣]

ولا تُعرف أسماء الملوك الهكسوس الذين حكموا جميعهم، ولكن ذكر يوسيفيوس ونقلاً عن مانيتون أبرز هؤلاء الملوك وهم على الشكل التالي

– ساليتس وقد حكم ١٩ عاماً.

– بنون وحكم ٤٤ عاماً.

– أباخنان وحكم ٣٦ عاماً.

– أبو فيس و حكم ٦١ عاماً.

– يأنس و حكم ٥٠ عاماً وعشرة اشهر.

– أسيس و حكم ٤٩ عاماً وشهرين .

وكان هؤلاء تبعاً لتقسيم مانيتون حكام الأسرة الخامسة عشرة والسادسة عشرة .[٤]

ترك الهكسوس حكام الأقاليم يحكمون أنفسهم بأنفسهم، شريطة الاعتراف بسيادة الملوك، وتقديم الضرائب المفروضة عليهم للحكام في أواريس "حات وعرت"، ولم يتدخل الهكسوس بعبادات المصريين

---

١ – برستد (جيمس هنري)، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، ترجمة حسن كمال ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ١٤٢ .

* – الاله ست : وتكتب بالبابلية سوتخ فكانت من غير شك آسيوية في مظهرها أكثر منها وطنية الأصل، اذا تحمل في ثنايا ملابسه ورداء رأسه تشابها مع الاله بعل السامي انظر: جاردنر (ألن)، مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ص ١٨٧ .

2 - Gardiner ,A , The defeat of the Hyksos by kamose ,JEA , vol , III ,London, 1916 , P 100

٣ – أبو بكر (عبدالمنعم)، النظم الاجتماعية من تاريخ الحضارة المصرية الفرعوني ، المجلد الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت، ص ٧ – ٨

٤ – أحمد (محمود عبد الحميد)، ص ١٢٧.

أو لغتهم أو عاداتهم وتقاليدهم، و أقاموا معبداً لمعبودهم ست في حات وعرت (أواريس) وهذا يدل على مدى الانسجام مع الشعب المصري، وحصل نوع من التأثير والتأثر المتبادل بين المصريين والهكسوس فقد أدخل الهكسوس آلهتهم إلى مصر وكذلك عبدوا الآلهة المصرية فكان الإله بعل يقابل ست والإلهة عناة* تقابل حاتحور"، وكذلك أدخل الهكسوس الكثير من الأسماء إلى مصر في تلك الفترة مما يؤكد على أنهم لم يكونوا قوة مدمرة لمصر بل على العكس كانت قوة تبادل حضاري وفكري مع مصر .[١]

٣– صراع الهكسوس مع المصريين وتحرير مصر

اتبع الهكسوس سياسة الإبقاء على حكام الأقاليم مقابل دفع الجزية، فقبلوا دون مقاومة، وامتازت العلاقة بين ملوك طيبة وملوك الهكسوس بنوع من الحذر والهدوء النسبي، وبقيت الحال على ما هي عليه حتى عام ١٦٠٠ ق.م، لكن عندما أحس ملوك طيبة بقوتهم، بدؤوا باعتبار أنفسهم حكاماً في أقاليمهم، ووضعوا أسماءهم داخل خراطيش ملكية، وحملوا الألقاب التي تدل على أنهم ملوك للوجهين القبلي والبحري. فعدّوا أنفسهم شبه مستقلين بما فيه الكفاية لكي يعطوا الأوامر إلى من حولهم. وبدؤوا بالتحالف مع جيرانهم في شمال طيبة وجنوبها، وتعلموا استخدام الأسلحة ذاتها التي أدخلها " الهكسوس " إلى مصر خلال الفترة الواقعة بين (١٧٣٠ – ١٦٠٠ ق.م) وهذا ما أثار ريبة الهكسوس وجعلهم يتحدونهم .[٢] استخلصنا المعلومات عن حرب التحرير من بردية سالييه الأولى* والتي تعود إلى عصر الرعامسة رغم كونها تتميز بالمبالغة الشديدة فيها إلا أننا نستطيع أن نستخلص منها أحداث الحرب ضد الهكسوس .[٣]

*– عناة: وهي آلهة الحرب في أوغاريت، ابنة إيل وأخت بعل وزوجته. كانت رسولة مجنحة للآلهة. اقتبس المصريون عبادتها، وهي تملك صفات عشتار لقبها أهل أوغاريت بالبتول، انظر: عبودي (هنري . س)، معجم الحضارات السامية، ط٢، طرابلس، ١٩٩١، ص ٦٢٣.

1- Mumford, G, Syria-Palestine, the oxford encyclopedia of ancient Egypt, the American university in Cairo press, vol 3, 2001, p 339 .

٢ – أحمد (محمود عبد الحميد)، ص ١٣٢.

*– بردية سالييه : وهي عبارة عن تمارين كتبها طالب مصري يدعى "نبتاؤور " خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد من عهد مرنبتاح وهي تروي لنا أن بداية تفاصيل الحرب بين ملك مصر"سقنن رع " وملك الهكسوس أبو فيس الثاني، انظر: طبوزادة (زكية يوسف)، ص ٢٨.

٣ – أبو بكر (عبد المنعم)، ص ١٢١.

بدأ النزاع بين ملوك الطيبيين وملوك الهكسوس منذ أيام الملك (سقنن رع) حاكم طيبة ومعاصر ملك الهكسوس (أبو فيس الثاني) وتذكر البردية أن سقنن رع حاكم طيبة قد استقبل رسول (أبو فيس الثاني) عندما جاء من (أواريس) ليبلغه " **أن أفراس النهر في مياه طيبة تقلق نوم أبو فيس وهو في مقره في الدلتا، ولهذا فهو يطلب منه إسكاتها وأن تهجر أفراس النهر ذلك المكان** " .[١]

عبّرت هذه البردية عن مدى التمزق السياسي في مصر. فالاتهام الذي وجّهه أبو فيس لأمير طيبة ليس إلا إشارة رمزية، فكيف لأصوات أفراس النهر أن تّسمع في بحيرة طيبة في أواريس شمال شرق الدلتا عبر مئات الأميال، فقد أراد بذلك أن يطالب أمير طيبة أن يكف عن تلك الاستعدادات العسكرية التي أحس بوجودها مدركاً خطورتها .[٢]

عرفنا أن جمع سقنن رع جمع رجاله لاستشارتهم، لكن تلف البردية يمنعنا من معرفة باقي الأحداث، ومن المؤكد أن الحرب قد بدأت بين الهكسوس وأمراء طيبة، ويدل على ذلك مومياء سقنن رع، التي تؤكد أن صاحبها قد مات متأثراً من جراح كثيرة، وهذا يدل على أن هذا الملك مات خلال الحرب، وتابع الحرب بعده ابنه الملك (كامس) .[٣]

وهو الذي كان صاحب الدعوة الأولى للحرب ضد الهكسوس، بهدف تخليص مصر منهم، لوجود عدة أسباب منها، رغبته باختبار قواته العسكرية، ومدى قدرته على المواجهة مع الهكسوس، ولاعتقاده أن أبو فيس أضعف من أسلافه .[٤]

عثر على ثلاث وثائق تتحدث عن حرب كامس ضد الهكسوس، تمثل الوثيقة الأولى منها لوحة عثر عليها اللورد " كارنارفون " في طيبة عام ١٩١٢م والثانية والثالثة مكتوبتان على لوحة الكرنك عثر

١– سليم (أحمد أمين)، تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر وسورية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

٢ – عبد العزيز (عادل السيد)، ص ٨ .

٣ – سليم (أحمد أمين)، ص ١٣٤ – ١٣٥.

4 - Redford, D , Agate inscription from Karnak and Egyption involvencentt in western Asia during the early 18 dynasty , jaos 99 , 1979 , p 273.

عليهما عام ١٩٣٥، ١٩٥٤م على الترتيب، وجميع تلك الوثائق تحمل نصاً مشتركاً لحرب التحرير التي يمكن تتبع مراحل الحرب من خلالها كالآتي

أولاً– دعوة (كامس) رجال حاشيته لاستشارتهم في الحرب إذ يقول الملك كامس :

" **في السنة الثالثة للملك القوي بطيبة كامس، والذي عيّنه رع كملك حقيقي، ومنحه القوة، تحدّث جلالته في قصره لمجلس الأشراف، والذين كانوا في معيته قائلاً إنني أحب أن أعرف ما الذي حققته قوتي فهذا حاكم في أواريس، وآخر في كوش، وأجلس أنا وهذا أسيوي ونوبي وكل رجل منهما استولى على جزء من مصر، وذلك الذي يقاسمني لا أجعله يمر في ماء مصر إلى ما بعد ممفيس نظرا لأنه استولى على الأشمونين*، ولا يوجد فرد توقف عن العمل في الإتلاف أثناء فترة عبودية الآسيويين سوف أكافحه وأبقر بطنه، إنني أرغب في تحرير مصر و أقضي على الآسيويين** " [١] .

بيّن هذا النص وصفاً لتساؤلات ملك مصر كامس عن حقيقة قوته وملكه بين هؤلاء الهكسوس في الشمال والمستقلين في الجنوب عند النوبة، حيث عبر عن استيائه تجاه هذا الوضع وعدم رضاه وارتياحه، وفيه أعلن عن رغبته في تحرير مصر [٢] .

ثانياً– إظهار الملك تخاذل رجال حاشيته، حيث كانوا لا يرون مبرراً للقتال ما داموا يملكون نصيبهم من الأرض ويبررون ذلك للملك من استقرار أحوال الرعي والماشية ويستدل على ذلك من خلال قولهم:

---

*– الأشمونين : وهو الإقليم الخامس عشر من أقاليم مصر العليا الصعيد يسمى(أونو) بمعنى إقليم الأرنب وكانت عاصمة الإقليم الأشمونين إلى الشمال غرب ملوى وهي في المصرية (خمنو) بمعنى الثمانية، وهو أصل تسميتها في القبطية "شمنو" كما سميت في المصرية باسم "بر – جحوتي" بمعنى مقر المعبود جحوتي (تحوت) معبودها الرئيس، انظر: مهران (محمد بيومي)، ص ٩٧.

١ – زايد (عبدالحميد) ، مصر الخالدة ، جـ ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص ٦١٠– ٦١٥ .

٢ – عبد العزيز (عادل السيد)، ص ٨.

" انظر إنّ المناطق حتى القوصية* أصبحت موالية للآسيويين إننا في هدوء بمنطقتنا من مصر، إن الفنتين قوية، وأن القسم الأوسط معنا حتى القوصية، وأن الناس يقومون بزرع أحسن أراضيهم لنا. إن ماشيتنا ترعى في مستنقعات البردي، ويرسل القمح والشعير علفاً لخنازيرنا إن ماشيتنا لم تسرق" .[١]

ثالثاً– إصرار الملك على محاربة العدو، حيث رفض فكرة الاكتفاء بالدفاع عن الأرض وأعلن عزمه على القتال كما ورد في النص:

"سأبحر شمالاً بقوة لأقضي على الآسيويين، وذلك بأمر من آمون* صادق المشورة أن جيشي أمامي مثل الريح المتقدة، وإنّ وحدات النوبيين تسوّروا مقاصرنا يتجسسون ويقضون على أماكنهم شرقا وغربا، ومعهم طعامهم وأديمهم وقد كان جيش مكتظا المؤن في كل مكان .... ، وهذا تيتي بن بيبي داخل نفروس وهي تقع شمال الأشمونين وكان قد جعلها وكراً للآسيويين، وأن القضاء على هذه الجماعة قد أجل إلى الغد " .[٢]

رابعاً– محاربة الملك للأعداء وانتصاره، فكان أول تحرك عسكري قام به الملك كامس ضد الهكسوس حين انحدر مع الوادي نحو الشمال من طيبة إلى مصر الوسطى :

" لقد قضيت الليل في سفينتي، وقلبي مسرور. ولما أضاءت انقضت عليه كالصقر، ولما جاء ميعاد تعطير الفم قضيت عليه فمحوت حائطه، وقتلت رجاله وأخذت زوجه، فأبحرت إلى الجنوب إلى شاطئ النهر، وكان عساكري كالأسود، ومعهم الغنائم والعبيد والماشية واللبن والزبد والعسل. وقد

---

*– آمون : ظهر الإله آمون في طيبة في بداية الدولة الوسطى، ويعتقد البعض بأنه أحد الآلهة الثمانية لمدينة الأشمونين كان اسمه آمون أي (الإله المختفي) ثم استعاره أهل طيبة ليكون مؤسس أسرة إلهية جديدة، وكان المصريون يمثلون آمون كانسان ذي رأس كبش أحياناً، وزودت السياسة آمون بنجاحه التاريخي لأنه كان إله الملوك الذين طردوا الهكسوس، وبذلك صار أهم إله في الدولة وقد بقي يحتفظ بسلطانه وقوته إبان الدولة الحديثة باستثناء فترة العمارنة، حيث ألغيت عبادته من طرف أخناتون، انظر: بوزنر (جورج وآخرون)، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠١ م، ص ٥٩ .

١ – زايد (عبد الحميد)، ص ٦١٥.

٢ – المرجع نفسه، ص ٦١٥

تقاسموها فيما بينهم وكان إقليم نفروس* على وشك السقوط. إنني ملك الوجهين من يعادلني من الأشمونين حتى أواريس إني قد قضيت على مدنهم، وحرقت أمكنتهم فأضحت بقايا حمر إلى الأبد، وذلك ردا على الخسارة التي سببوها لمصر " .[١]

أرسل كامس أكثر من حملة لتأمين الواحات، كذلك قطع كل طريق بين حدود مصر الجنوبية والشمالية، ذلك بعد أن تمكن جنوده من القبض على رسول من الهكسوس عند طريق الواحات، كان متجها نحو كوش حاملاً رسالة لتحريض أمير كوش على مهاجمة المصريين من الجنوب فما كان من كامس إلا أن شنَّ حملة مفاجئة على أرض كوش وأجبر أميرها على قطع الإمدادات التي كانت تصل إلى الهكسوس عن طريق الجنوب، وبذلك فشلت محاولة تحريض الجنوب ضد الشمال، بفضل ما يتمتع به الملك كامس من ذكاء وقوة حربية وعسكرية. إلى جانب عنصر المباغتة التي قام بها كامس ضد الهكسوس، وكان لها الفضل الأول في الانتصار إضافة إلى تفوق قوات طيبة وجنودها المدربين جيداً، ونتيجة اتحاد الأقاليم مع بعضها البعض في المشاركة بطرد العدو ، وبعد ذلك عمد إلى[٢] الاستعداد للقتال وتعبئة الجيش، وتجديد السفن إلا أن المنّية لم تمهله، ومات قبل أن ينجز ما أراده للبلاد، ليتولى القيادة أخوه أحمس بدلاً عنه.

صمم الملك أحمس(١٥٧٠ – ١٥٤٦ ق.م) على استئناف الحرب ضد الهكسوس منذ أن كان أميراً على طيبة، وهو يعتبر أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة وهي أول أسرة في الدولة المصرية الحديثة، ويمكن معرفة تفاصيل حرب أحمس مع الهكسوس من خلال نقوش لأحد قواد هذا الملك وهو (أحمس بن ابانا) حيث يذكر قيام أحمس بمهاجمة عاصمة الهكسوس (أواريس) في الشمال الشرقي، وبعد حصار دام حوالي ثلاث سنوات سقطت العاصمة في أيدي المصريين، وهذا يشير إلى شدة تحصينها، وإلى عزيمة أحمس وجنوده على تحقيق النصر وطرد الهكسوس من آخر معاقلهم في مصر .

---

*– نفروس : وهو الإقليم السادس عشر من أقاليم مصر العليا الصعيد والاسم القديم لها هو ماحج أي إقليم الوعل (الغزال) وموقعها حددها ماسبيرو بالمنيا الحالية، انظر : السعدي (حسن محمد محي الدين)، ص ٥٥.

١ – زايد (عبدالحميد)، ص ٦١٥ .

٢ – حسن (سليم)، مصر القديمة، جـ ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص ١٩٩.

3 - Hogarth , D , G, Egyptian empire in Asia , JEA , vol I , London , 1914 , p 11

هرب الهكسوس وتحصنوا في منطقة شاروهين* ليستكملوا فيه عدتهم وعتادهم ومعاودة الهجوم على مصر آملين باحتلالها من جديد، ولكن (أحمس) تنبه إلى ذلك فخرج على رأس جيشه للقضاء على هذا العدو وألقى الحصار على شاروهين و تمكن من الاستيلاء عليها بعد ثلاث سنوات ويكون بذلك حقق الغاية المرجوة منه، وأظهر بأن مصر قد حكمت مرة أخرى من ملك قوي. تمكن الملك أحمس نتيجة لحملته التي قام بها في العام الثاني والعشرين من حكمه من القضاء على بقايا الهكسوس في سوريا وفلسطين، وفرض سلطته على المنطقة، وقام بتأسيس أول قاعدة مصرية هناك .[١]

بعد ذلك قام بالعديد من الإجراءات بهدف حماية الحدود المصرية كان من أهمها .[٢]

أنه قام بوضع أولى الحاميات العسكرية في فلسطين، والتي أصبحت أمراً ضرورياً لرد الهجمات القادمة من الشمال، وقضى على كل القوى المتآمرة مع الهكسوس المنسحبين من مصر، ثم أنهى النظام الإقطاعي الذي كان سائداً عندما تولى الحكم، وقام بالعديد من الحملات على النوبة بهدف القضاء على المتعاونين مع الهكسوس، كما وسع الحدود المصرية الجنوبية .[٣]

وتفيد المصادر المصرية أن أحمس قام في العام الثاني والعشرين من حكمه، بحملة على الفنخو* في فلسطين، بهدف تقوية الخط الأمامي لمصر في سورية .[٤]

وبهذا يكون قد نجح في تحقيق طرد الهكسوس وتأمين حدود مصر الشمالية والشرقية. وبذلك استعادت مصر نفوذها، وأصبح ملكاً عليها كلها.

وبعد القضاء على الهكسوس عادت الوحدة إلى مصر بزعامة أحمس وصارت طيبة عاصمة البلاد بأسرها، وأصبح الطريق ممهداً أمام الأسرة الثامنة عشرة لجعل مصر إمبراطورية عظيمة الشأن يبدأ معها عصر الدولة الحديثة .[٥]

*– شاروهين : تقع في صحراء النقب بالقرب من بئر السبع (تل فرعة الحالية)، انظر: أحمد (محمود عبد الحميد)، ص ١٦١ .

١ – زايد (عبدالحميد)، مصر الخالدة، جـ ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٢ م، ص ٢٦٠ .

2 - Kubrt, A , The Ancient near East 3300-330 B.C, vol I, London, 1995, p 190

٣ – قدري (أحمد)، المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية ١٥٧٠– ١٠٨٧ق.م ، ترجمة مختار السويفي ومحمد العزب موسى، الهيئة المصرية العامة للآثار، القاهرة ، ١٩٨٥ م ، ص ٧٠ .

4 - Redford, D , op. cit , p 275 .

*– الفنخو : هو الاسم الذي اطلقه المصريون على الفينيقيين(كنعانيو الساحل)، انظر: عبودي (هنري . س)، ص ٦٥٢.

٥ – علي (رمضان عبده)، تاريخ مصر القديم، جـ ٢، دار نهضة الشرق، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٥٤.

أوضاع مصر الخارجية

استطاع المصريون طرد الهكسوس من مصر، فعملوا على تغيير سياستهم الخارجية بالاتجاه نحو الشمال بدلاً من الجنوب فقد اعتقدوا أن تأمين الحدود الجنوبية قد حققت أهدافها بعد الوصول إلى الجندل الرابع*، فقررت سلك سياسة الهجوم من أجل تأمين الحدود ومنع الغزو الذي تعرضت له على غرار الهكسوس [١]

التوسع المصري في سورية

انقطعت الصلات بين مصر والشاطئ السوري خلال فترة احتلال الهكسوس لمصر. لكن بعد أن نجحت مصر في طرد الهكسوس فكر ملوك الدولة الحديثة أنه لا أمان لاستقلال بلادهم من غدر أعدائهم إلا إذا واصلوا الاهتمام بجيشهم وزادوا إمكاناته البشرية والدفاعية والهجومية [٢].

واعتقدوا أن حماية اقتصاد بلادهم من اعتداءات بقايا الهكسوس، وأمثالهم لن يتحقق إلا اذا أبعدوهم عن مسالك تجارتهم الخارجية وأحاطوها بأنصارهم قدر ما يستطيعون. كما أنهم أدركوا أن مسؤولية الحفاظ على وطنهم من أخطار هجرات شعوبية جديدة غربية لن تتحقق إلا اذا سيطروا بأنفسهم على مداخل الهجرات في شمال سورية وأطراف بلاد الرافدين [٣].

بدأت سياسة التوسع مع بداية الأسرة الثامنة عشرة بمحاولة إيجاد مواطن للنفوذ المصري في سورية، وتطلبت هذه السياسة اتصالات دائمة مع سورية وتكوين مناطق نفوذ مصري فيها، فتوسعوا إلى الشرق ليضعوا حداً لتلك القبائل التي كانت تثير الفوضى على الحدود الشرقية لمصر [٤]، وعلى الرغم من ذلك لم تستطع هذه الأسرة الحاكمة من تكوين إمبراطورية بالمعنى المفهوم ذلك أن مصر لم تحتل هذه البلاد احتلالاً عسكرياً، فبقاء نفوذها كان يحتاج دائماً إلى القيام بحملات عسكرية وإلى القيام بعدة

---

*- الشلال الرابع : وهو احدى الشلالات الستة التي كونها النيل ويوجد منها خمسة في السودان وواحد في مصر : يقع بين مروي وصحراء المناصير. انظر: أحمد (محمود عبد الحميد)، ص ١٨٢.

١ – علي (رمضان عبده)، تاريخ مصر القديم، جـ ٢، ص ٥٦ – ٧٥.

٢ – علي (رمضان عبده)، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته الأناضول – بلاد الشام، جـ ٢، دار نهضة الشرق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ١٥١.

٣ – صالح (عبدالعزيز)، جـ ١ ، ص ٢٢٤.

٤ – علي (رمضان عبده)، جـ ٢، ص ١٥١.

علاقات دبلوماسية وفكرية وثقافية وتجارية وفنية، وحماية بعض البلدان الصغيرة أو الإمارات الصغيرة من أطماع الملوك الأقوياء وخاصة في سورية [١].

أثّرت هذه السياسة في مظاهر الحضارة المصرية مما سمح لها بإقامة اتصالات مباشرة مع الحضارات الكبرى في الشرق القديم مثل بلاد الرافدين عن طريق روابط الود والمصاهرة بين بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة وأمراء بلاد الرافدين [٢].

كان قد تكفل بالمرحلتين الأُوْلَيَيْن من هذه السياسة الملكان أحمس الأول وامنحوتب الأول على التعاقب. بينما أخذ خليفتهما تحوتمس الأول على عاتقه أن يبدأ المرحلة الثالثة منها .

أ- الملك أحمس الأول (١٥٧٠-١٥٤٦ ق.م)

قاد الملك أحمس جيشاً مصرياً ضد الهكسوس وانتصر عليهم في معركة حاسمة واحتل عاصمتهم "أواريس" وأخرجهم من الأراضي المصرية فانسحبوا إلى سورية مما اضطره إلى الذهاب خلفهم و ملاحقتهم. وكان معقلهم في جنوبي سورية المسمى "شاروهين"، فتحصنوا فيه واضطر "أحمس" لفرض حصارٍ طويلٍ استمر ثلاث سنوات، وعند سقوطها اتخذها المصريون قاعدة لتقدم حملاتهم المتكررة فيما بعد باتجاه الشمال ... [٣].

واستعاد أحمس بسيطرته على شاروهين وسفوح لبنان صلات مصر التجارية مع موانئ سورية، فصنع سفينة للإله آمون – رع في عيد رأس السنة من خشب الأرز وهذا يعتبر نجاحاً هاماً بالنسبة لأحمس لأنها المرة الأولى التي يتحدث فيها ملك مصري بعد حكم الهكسوس عن جلب الخشب. وذلك أنه لا بد قد جلبه من سفوح لبنان التي أصبحت تحت نفوذه ، كما تم العثور على نقش[٤] محجر معصرة "Masar" حيث جاء فيه أن الحجر كان يستخرج منه في السنة الثانية والعشرين من حكم الملك، وأنه سحب بواسطة الثيران التي استولى عليها في انتصاراته على الفنخو (Fnhw)، ويشاهد تحت هذا النقش صورة ستة ثيران تجر زحافة عليها قطعة كبيرة من الحجر، ويلاحظ أن السائقين الثلاثة الذين

١ – علي (رمضان عبده)،جـ ١ ، ص ٧٠٧ .

٢ – علي (رمضان عبده)، جـ ٢ ، ص ١٥١.

٣ – الحلو (عبد الله) ، سوريا القديمة ، مطبعة الف باء ، ط١ ، دمشق ، ٢٠٠٤م ، ص ٥٨٥ .

٤ – أحمد (محمود عبد الحميد)، جـ ١، ص ٥٥.

يسوقون الثيران كانوا أجانب، يلتحي كل منهم بلحية قصيرة، ومن المحتمل أنهم من الأسرى الذين ساقهم أحمس معه إلى مصر [١] .

كما عمل أحمس على تنظيم إدارة البلاد الداخلية فكان تنظيمه عسكرياً بالدرجة الأولى ونتيجة مباشرة لخبرته الحربية والسياسية مع الهكسوس تلك الخبرة التي جعلته قائداً عاماً لجيش مصري مدرب، وكان النضال المصري الطويل مع الهكسوس قد علَّم المصريين طرق الكفاح المختلفة بالإضافة إلى أن الغزوات التي قام بها أحمس عدة سنوات بسورية قد ساعدت المصريين على إدراك ثروة الأراضي السورية، وهكذا أصبح المحارب المصري مدرباً بفنون الحرب مدركاً أن الحروب في سورية تعود على مصر بالغنائم الكثيرة، ما دفع المصريين للاتجاه نحو سورية، وهذا ما شجع المصريين على الانخراط في الحروب تحت لواء الملك من أجل الحصول على الغنائم

والألقاب التي تشرفهم وتعلي من مركزهم . وبعد موت أحمس الأول عام[٢] ١٥٥٠ ق.م تقريباً خلفه في الحكم الملك امنحوتب الأول.

ب – امنحوتب الأول (١٥٤٦-١٥٢٦ ق.م)

خلف أحمس على عرش مصر ولده "امنحوتب الأول" واستقرت أحوال مصر في عهده الذي استمر أكثر من عشرين عاماً من السلام، وأبدى اهتماماً كبيراً بالجنوب، فترأس أحمس بن أبانا النقل الملكي في المعركة ضد كوش Kush * وحارب في مقدمة القوات المصرية، ليعود إلى مصر خلال يومين فقط. كما رافق الملك القائد الثاني أحمس بن نخبت* في معركتين الأولى ضد النوبيين، والثانية ضد الليبيين على الحدود الغربية [٣] .

١ – طبوزادة (زكية يوسف)، ص ٤٣ .

٢ – برستد (جيمس هنري)، ص ١٥٣ .

* – كوش : اسم أطلقه المصريون على النوبة العليا، انظر: أحمد (محمود عبد الحميد)، ص ١٥٤.

*– أحمس بن نخبت : كان ضابط وحمل ألقاب المحارب الفرعون وحامل الختم، ولقد ترك تاريخ حياته على جدران مقبرته في (الكاب) ولقد بلغ من العمر أرذله حتى عهد الملك تحوتمس الثالث والملكة حتشبسوت وآخر وظيفة له كانت مربي الأميرة (نفرو رع) ابنة حتشبسوت، انظر: فكري (وائل)، موجز موسوعة مصر القديمة ، جـ ١، مكتبة مدبولي، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ص ٢٥٣ .

3 - Sethe, Urk IV, p 6-8

عمل الملك امنحوتب الأول على أن يجعل النوبة جزءاً من مصر فعيّن عليها حاكماً يلقب بلقب والي الأقاليم الجنوبية. وبسبب الثروات المعدنية والأراضي الزراعية التي تتميز بها بلاد النوبة أصبحت النوبة من ممتلكات الإمبراطورية المصرية .[١]

وأما فيما يتعلق بعلاقة الملك امنحوتب الأول بسورية، فتصف النقوش الموجودة على بوابة الكرنك قدوم رجل من مدينة تونيب* السورية يحمل الجزية للملك، وهذا دليل على نشاط عسكري في سورية خلال حكم هذا الملك .[٢]

وحدث تصادم مع الميتانيين الذين كانت لهم السيادة على الشمال السوري في تلك الفترة، كما تؤكد نصوص تحوتمس الأول تقول: " **أنه في العام الثاني من حكمه كانت الدولة تمتد بين النهر ذي المياه المعكوسة – الفرات – والنوبة**"، وهذا يؤكد على أن والده أمنحوتب كان قد ضمها من قبل . و السبب الأهم الذي دفع أمنحوتب الأول للاتجاه إلى الشمال، هو أن الرتنو* في الجنوب السوري اتفقوا مع نهارين "ميتاني" ضد مصر، وكانت معهم الفنخو "الكنعانيين"، والشاسو*، لذلك وجه حملات عسكرية منظمة إلى الجنوب السوري قادها بنفسه ووصلت إلى مدينة "جبيل"*، بغرض الاستطلاع العسكري .[٤]

---

١ – برايس (تريفور)، رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم ، ترجمة رفعت السيد علي، دار العلوم للنشر ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م، ص ٣٨.

*– تونب : هي من المدن السورية نشأت في منطقة العشارنة بوادي العاصي، وكانت موالية لمصر، تقع حالياً بالقرب من حماة، انظر: أحمد(محمود عبد الحميد)، ص ٢٣١.

٢– كلينغل (هورست)، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠ – ٣٠٠ ق.م ، ترجمة سيف الدين دياب، دار المتنبي ، ط١ ، دمشق، ١٩٩٨م، ص ١٠٥.

3 - Breasted, J. H , Ancient records of Egypt, Chicago, vol 2, 1962 , P 29.

* – الرتنو : وهو الاسم القديم لسكان سورية وفلسطين، انظر : منقار (سامح) ، المعجم الوجيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، القاهرة، ٢٠٠٧ ، ص ١٦٢.

* – الشاسو : وهم البدو الذين عاشوا في منطقة صحراء النقب وسيناء منذ القرن العشرين ق.م، وعرفت كلمة شاسو في اللغة المصرية القديمة بانها تعني راعي، انظر : منقار (سامح)، ص ٢٤٩.

* – جبيل : حاضرة الساحل السوري وكبرى المدن الفينيقية، وكان أمراؤها يحملون لقب (النبيل الأمير) وكانت من أكثر الممالك السورية ارتباطاً بمصر منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وشكلت ميناء يربط بين سورية ومصر والسلعة الأساسية لمصر من الأخشاب كانت تؤخذ من ميناء جبيل، انظر: كونتنو (جورج) ، الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيره ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٧م، ص ٦٤ .

4- Redford, D, op.cit, p 271 .

جـ – الملك تحوتمس الأول (١٥٢٥–١٥١٢ ق.م)

تولى عرش مصر بعد وفاة امنحوتب الأول، الملك تحوتمس الأول وهيأت جهود امنحوتب الأول له الظروف للانطلاق بحملات خارج حدود مصر وليحارب في جنوب مصر وشمالها، حيث قاد حملة على بلاد النوبة ووصل فيها إلى قرب الشلال الرابع ثم عاد وسجل أخبار انتصاراته على الصخور المواجهة لجزيرة "تومبوس" *، وجمع المناطق الجنوبية في النوبة في وحدة كبيرة، وبعد انتصاره في بلاد النوبة وجه جهوده نحو سورية وكان ذلك لسببين

<u>الأول</u> – القوة الدافعة التي صبغت سلوكه وروح شعبه وعصره .

<u>الثاني</u> – تحرك الجماعات الميتانية التي ذكرت في عهد سلفه، قرب نهري الخابور والفرات في شمال شرق سورية.

شجعت هذه الأسباب تحوتمس الأول على تنفيذ المرحلة الثالثة من السياسة الخارجية للدولة، وهي السيطرة على أبواب التجارة الدولية وعلى مداخل الهجرات في شمال سورية وأطراف بلاد الرافدين. ولم تكن أحوال سورية حين ذاك تمكنها من صد الهجرات الجديدة ومن كسر شدة الهجرات الموجودة في أطرافها، دون دفع أو عون خارجي .[١]

تطلع تحوتمس الأول إلى توحيد شرقي البحر المتوسط المجزأة بفعل العوامل الجغرافية معتمداً في ذلك على جرأته واستعداد جيشه، فعبر بجيشه من مصر عبر سورية دون أي معارضة حتى بلغ نهارينا في منطقة الميتان، ومن خلال كتابات الضابطين المعروفين باسم أحمس نستدل على معلومات عن هذه الغزوات وذلك لاشتراكهما فيها. حيث يتبين لنا أن الجيوش المصرية لم تُهاجَم من جهة قادش لذلك تمكنت من الوصول إلى نهارين بلا مقاومة تذكر.

أطلق المصريون اسم (نهارين) على البلاد الممتدة من نهر الأورونط (العاصي) إلى الفرات وقد حدثت فيها موقعة حربية انتهت بأسر عدد كبير من السوريين بحسب ما جاء في كتابات أحمس بن أبانا حيث قال عن هذه المعركة: " **كنت قائداً لفيلقي وكان جلالة الملك يراقب أعمالي الحربية لما أسرت عجلة حربية بخيلها وركبها وأحضرتها لجلالته فكافأني على ذلك بالذهب دفعتين** "، كما أحضر

* – تومبوس : هي جزيرة تقع جنوب الشلال الثالث. انظر : أحمد (محمود أحمد عبد الحميد)، ص ٥٧ .

١ – صالح (عبد العزيز)، جـ ١، ص ٣٠٦.

أحمس بن نخبت إلى ملك مصر إحدى وعشرين يداً مبتورة من قتلى الآسيويين وعجلة حربية وفرساً ، لذلك أقام تحوتمس الأول نصباً تذكارياً على ضفاف النهر ذي المياه المعكوسة (كما سماه الجيش المصري)، ثبّت عليه أنه تغلب على الميتانيين. ووصلت الجيوش المصرية في هذه الحملة إلى مدينة كركميش* في أقصى الشمال السوري ، كما جاء في نصوص تحوتّمس الأول. وفيها ما يلي: "وصل جلالته إلى بلاد نهارين" .[٣]

وعلى الرغم من قيام تحوتمس الأول بالحملة على نهارين كما سمتها النصوص المصرية، إلا أن هذه الحملة على ما يبدو لم تكن ذات تأثير كبير على الدولة الميتانية، التي اعتمدت سياسة العودة إلى مناطق نفوذها بمجرد تراجع القوات المصرية إلى الجنوب. غير أن وصول الملك إدريمي إلى مناطق الساحل الفينيقي، بعد أن كانت على الأرجح قد خضعت ولو بشكل غير تام للنفوذ المصري في عهد تحوتمس الأول يؤكد تواجد النفوذ المصري في الساحل السوري .[٤]

وقد حقق تحوتمس الأول الشيء الكثير في حروبه الشمالية والجنوبية. و حقّ له أن يفخر بها في نشيد نصره إذ ورد فيه: "...**الجنوبيون ينزلون النهر، والشماليون يأتون بعكس التيار، وكل البلاد تحضر جزيتها سوية إلى الإله الطيب الأصيل** " ويلاحظ ازدياد صلة مصر بسوريا في عهد هذا الملك حيث فاقت ما كان بينهما في عهدي سلفيه، وتدل على ذلك زيادة المواد المجلوبة من سوريا إلى مصر، فمن خلال "انيني"* المشرف المعماري على المنشآت الملكية في عهد تحوتمس الأول يتضح أن أعمدة قاعة الكرنك كانت من خشب الصنوبر إلى أن أبدلها تحوتمس الثالث بأعمدة حجرية .

---

١ – برستد (جيمس هنري)، ص ١٧٣ .

*– كركميش : تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات، إلى الشمال الشرقي من مدينة يمحاض تعرف حاليا (جرابلس) ورد ذكرها في النصوص العائدة إلى مملكة إيبلا ، كما ذكرت في أرشيف ماري، انظر : هورست كلينغل، ص ٧٧ .

2 - Spaliger, A , Anew reference to an Egyptain campaign of Thutmose III in Asia, JNES. 37 (1978), p 35

3 - Helck, Wolfgang, Einfluss der Militarfuhrer in der 18 Agyptischey Dynasty , Leipzig ,1939, s 9:10 .

4 - Astour, M, Mitanni, the Oxford Encyclopedia , vol 1, 2001, p 422 .

* – انيني : كان من الموظفين في عهد الأسرة ١٨ عاصر الملوك (امنحوتب الاول) حتى (تحوتمس الثالث) وكان يحمل ألقاب المشرف على مخازن آمون وكان مدير الأعمال في الكرنك وقبره في (شيخ عبد القرنه) به مشاهد عن حياته اليومية والحوادث والمناظر الجنائزية ويلاحظ الإتقان في تصوير الطبيعة انظر "فكري (وائل)، جـ١، ص ٢٥٧.

٥ – أحمد (محمود عبدالحميد)، سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ، جـ ١، مطبعة ابن حيان، دمشق، ١٩٨٥، ص ٥٩ – ٦٠ .

و من ذلك يتضح أن ملك مصر تمكن من الوصول إلى نهر الفرات وصار أمراء سوريا يقدّرون مصر ويعجبون بقوتها ومكانتها، فأرسلوا إليها هم والبدو وسائر الفلسطينيين الجزية والهدايا الثمينة فتضخمت المالية المصرية بأضعاف ما كانت عليه من قبل .[١]

ورغم قلة المصادر التي تتحدث عن حملات الملك تحوتمس الأول على سورية، إلا أن هذه المحاولات جعلت من هذا الملك أول من يسعى بجدية للاستقرار في سورية القديمة، وترك حاميات عسكرية فيها، فكان له الفضل في إرساء الخطوط العامة لتمكنه من التوسع خارج مصر فوصل إلى نهر الفرات .

د – الملك تحوتمس الثاني (١٥١٢–١٥٠٤ ق.م)

خلف الملك تحوتمس الأول في حكم مصر ابنه تحوتمس الثاني، و تزوج من أخته حتشبسوت، وكان لها العديد من الألقاب "ابنة الملك، وأخت الملك، وزوجة الإله، والزوجة العظمى للملك" .[٣]

تميزت فترة حكمه بحملتين تأديبيتين، اتجهت الأولى نحو الشمال، تدل عليها لوحة جبل برقل* في الجنوب المصري وأدلة من الدير البحري. دلت على قيامه بالعديد من الحملات، حيث أكد القائد "أحمس بن نخبت" قيامه بحملاته على بلاد الشاسو "فلسطين" التي يهدد بها الحدود الشرقية لمصر بما فيها من مناجم الفيروز والنحاس بشبه جزيرة سيناء .[٤]

كما أكد القائد العسكري" نب أمون " أحد قادة الأسطول زمن الملك تحوتمس الثاني أن الملك كافأه بعد الحملة على سورية، بأن جعله الرئيس الخاص لجناح الاستقبال في القصر الملكي .[٥]

أما الحملة الثانية فقد اتجهت نحو بدو النوبة العليا الذين قاموا بغزو المناطق الخاضعة لحكم مصر، وحرضوا أهلها على الثورة، كما تمردت ولاية كوش وأراد أهلها الانفصال إلا أن حملته هذه مكنته من القضاء عليها .[٦]

---

١ – برستد (جيمس هنري)، ص ١٧٤ .
٢ – حسن (سليم)، جـ ٤، ص ٢٦٢ .
٣ – سليم (أحمد أمين) ، ص ١٧٧.
*– جبل برقل : يقع على بعد ٣،٥ كم من ضفة النيل الغربية، في منطقة الشلال الرابع بالسودان. انظر: أحمد (محمود عبد الحميد)، جـ ١، ص ٩٤ .
٤ – حسن (سليم)، جـ ٤، ص ٢٩٧ .
٥ – زايد (عبد الحميد)، جـ ٢، ص ٢١.
٦ – طبوزادة (زكية يوسف)، ص ٥٣ – ٥٤ .

ولم يدم حكم الملك تحوتمس الثاني أكثر من أربع عشرة سنة، إذ توفي تاركاً الحكم لابنه القاصر تحوتمس الثالث، فتولت الوصاية عليه زوجة أبيه "حتشبسوت".

هـ – الملكة حتشبسوت (١٥٠٣–١٤٨٢ ق.م)

منذ وصاية حتشبسوت أخذت تدير شؤون البلاد باسم تحوتمس الثالث لمدة ثماني أو تسع سنوات، وعندما اطمأنت إلى قوة مركزها وكثرة أعوانها، نحّته جانباً، وانتحلت لنفسها ألقاب التاج المزدوج، وحملت ألقاب الملك المصري كاملة، وظهرت في أماكن كثيرة في الكرنك بزي الرجال ولم تكتف حتشبسوت بذلك، بل زعمت لنفسها مولداً آلهيا، من الإله آمون نفسه فزعمت أن أباها تحوتمس الأول تنازل عن العرش لصالحها وتوجها أمام رجال البلاط، وهذا يمثل إنكاراً صريحاً لحق أخيها تحوتمس الثاني وابنه تحوتمس الثالث فيما بعد في عرش مصر، وسجلت ذلك على معبد الدير البحري [١].

نجحت حتشبسوت في إمساكها بزمام الأمور في البلاد، من خلال مجموعة مختارة من الرجال المتميزين، اختص كل واحد منهم بناحية من نواحي الحياة المختلفة فأسهموا في تقدم البلاد وازدهارها، وكان من أبرز رجالها "سنموت"* الذي وصف نفسه بأنه (أكبر الكبراء في كل البلاد، ورئيس الرؤساء في كل الأقاليم) [٢].

يعتبر معبد الدير البحري من أعظم منشآت حتشبسوت وقد كرسته للإله آمون، وهو يعد من أجمل المعابد المصرية، بالإضافة إلى المقبرة التي حفرتها لنفسها في وادي الملوك. هذا وقد اتجهت سياسة مصر في عهدها وجهة أفريقية أكثر منها آسيوية، ولم تحدث خلال فترة حكمها أية ثورة آسيوية. وربما كان السبب في ذلك أن عهدها كان استمراراً لفترة حكم زوجها تحوتمس الثاني، وربما يعود السبب لعدم ثقتها بجيشها، وربما لم تكن قادرة على قيادة هذا الجيش بنفسها [٣].

---

١ سليم (أحمد أمين)، ص ١٤٦.

*– سنموت : من أهم الموظفين زمن الملكة حتشبسوت وألقابه العليا وجدت منقوشة على تمثال له من الكوارتسيت، وجد في معبد (موت) بالكرنك ومحفوظ حاليا في المتحف المصري وقد أقام لنفسه مقبرتين الأولى في الدير البحري والأخرى في جبانه (شيخ عبد القرنه) ، انظر : فكري (وائل) ، ص ٢٧١ .

٢ – أحمد (محمود عبدالحميد)، ص٦١.

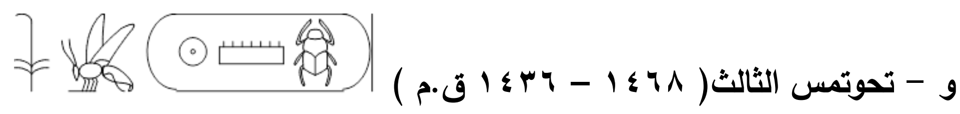
٣ – سليم (أحمد أمين)، ص ١٤٧.

وفيما يخص نشاطها التجاري فقد ثبت من خلال نقوش الدير البحري أنها أرسلت حملة إلى بلاد البونت وقامت خلالها بجلب الكثير من البخور والأحجار الكريمة والزيوت والأبنوس [١].

كما أرسلت حملات إلى سيناء. ويبدو أن هذه الحملات كانت بالدرجة الأولى للاطمئنان عن أحوال المناجم الحكومية هناك [٢].

لم تكن فترة الملكة حتشبسوت إلا فترة سبات في التوسع والصراع للسيطرة على سورية، إذ أن المدن السورية التي كان ملوك مصر في الأمس القريب قد أجبروها على الاعتراف بالسلطان المصري أعلنت التمرد على الملكة الجديدة التي لم توجه الحملات إليها كما فعل أسلافها، وكل ذلك كان يتم بتحريض من الملك الميتاني، لذا كان لا بد من ظهور دور ملك جديد [٣].

توفيت الملكة، ولا يُعَرف كانت وفاتها طبيعية أم أنها كانت نتيجة مؤامرة مدبرة، وذلك بعد حكم دام اثنين وعشرين عاما. وقد عمل تحوتمس الثالث على الانتقام منها، إذ عمل على محو اسمها من على كل أثر، ووضع محله اسمه واسم أبيه أو جده، كما حطم تماثيلها فكان العمال يوقدون النار عليها ويصبون النار فتتناثر أجزاؤها، بعد ذلك رموها كلها في محجر قديم بالقرب من الدير البحري، وتم هدم الكثير من المباني التي أقامتها الملكة [٤].



و – تحوتمس الثالث(١٤٦٨ – ١٤٣٦ ق.م)

كانت الملكة حتشبسوت قد انشغلت بإقناع الناس بشرعية وجودها على عرش مصر، وباسترضاء كهنة آمون، عن طريق الاهتمام بكل ما يعود بالنفع عليهم وعلى معابدهم، إذ كانت سياستها ترمي إلى التفوق الاقتصادي والثقافي على الأمم الأخرى لتحقق المركز السامي المنشود لمصر. ولكن هذه السياسة لم تجد على ما يبدو قبولاً عند الجيش، وكذلك عند كهنة آمون. إذ قاموا بتنصيب تحوتمس

---

١ – فرزات (محمد حرب)، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر القديمة وحضارتها)، ط ٥، جامعة دمشق، سورية، ١٩٩٣ ص ١٧٣.

٢ – راتييه (سوزان) ، حتشبسوت الملكة الملك ، ترجمة فاطمة محمود ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص ١٢٨

٣ – نور الدين (عبد الحليم)، دور المرأة في المجتمع المصري القديم، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ١٩٩٥ ص ٢٣.

٤ – رمضان (السيد)، تاريخ مصر من بداية الأسرة الخامسة عشرة حتى دخول الإسكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ ق.م ، جـ ٢، هيئة الآثار العامة، القاهرة ، د.ت ، ص ٧٦.

الثالث ملكاً على مصر، وادّعوا بأن آمون نفسه قد اختاره ليصبح ملكاً على مصر. وهكذا استطاع تحوتمس الثالث أن يصبح حاكماً على مصر .[١]

كان تحوتمس الثالث قد بدأ يهتم بالسياسة الخارجية بالبلاد بعد أن أهملتها حتشبسوت مدة عشرين عاماً بكاملها. خاصة وأن الأوضاع السياسية في سورية كانت قد بدأت تتغير. فقد استغل الميتانيون فرصة الهدوء الذي ساد خلال حكم حتشبسوت نتيجة سياستها الخارجية فلجؤوا إلى تكوين تحالف معادٍ لمصر. وكان يرأس هذا التحالف ملك قادش، فحرض أكثر من مرة شعوب سورية ضد المصريين، واضطر تحوتمس للقيام بحوالي سبع عشرة حملة حربية لكي يقضي نهائياً على تلك التحالفات .

كان لقادش* وموقعها الجغرافي أهمية كبيرة ساعدتها على بسط نفوذها على البلاد المجاورة لها، نتيجة إشرافها على الطريق الشمالي الموصل إلى داخل سوريا، كما وتشرف على الطريق التجاري المؤدي إلى مصر والبلاد الجنوبية التي يتفرع منها طريق آخر إلى نهر الفرات ثم إلى بابل، بسبب قرب قادش من النهاية الشمالية لسلسلتي جبال لبنان كان اتصالها مع البحر المتوسط أكثر سهولة، كل هذه الميزات سهلت لقادش إخضاع الإمارات السورية وضمها تحت سلطتها .[٣]

فتحوتمس الثالث الذي علم بهذه الأوضاع لجأ إلى القيام بحملته الأولى لتوطيد ملكه في سورية وبلاد الرافدين، بعد أن لاحظ أن النفوذ المصري بدأ يتدهور هناك، وأن الأمراء بدأ كل منهم يستقل بولايته (فلم يتأخر جلالته من التقدم إلى سورية ليقتل الخائنين الذين فيها وليكافئ الموالين له) كان تحوتمس الثالث قائدا محارباً، اهتم كثيراً بحملاته الحربية وبانتصاراته. فقام بتسجيلها على جدران صالة الحوليات بمعابد الكرنك، وكان أول من اصطحب معه في حملاته الحربية كتبة لتسجيل أحداث هذه الحروب على ملفات البردي .[٤]

---

١ – أحمد (محمود عبد الحميد)، جـ ١، ص ٦٩– ٧٠.

٢ – علي (رمضان عبده)، ص ١١٧.

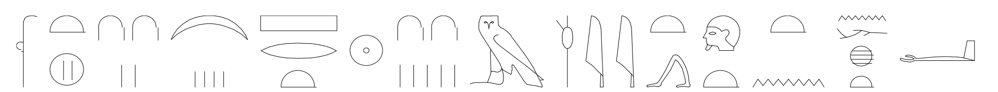
* – قادش : تقع في سهول سورية الداخلية ، جنوبي بحيرة حمص، ويحدها العاصي من جهة الشرق. انظر: أحمد(محمود عبد الحميد)، جـ ١،ص ٦٤ .

٣ – برستد (جيمس هنري)، ص ١٩٠ .

٤ – أديب (سمير)، تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٦٥.

١-الحملة الأولى " معركة مجدو "

انطلق تحوتمس الثالث بحملته الأولى في العام الثاني والعشرين متجهاً إلى سورية لملاقاة الأمراء السوريين بقيادة أمير قادش وجرت المعركة المعروفة باسم مجدو *.



"في العام الثاني والعشرين الشهر الرابع من فصل برت (فصل النمو والزرع) اليوم الخامس والعشرون في حملة النصر الأولى" .[١]

استغلت الدولة الميتانية فرصة حكم الملكة حتشبسوت وسياستها السلمية وبدأت بتحريض الإمارات السورية ضد النفوذ المصري فوجد تحوتمس الثالث نفسه مضطراً إلى التوجه إلى سورية لمواجهة الحلف الذي سعت الدولة الميتانية في تكوينه ضده، فقد أتيحت لهم الفرصة لإعلان العصيان بهدف الانفصال عن مصر، على الرغم من أن الأراضي السورية لم تشهد طوال عهودها الماضية تجمعاً أو اتحاداً كهذا الذي شهدته . وبلغ عدد الأمراء الثائرين[٢]على النفوذ المصري حوالي ٣٣٠ أمير بزعامة أمير قادش المتحالف مع ميتاني .[٣]

وقد جمع حاكم قادش هؤلاء الأمراء من كل المناطق بما في ذلك نهارينا، وكيزوواتنا، وكان الغرض من وراء ذلك هو إيقاف التقدم المصري في سورية .[٤]

وقد اعتبر تحوتمس الثالث كل هذه البلاد من أملاكه، لذلك تكلم عنها قائلاً : (**لقد شرعت بلاد الفنخو "fenkhu" الآسيوية تغزو بلادي** ....) لذلك زحف بجيشه متجها نحو سوريا، في أواخر السنة الثانية والعشرين من حكمه، مبتدئاً من حصن "ثارو" – قرب مدينة القنطرة– على حدود مصر الشمالية الشرقية، وكان ذلك سنة ١٤٦٨ ق.م .[٥]

تتحدث الحوليات التي أرخت لحملات الملك تحوتمس الثالث، إلى أن الحملة بدأت في الشهر

---

*– مجدو : تل المتسلم حالياً، تقع إلى الغرب من بحيرة طبرية، واسمها يعني الحصن أو القاطع، وهي مهمة لتحكمها بالطرق التجارية الذاهبة نحو الساحل الفينيقي، ونحو السهول الوسطى، انظر: أحمد(محمود عبد الحميد)، ص ١٦٤ .

1 - URK , IV . P . 647 ,12

٢ – الجبالي (هشام) ، تأسيس الإمبراطورية ، ط١، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ١٦٦ .

٣ – سعد الله (محمد علي)، ص ٢٥٥.

٤ – كلينغل (هورست)، ص ١٠٧.

٥ – برستد (جيمس هنري)، ص ١٩٠.

الأول من فصل "شمو" الربيع وكان أول مدينة خطط الملك لاقتحامها هي غزة "مح أن با حقا" .[١]

فاستطاع تحوتمس وجيشه أن يقطع المسافة البالغة ١٥٠ كم في مدة عشرة أيام. وهكذا يكون معدل التحرك في اليوم ١٥كم، وهذا تحرك جيد فوق طريق معظمها صحراوي والجيش يضم نسبة عالية من المشاة ومكث تحوتمس في غزة ليلة واحدة، ومن ثم اتجه شمالاً مخترقاً سهل سارون إلى مدينة يوحم (Yehem)* التي تبعد نحو ١٣٠ كم عن غزة.

وبالرغم من عدم التوصل لمعرفة تاريخ وصوله إلى يوحم، ولكن طبقاً لمعدل سيره السابق، يكون احتمال وصوله في اليوم العاشر من شهر "أيار"، ومن المحتمل أن تحوتمس الثالث قد سمح لجيشه أن ينال قسطاً من الراحة بضعة أيام، بعد سير استمر نحو سبعة عشرة يوماً، وخلال تلك الراحة كانت عملياته في الاستكشاف ومراقبة الأعداء جارية جرياً حثيثاً. تمكن خلالها أن يجمع عن الأعداء ثم دعا كبار ضباطه لعقد مجلس حربي يتشاور معهم في أنسب الطرق المؤدية إلى مجدو .[٢]

وكان أمام القيادة العسكرية المصرية ثلاثة طرق

أولاً : طريق يبدأ من يوحم ويتجه إلى مدينة عارونا*، مخترقاً جبل الكرمل، ليصل إلى أبواب مجدو.

ثانياً : طريق يتجه جنوباً مارا ببلدة طناخ، وهي على مسافة خمسة أميال جنوب شرق مجدو.

و**الطريق الثالث** : يمر مخترقاً بلدة زفتي وينتهي شمال غرب مجدو .[٣]

١ – لالويت (كلير)، نصوص مقدسة ودنيوية ، جـ ١، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٣٤ .

* – يوحم : مدينة تقع على بعد ١١٧ كم إلى الشمال من غزة ،وربما هي مدينة يما الحالية على السفح الجنوبي بجبل الكرمل. واحتاج الجيش إلى اثني عشر يوما للوصول إليها وأخذت سرعته تتباطأ كلما ابتعد عن قواعده ، راجع : لالويت (كلير)، ص ١٨١–١٨٢.

2 – Spalinger, Anthony, J , War in Ancient Egypt , Black well, London ,2005 , P 68.

* – عارونا : أخر محطة تل مجدو عند الخروج من الممر، تقع على بعد ٦ أو ٧ كم من الموقع ، انظر : لالويت (كلير)، ص ١٨٢ .

٣ – أحمد (عزالدين إسماعيل)، تاريخ الجيش المصري في عصور ما قبل التاريخ ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

كان تحوتمس قد قرر السير في الطريق الأول، أما ضباطه فأشاروا عليه باتباع أحد الطريقين الآخرين لأنهما أوسع من الأول حيث أجابوه قائلين: كيف يتسنى للمرء أن يسير في هذا الطريق؟ ذلك أن عددهم قد أمسى هائلاً، وهل يكون السير مستطاعاً إلا إذا سار الجواد والجندي إثر الجندي أيضاً ؟ وهل ستكون مقدمة الجيش بهذه الطريقة في ساحة القتال، في حين أن المؤخرة تكون هناك واقفة في "عارونا" عاجزة عن محاربة العدو؟ على أنه توجد طريقان أخريان، إحداهما واحدة تؤدي إلى " طناخ " والأخرى تقع في الجهة الشمالية من بلدة زفتي مؤدية إلى شمال "مجدو"، وبذلك لا نضطر إلى سلوك هذا الطريق الوعر. لكن تحوتمس بقي مصراً على رأيه وكان سبب إصراره على سلوك هذا الطريق أنه اعتقد أن نصح قادته العسكريين باختيار إحدى الطريقين الأخريين دليل على أن ذلك ما يتوقعه أعداؤه أيضاً لذلك أراد أن يتبع ما هو غير متوقع بسلوكه لهذا الطريق . لذلك قرر السير على الطريق[١] الضيق، كي يباغت عدوه المرابط في مجدو، وأصدر منشوراً لجيشه جاء فيه : "**إن سيدكم المظفر سيكون في مقدمتكم لاقتحام ذلك الطريق الوعر الضيق** " وتقدم تحوتمس بجيشه من هذا الطريق إلى مجدو، لكن العدو لم يكن مستعداً الاستعداد الكافي، وعسكر الجيشان هناك. وفي الفجر تقدم تحوتمس الثالث على رأس الجيش في عربة من الذهب الخالص، محلاة ومزينة بعتاد الحرب، مثل حور ذي الذراع القوي، وكإله الحرب منتو في طيبة ونشبت المعركة ، تقدم الملك المصري على[٢] رأس جيشه إلى الشمال، وكانت مؤخرة جيشه لا تزال في عارونا، فأشار ضباطه بأن ينتظر حتى تلتحق بهم مؤخرة الجيش فيبدؤون القتال، فأخذ بمشورتهم وأوقف وحداته الأمامية حتى وقت الظهيرة .[٣]

يبدو أن رؤية الملك تحوتمس الثالث في المرور عبر عارونا كانت فكرة صائبة إذ أن قوات العدو لم تتوقع الهجوم من هذه الطريق الضيقة التي يصعب على أي جيش الوصول منها إلى مجدو، وكل ما تمكنت القوات من أن تفعله هو المناوشة البسيطة مع القوات المصرية التي أنهت الاجتياز بنجاح بالغ، ليظهر الجيش المصري ويباغت جيش العدو .[٤]

١ – زكي (عبدالرحمن)، الجيش في مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ١٧٨- ١٧٩ .

2- Brihaye (pierrick) , Thoutmosis III le conquerant dun empire asiatique , Ie monde la bible , Paris , 1990 , numero 78 , p 3-4 .

٣ – زايد (عبد الحميد)، ص ٤٣.

4- Falukner, R ,The Battle of Megiddo, London, 1942 , p 8-9 .

وكان هذا العبور من أهم الاستراتيجيات العسكرية القديمة، التي قام بها الملك تحوتمس الثالث، وأنقذت الجيش من المواجهة العسكرية المباشرة .[١]

خسر السوريون فرصة لا تقدر بثمن لأنه كان في إمكانهم سحق المصريين تماماً فقد كان جناح الجنوبي في مدينة طناخ ظناً منهم بأن تحوتمس الثالث قد اتبع في سيره هذه الطريق إلى مجدو، ولولا ذلك لاستحال على المصريين الانحدار من الجبال والوقوف جنوبي مجدو. وبعد ذلك أصدر تحوتمس الثالث أوامره إلى جميع قواته أن تستعد بسرعة، وفي عصر ذلك اليوم (١٤ أيار) اغتنم تحوتمس الثالث فرصة وجود الأعداء في الجانب الشرقي من جيشه وزحف بجناحه الأيسر على الشمال الغربي لمجدو، وبذلك كان قد حفظ لنفسه خط الرجعة ماراً ببلدة زفتي في حال هزيمته، وكذلك اذا انتصر فهذا الطريق يمكنه من قطع خط الرجعة على أعدائه إذا حاولوا الفرار شمالاً. وفي فجر (١٥ أيار) أمر تحوتمس الثالث جيشه بالزحف والهجوم على العدو فاعتلى عجلته وسار في قلب جيشه، وانقض جيش تحوتمس عليهم وهو في مقدمة جيشه وأخذ يفتك بهم ويأسر أمراءهم أحياء ويغنم عجلاتهم المذهبة، ومن المؤكد أنه لو استمر تحوتمس الثالث بالهجوم على أعدائه بسرعة لتمكن من الاستيلاء على مجدو لكن انشغال جيشه بالأسلاب والغنائم مكن ملك قادش ومجدو من الدخول والتحصن داخل مجدو .[٢]

كان تحوتمس قد أصدر أوامره بحصار مجدو وخطب قائلاً " **لو استمررتم في الهجوم واستوليتم على هذه المدينة لقدمتم اليوم قرباناً عظيماً لأجل المعبود رع، فرؤساء البلاد العاصية جميعا موجودون الآن داخل هذه المدينة ولذا فإن الاستيلاء عليها كان بمثابة الاستيلاء على ألف مدينة** " فقام الجنود بتطويق المدينة وعملوا على مراقبتها مراقبة دقيقة ورفضوا أن يسمحوا لأحد من أهلها بالاقتراب من جيوش الملك إلا في حال قيامه بتسليم نفسه أسيرا. واستمر حصارها مدة سبعة شهور إلى أن استسلمت المدينة حيث أرسل الأمراء الموجودون فيها أولادهم حاملين الأسلحة للملك .[٣]

1 - Cormack, G , Egypt in Asia ,London, 1908, p 79 .

٢ – برستد (جيمس هنري) ، ص ١٩٠ – ١٩١.

٣ – أديب (سمير)، ص ١٦٧.

كان لموقع المدينة الحصين دور مهم في إطالة أمد الحصار، ولكنّ إحكام الحصار عليها وعدم وصول المساعدات إليها، إضافة إلى تدفق الإمدادات التي تواصلت إلى الجانب المصري مكّنهم من إسقاط المدينة .[١]

عفا تحوتمس الثالث عن أمراء المدينة إلا عن أمير قادش، وأخذ أبناء أمراء سوريا رهائن إلى مصر، كي يتلقوا التربية والتعليم فيكونوا أوفياء لملك مصر، وأعقب سقوط مجدو سقوط عددٍ كبيرٍ من المناطق الصغيرة، وكانت إحداهما منطقة بحيرة الجليل، التي فيما يبدو أنها كانت تمثل جزءاً من أراضي قادش، مما يوضح القوة العظيمة لهذه المدينة في ذلك الوقت .[٢]

تعد معركة مجدو معركة هامة حقق تحوتمس الثالث فيها نصرا كبيراً، وأوقف تقدم أعدائه بعدها، ونقش الملك أحداثها وقائمة بالغنائم التي حازها على جدران معبد آمون بالكرنك. حيث استولى على ٣٤٠ أسيراً و ٢٠٤١ فرساً و١٩٠ مهراً وعربة مغشاة بالذهب وقضبانها من الذهب من متاع العدو، إضافة إلى عربة جميلة مصفحة بالذهب يمتلكها أمير مجدو، و٩٢٤ درعاً من البرونز، ودرعا آخر من البرونز لأمير مجدو و ٥٠٢ قوس و ١٩٢٩ من الحيوانات الكبيرة و٢٠٠٠ عنزة، و٢٠٥٠٠ نعجة، ٢٠٧٣٠٠ كيس من القمح أخذها، وذلك بعد حصاده الأرض المزروعة حول مجدو .

بالإضافة إلى كل هذه السلع أحضرت إلى جلالته أيضاً ٤٧٤ من نسائهم و ٨٧ طفلا من أطفال العدو، بالإضافة إلى المحاربين الذين استسلموا بسبب الجوع الذي لاقوه والكثير أيضاً من الأطباق من الأحجار الكريمة وأقداح الشرب المختلفة، إضافة إلى الخواتم المذهبة والفضة، وستة كراسي للعدو من العاج والأبنوس وكلها مغشاة بالذهب ، ذكرت تفاصيل المعركة علئ لوحة أقامها الملك في جبل برقل بالقرب من الشلال الرابع.[٥]

وبعد هذه المعركة الناجحة عزم على تقويض سلطة قادش، وهي التي قاد أميرها التمرد الذي حرض عليه الملك الميتاني الحوري، لذا كان لا بد من مهاجمة أراضي الإمارة الممتدة من قادش شمالاً إلى

1- Cormack, G, op. cit, p 82-83
2 - Redford , D ,b ,The wars in Syria and Palestine of Thutmose III ,Boston, 2003,P ,322 – 323.

٣– أحمد (محمود عبد الحميد)، جـ ١، ص ١٧١.
٤ – زكي (عبد الرحمن)، ص ١٧١.
٥ – السيد (رمضان)، ص ٧٩.

الجليل شمال فلسطين، وبعد أن اخضعها ترك تحوتمس الثالث بها حامية عسكرية. وكذلك فعل في مدن "يانوم ونوجس وحرنكرو".

امتدت سلطة تحوتمس الثالث نتيجة ذلك إلى جبال لبنان شمالاً وتوغلت نحو الداخل حتى مدينة دمشق، وبعد هذه الحملة عاد تحوتمس الثالث إلى طيبة في أوائل تشرين الأول وكان محفوفاً بالتبجيل على نحوٍ لم ترَ البلاد أجلّ منه في أي عهد سابق. فقد أقام ثلاثة أنواع من " أفراح النصر " مدة كل منها خمسة أيام احتفالاً بنصره الآسيوي [١].

ولم يكتفِ تحوتمس الثالث بهذه الحملة، وإنما أتبعها بالعديد من الحملات فبلغت سبع عشرة حملة، ومن الأسباب التي دفعته للتوجه بحملاته إلى سورية بل أهمها، مواجهة القوة التي شكلها أمراء المدن السورية بزعامة أمير قادش، ورغبة في التخلص من التحريض الميتاني المستمر لهذه المدن. لتأكيد النفوذ المصري في تلك الأنحاء. ولاستعراض القوة العسكرية المصرية، ومن ثم القضاء على كل من يفكر في الخروج على الحكم المصري [٢].

وذلك الغزو كان يتم فيما يبدو طبقاً لخطة موضوعة مدروسة وإلا لما تحقق كل هذا النجاح لتحوتمس، لكنه لم يلجأ لمهاجمة ميتاني وهي التي مثلت العدو الحقيقي لمصر، إذ كانت تحرض كل الثورات ضدها، بل بدأ بإعداد مواقع هامة لاستخدامها كقواعد قوية يستطيع الانطلاق منها، حتى يتمكن من توجيه الضربة الأخيرة في نهاية الأمر [٣].

٢– الحملة الثانية

لم تكن حملة تحوتمس الثالث الأولى مع شدتها كافية للقضاء على ملك قادش لذلك فّضل أن ينظّم ويحمي ما أخضعه من بلاد أولاً ثم يزحف على أعدائه بعد ذلك. فكانت حملته الثانية في السنة الرابعة والعشرين من حكمه.

١– برستد (جيمس هنري)، ص ١٩٣ .

2 - Murnane, W , Arhetorical history the beginning of Thutmose III s firs compaign in western Asia , JARCE. xxvi (1989), p 184

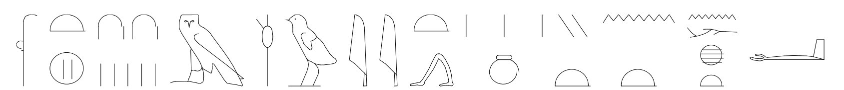
3– برستد (جيمس هنري)، ص ١٩٦ .

"العام الرابع والعشرون قائمة بالجزية التي أحضرت بواسطة خدم جلالته في البلد الأجنبي رتنو" .

حيث زحف تحوتمس الثالث في العام الرابع والعشرين بجيشه مخترقاً شمالي فلسطين وجنوبي سوريا وهناك قدم إليه حكام تلك الجهات مظهرين له ولاءهم وخضوعهم " حيثما طاف أو ضرب قبابه " . فقد تسلّم جزية رتنو التي اشتملت على الذهب والكروم، وأدوات مصنوعة من الذهب وأخرى من الفضة، بالإضافة إلى ماشية من أنواع عديدة، وأخشاب مختلفة، وتمّ له الحصول على الهدايا الكثيرة من ملك آشور الذي كان معه في حالة تحالف، كانت مؤلفة من اللازورد والأواني الحجرية الملونة والخيول والعربات، وكان السبب الأساسي وراء تقارب الجانبين المصري والآشوري هو عداؤهما المشترك للميتانيين. كما أن آشور كانت تريد المساعدة المصرية لها ضد بابل والحثيين [3] .

٣– الحملة الثالثة

كانت في السنة التالية (السنة الخامسة والعشرين من حكم تحوتمس الثالث) حيث ذهب إلى بلاد سورية وجعل همّه تنظيم أملاكه فيها، ثم عاد إلى طيبة وقد جلب معه بعض الأشجار والزهور والطيور والحيوانات النادرة [4] .



"حملة النصر الثالثة في العام الخامس والعشرين" [5] .

تخليداً للنباتات التي أحضرها معه، فقد كان الكثير منها يموت قبل وصوله بها إلى مصر، لذا فقد أمر فنانيه برسمها ثم جعل هذه الرسوم ضمن منظر من النقش البارز على جدران الغرف الصغيرة بمعبد آمون بالكرنك والتي تعرف الآن باسم الحديقة النباتية، وهي أقدم مدونة من الأعشاب، وقد بقي حتى الآن ١٧٥ نباتاً أو جزءاً من النبات منقوشاً على تلك الجدران. ومن خلال دراسة هذه النباتات المرسومة تبين أن بعضها قد رسم رسماً علمياً، أما القسم الآخر فقد اعتمد الفنان في رسمه على الخيال. وعرف منها الرمان والدجاج [6] .

1- URK , IV . P . 671 ,5.

٢ – برستد (جيمس هنري)، ص ١٩٦ .

٣ – محمود (أحمد عبد الحميد)، ص ١٧٦.

٤ – السيد (رمضان)، ص ٨٠ .

5 - URK . , IV . P . 671 (,6 ,7).

٦ – أديب (سمير)، ص ٢٦١ .

٤– الحملة الرابعة

كانت الحملة الرابعة حملة استطلاع مهمة للجيش المصري تم خلالها دراسة الساحل السوري، بغية تحديد الموانئ التي من الممكن استخدامها للوصول إلى مناطق قريبة من قادش، التي ظلت حتى ذلك الوقت بعيدة عن السيطرة المصرية. بغية استخدام الساحل السوري ثم التوغل منه نحو داخل سورية. غير أن مخطط الملك كان أبعد من مجرد الوصول إلى قادش، فقد أراد الوصول إلى بلاد الرافدين [١].

٥– الحملة الخامسة

لم ينسَ تحوتمس دور قادش في تجميع الأمراء السوريين لذلك كان قد صمم على الانتقام منها، ولكن اتضح له أن غزوه لقادش قد يعرضه للخطر إذا لم يخضع بلاد فينيقيا على ساحل البحر المتوسط، فلهذا شنّ هذه الحملة في السنة التاسعة والعشرين من حكمه . [٢]



"في العام التاسع والعشرين حملة النصر الخامسة" . [٣]

جهز أسطولاً بقيادة نب آمون، الذي أبحر إلى المدن الشمالية على شاطئ فينيقيا، فسلمت صور باتفاق ودي، كما سيطر على تونيب، وقامت وارثت*على الساحل الفينيقي بالثورة ضده فاتجه إليها وأخمد ثورتها مستولياً عليها، ثم اتجه إلى أرواد وحاصرها، ومع سقوطها جاء أمراء الساحل وأعلنوا الخضوع له وقدموا الجزية، وبهذا تمكن الجيش المصري من السيطرة على الساحل الفينيقي، وجعل منه قاعدة لأعمال حربية، هاجم فيها قادش فيما بعد. ورد ذكر الغنائم والأسلاب التي حازها في النقوش: **"تأمل كان جلالته في أرض زاهي* ليخضع البلاد الأجنبية الثائرة عليه في حملته الخامسة، وتأمل**

١ – زايد (عبد الحميد) ، جـ ٢، ص ٤٨

٢ – برستد (جيمس هنري)، ص ١٩٦.

3 - URK . , IV . P 685,3

*– وارثت : غير معروفة الموقع، ولكن يبدو أنها قلعة مدينة من أجل تونب التي يبدو أنها تقع في السهل السوري الشمالي، وقد كان فيها معبد لآمون بناه أحد الملوك السابقين لعهد تحوتمس الثالث، انظر : أحمد(محمود عبد الحميد) ، ص ١٧٨

*– زاهي : تقع على الساحل الفلسطيني تمتد من عسقلان إلى لبنان، انظر: أحمد(محمود عبد الحميد)، ص ١٥٢ .

أن جلالته استولى على وارثت...، وهلل هذا الجيش لجلالته، كما قدم للإله آمون لما وهبه من نصر لابنه، وكان ذلك ساراً لقلب جلالته أكثر من أي شيء، وعلى إثر ذلك اتجه جلالته نحو مخازن القربان ليقدم القربان للإلهين أمون حوار آختي من ثيران وطيور لأجل فلاح وعافية منخبرع تحتمس العائش مخلدا. أيضاً : وفي قائمة الأسلاب التي استولى عليها رجاله من العدو صاحب مدينة تونب أمير المدينة ثلاثمائة وستة وعشرين محارباً ومائة دنب من الفضة ومائة دنب من الذهب هذا إلى جانب لازورد وفيروز وأواني من البرونز" كما يذكر أنه خلال عودته قام بالاستيلاء على سفينتين:" **تأمل أنه استولى على سفينتين مجهزتين بتجارتهما، ومحملتين بكل شيء من عبيد وإماء ونحاس وقصدير وكل ما طاب "، وجاء في نهب أرواد : "تأمل جلالته نهب مدينة أرواد بما فيها من حبوب، كما قطع كل أشجارها الجميلة. تأمل لقد وجد كل منتجات بلاد زاهي فكانت حدائقها محملة بالفاكهة، وأن نبيذها بقي في معاصرها يسيل كالماء، كما كانت حبوبها مكدسة في أجرائها أكثر من رمال الشاطئ، وقد غمر رجال الجيش بأنصبتهم**" وذكرت النقوش عن الجزية التي أحضرها أمراء الساحل الفينيقي : " **أحضروا واحدا وخمسين من العبيد والإماء واثنين وثلاثين جوادا، وعشرة أطباق من الفضة. كذلك أحضر أربعمائة وسبعين إناء من الشهد، وستة آلاف وأربعمائة وثمانية وعشرين إناء من الخمر ونحاس وقصدير ولازورد وفلسبار أخضر، ونحو ستمائة وثماني عشرة من الماشية الكبيرة، وثلاثة آلاف وستمائة وستٍ وثلاثين رأساً من الماشية الصغيرة ورغفانا مختلفا أنواعها وقمحا نقيا وحبوبا مطحونة وكل فاكهة جميلة من هذه البلاد. تأمل أن جنود جلالته كانوا ثملين، ومعطرين بالزيوت كل يوم كأنهم في عيد في مصر** " [١] .

ولعل هذه الحملة كانت الأكثر فائدة منذ حملة مجدو إذ أنها مكنت الملك من إعادة السيطرة على الساحل، مما سيسهل عليه المهمة القادمة المتمثلة بإخضاعه قادش، وقد كان لضم الموانئ السورية دور في نجاحها [٢] .

٦– الحملة السادسة

كانت الحملة في العام الثلاثين من حكم الملك تحوتمس الثالث.

١– حسن (سليم)، جـ ٤ ، ص٤٢٦– ٤٢٨ .

٢ – إبراهيم (نجيب ميخائيل)، مصر والشرق الأدنى القديم، جـ١ ، دار المعارف، ط٢ ، ١٩٥٨، ص٦٨.

"**في العام الثلاثين حملة النصر السادسة** " [١].

كانت وجهته قادش المدينة الأكثر قوة في وسط سورية، والأكثر تحصيناً بين المدن السورية الأخرى التي واجهتها. ويسهل القضاء عليها، الهدف الثاني للملك وهو الوصول إلى الخط الأمامي للمواجهة مع الميتانيين الحوريين، فكان لا بد من تجاوز الخطر المتمثل بقادش التي كان لها دور الموالاة للميتانيين. فكانوا يحرضون القوى السورية ضد المصريين. وكان الملك يدرك الأهمية التي يمتاز بها موقع المدينة، فهي محاطة بالعاصي وبالروافد الصغيرة له، مما يجعل الدفاع عنها أمراً عسيراً. ونتيجة لأن سكان المدينة حفروا قناة بين النهر وأحد الروافد أصبحت المدينة بكاملها كجزيرة عصية على المهاجمين، كما لها أهمية استراتيجية تجعل من موقعها نقطة تحكم بالتجارة بين الساحل الفينيقي وبلاد الرافدين، وهي المدخل الشمالي للبقاع والمنفذ المؤدي إلى الشمال السوري [٢].

ومع كل التحصينات التي تمتّعت بها المدينة إلا أن الملك المصري كان قد فرض الحصار عليها واستعمل الطريقة نفسها التي استعملها في حصار مجدو وتتمثل بقطع الأشجار من الغابات وتشييد سور محكم حولها بمراقبة جيشه لها من الخارج مستمداً غذاءه من خيرات حقولها المجاورة، واستمر هذا الحصار طيلة فصل الربيع حتى زمن الحصاد، ولما طالت مدة الحصار ظن أهالي شاطئ فينيقيا أن تحوتمس الثالث هزم، فامتنعت أرواد عن دفع الجزية لمصر فلما سقطت قادش، أسرع بجيشه نحو سميرا ثم توجه إلى أرواد لمعاقبتها [٣].

ولما حل فصل المطر عاد تحوتمس إلى طيبة مصطحباً بعض أبناء الملوك وحكام شمال سوريا ليعلمهم بطيبة كما فعل سابقاً بأولاد حكام المستعمرات الجنوبية، وجاء في النقوش عن تلك الحملة : "**تأمل كان جلالته في بلاد رتنو في حملته المظفرة السادسة. وصل جلالته إلى مدينة قادش فاستولى عليها، واجتث أشجار خمائلها، وحصد غلاتها، ثم سار إلى بلدة سيميرا*، ثم وصل إلى بلدة أرواد، وفعل بالمثل** " أيضاً : " **تأمل أن أولاد الأمراء وإخوانهم سيقوا إلى المعاقل المصرية تأمل أن كل من مات من بين هؤلاء الأمراء كان جلالته ينصب ابنه مكانه** ويستمر النص : "**ستة**

1- URK . , IV . P 689,3 ,5

٢ – شارف (الكسندر)، تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى بناء مدينة الإسكندرية، جـ١، ترجمة عبد المنعم أبو بكر،القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٢٧.

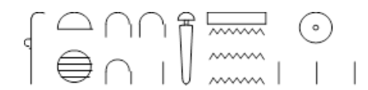
٣ – برستد (جيمس هنري)، ص ١٩٧ – ١٩٩ .

*– سيميرا : مدينة فينيقية تقع على شاطئ البحر المتوسط بالقرب من أرواد في شمالها حالياً تل الكزل، انظر: عبودي (هنري . س)، ص ٤٩٣ .

وثلاثون رجلا ومائة وواحد وثمانون من العبيد والإماء ومن الخيل مائة وثمانون وأربعون عربة مصفحة بالذهب والفضة المطلية بالألوان" .[١]

وفي السنة التالية وهي الحادية والثلاثين من حكمه، قضى تحوتمس على كل الحركات التي قامت بها بلاد فينيقيا فقد كان عليه القضاء على تمرد وعصيان ميناء أولازا* من خلال التحالف مع بلدة تونب. إضافة لتأمين ما أحرزه من نصر في الحملات السابقة وكان ذلك في .[٢]

٧– الحملة السابعة



"**وكانت في العام الحادي والثلاثين في اليوم الثالث من الشهر الأول من فصل الصيف** " .

قصد فيها تحوتمس ميناء أولازا Ulalaza القريبة من سميرا في الجزء الشمالي من الساحل السوري، لإخماد عصيان أبداه بتحريض من ملك تونب (بعلبك) وقد وصل تحوتمس إلى الميناء وأخضعه بسرعة، وأسر أحد أنجال ملك تونب خلالها، ثم أتى إليه حكام المدن المجاورة كالمعتاد مظهرين ولاءهم له وخضوعهم. وبلغ ما استولى عليه منهم ومن المدن المجاورة ما يقارب ١٨٥ رطلاً من الفضة وكميات كبيرة من خيراتهم الطبيعية، ثم تنقل من ميناء إلى آخر منظماً الإدارة باذلاً همته بأن تكون المرافئ مزودة بالأغذية الكثيرة في السنة المقبلة حيث عزم على غزو بلاد النهرين.

وقد أشارت النصوص المصرية إلى أهمية الحملة، إذ أنها سمحت للمؤن والعتاد أن تصل إلى الحاميات المصرية مشيرة إلى ذلك بالقول :" **تأمل أن كل ثغر وصل إليه جلالتي كان قد مد بالخبز الجميل وبالزعفران المتنوعة**"، إذ يبدو أن الثائرين على الحكم المصري كانوا في بعض الأحيان يمنعون وصول الإمدادات إلى الحاميات المصرية " .[٤]

وباستيلاء تحوتمس على أولازا جعل منها موطئ قدم ثابتاً للقوة المصرية في سورية، ونقطة انطلاق للحملات العسكرية في المستقبل، فقد وضعت حامية مصرية في هذه المدينة، مما سمح بأن يتم شحن

---

١ – حسن (سليم)، جـ٤ ، ص ٤٣٠ .

*– أولازا : مدينة فينيقية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، إلى الشمال من طرابلس اسمها الحالي أرض أرتوزي، انظر: عبودي (هنري . س)، ص ١٦٨ .

٢ – نور الدين (عبدالحليم)، ص ٢٠٢.

3 - URK ,VI , . P 690 , 14 .

٤ – حسن (سليم)، جـ ٤، ص ٤٣١.

خشب الأرز من لبنان إلى وادي النيل، كما وشيد المصريون العديد من الحصون على الساحل إلى الشمال من جبيل وتزودوا جيداً بالمواد الغذائية الكافية للحفاظ على حامياتهم، كما وزودوا الجيش المتجه إلى داخل سورية .[١]

٨– الحملة الثامنة

تطلبت الاستعدادات الحربية التي اتخذها تحوتمس الثالث لغزو بلاد النهرين سنة كاملة بعد رجوعه إلى مصر فتأخر بذلك إلى ربيع السنة الثالثة والثلاثين من حكمه



"حملة النصر الثامنة في العام الثالث والثلاثين" [٢]

انطلق بجنده بحراً حتى وصل إلى ميناء سيميرا فأنزل بها قواته، وزحف باتجاه داخل في البلاد للمرة الثانية متبعاً طريق قادش ، أراد أن يتقدم أبعد مما وصّلت إليه سلطة (تحوتمس الأول) الذي أراد أن يتجاوز الفرات .[٤]

فكان أول تحرك للغزو بالاتجاه شمالاً، واستولى على قطنا(Katan)*في هذه الأثناء نشبت المتاعب والاضطرابات في جنوب فلسطين فأرسل الملك قوة عسكرية لإخمادها بقيادة (امنمحاب)*، فنجح في قمع الثورة واستولى على ثلاثة من الأسرى، برغم عدم تواجد تحوتمس الثالث بشخصه في هذه الحملة والدليل على ذلك أن الحوليات لم تذكر اسمه، ثم اتجه (امنمحاب) إلى الشمال كي يلتحق بسيده في سوريا، مشاركاً إياه في المعركة عند مرتفعات وان بالقرب من حلب، وأخذ معه الأسرى الثلاثة كي يقدمهم إلى الملك، حيث يسجل (امنمحاب) أنه أخذ ١٣ من الأسرى و ٧٠ حمارا وعدداً من الأسلحة البرونزية. أما الحدث الثاني فكان الاستيلاء على مدينة كركميش، فضمن له عبوراً آمناً، حيث خاض

١ – كلينغل (هورست)، ص ١٠٨

2 - URK . , IV . P 696 , 15.

٣ – برستد (جيمس هنري)، ص ٢٠٠.

4 - Faulkner ,R ,O ,The Euphrates campaign of Tuthmosis III ,Vol 32, London ,1946 , P , 40

* – قطنا : المشرفة حالياً وهي تبعد ١٨ كم شمالي شرقي حمص . انظر: أحمد(محمود عبد الحميد)، جـ١، ص ٩٢ .

* – امنمحاب : ضابط خدم في عهد تحوتمس الثالث وترجع أهمية نقوش قبره إلى وصف حروب الملك تحوتمس وإحضار الجزيات وصرف المؤن للجيش وكانت زوجته مربية للملك امنحوتب الثاني. انظر: فكري(وائل)، ص ٢٨٥ .

الملك معركة ضد قوات من مملكة ميتاني، وكانت النتيجة هزيمة الجيش الميتاني وتدمير بلدان في المنطقة (أي في منطقة نهارينا) وقطع أشجار مثمرة [١].

ثم تتبّع العدو شرقي الفرات، وعبر تحوتمس الثالث نهر الفرات على سفن قام ببنائها في بيبلوس، ناقلاً إياها على عربات ثم أعيد تركيبها في كركميش، لأنه يكاد يكون من المستحيل نقل السفن كاملة التركيب مسافة ٤٠٠ كم على طرق بدائية جداً. ويعد الدليل الأكبر على عبقرية تحوتمس الثالث العسكرية، حيث فكر ونفذ فكرة نقل جيش مهاجم عبر النهر [٢]، وبعد ذلك جرت الحرب وانتهت بانتصار المصريين. فقد جاء في نص قصير بخصوصها ما يلي " **ثم تابع أثرهم مبحراً مسافة إتر* ولم يلتفت واحد منهم خلفه، ولكن فر بسرعة مثل أسراب الطيور البرية** " ويظهر من هذا أن الميتانيين تفادوا الاصطدام المباشر مع المصريين، بانسحابهم إلى المناطق الداخلية في مملكتهم، فقد جاء في نصب جبل برقل ما يلي " **يحق للملك أن يكون فخوراً بمقدار نجاح ساعديه في العراك، إنه هو الذي اجتاز المنحنى العظيم في مطاردة ذلك الذي هاجمه عندما كان معظم جيشه يبحث عن ذلك العدو الخسيس في أقطار ميتاني عندما كان هارباً أمام جلالتي إلى أرض أخرى، وكان بعيداً بسبب الخوف**" [٣].

ومن بعدها نصب حجرا يخلد انتصاره، وقبل عودته إلى مصر قام بإخضاع الولايات الصغيرة في الشمال، وكانت لانتصار تحوتمس أهمية كبيرة حيث تسابق أمراء كل من بابل وخيتا لتقديم الهدايا بقصد عرض الصداقة، والتقرب إلى مصر عقب انتصاره [٤].

يبدو أن دولة ميتاني ظلت محافظة على سيادتها، وعدم ذكر تفاصيل المعركة يدل على أن تحوتمس كان يهدف من وراء غزوته تأمين حدوده فقط، واستعراض قوته العسكرية أيضاً فالواضح أن تحوتمس الثالث لم يتوغل بعمق إلى داخل أراضي ميتاني، ولم يصل إلى عاصمتها. وذكر عن حملته : " **عبر جلالتي إلى الحدود القصوى بآسيا، وقد عملت على بناء سفن كثيرة من خشب الأرز على تلال أرض الله بالقرب من بيبلوس. لقد وضعوا على عربات تجرها ثيران، واستعرضوا أمام جلالتي، وذلك**

١ – قدري (أحمد)، ص ٢٤٨.

٢ – كلينغل (هورست)، ص ١٠٨.

*– إتر : ومن المحتمل أنه يساوي ٢ كم. انظر: أحمد(محمود عبد الحميد)، جـ ١، ص ٩٣.

٣ – أحمد (محمود عبدالحميد)، ص ٩٣.

٤ – فخري (أحمد)، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٢٨١.

ليعبروا النهر العظيم الذي يجري بين هذا القطر ونهرين ونى، لكن ملك يتباهى بقوة ذراعيه في الحرب .... عبر الفرات ليتبعه وليقضي عليه إنه الأول بين جيشه الذي يبحث عن ذلك العدو الخسيس على جبال ميتاني بينما يهرب خوفاً من جلالته إلى منطقة أخرى بعيدة ".

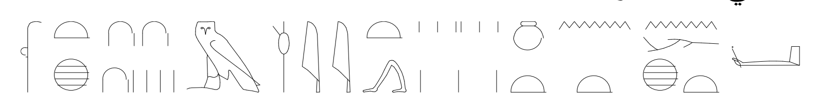
وبعد ذلك أقام جلالته لوحاً على جبل نهرين قطعت من الجبل الذي يقع على الجانب الغربي للفرات .

"السنة الثالثة والثلاثون تأمل كان جلالته في بلاد رتنو، ثم وصل إلى إقليم قطنا في حملته الثامنة المظفرة، سار جلالته إلى بلاد نهرين في مقدمة جيشه شرقي هذا النهر، وأقام لوحة أخرى بجوار اللوحة التي نصبها والده عاخبر كارع (تحوتمس الأول) ملك الوجه القبلي والوجه البحري. تأمل أن جلالته سار شمالاً متغلباً على البلاد ومخربا أقاليم نهرين التابعة للعدو الخاسئ ... وبعد ذلك انحدر شمالاً مقتفيا أثرهم مسافة أثر فلم يلتفت واحد منهم خلفه، لكنهم أرخوا لسيقانهم العنان كأنهم قطيع بقر الوحش. تأمل أن خيلهم هربت" .[٢]

وهكذا فإنّ حملة تحوتمس الثالث الثامنة كانت مظفرة، إلا أنها لم تؤد إلى جعل المناطق السورية الواقعة شمال سهول حمص جزءاً من الإمبراطورية المصرية، وذلك دليل على أن النجاح كان مؤقتاً، حيث أن تحوتمس الثالث، أجبر على القتال، مرة أخرى في سورية خلال سنة حكمه (الرابع والثلاثين) .[٣]

٩– الحملة التاسعة

كانت في السنة الرابعة والثلاثين من حكمه



"حملة النصر التاسعة في العام الرابع والثلاثين" .[٤]

صمم تحوتمس الثالث على غزو تلك البلاد، لكن لا يوجد ذكر لأي معركة، واستولى على ثلاث مدن في قسم نوجس Nuges*، كذلك استولى على خيرات كثيرة، وأسرع إليه حكام سوريا مظهرين ولاءهم

---

١ – زايد (عبد الحميد)، ص ٥٠

٢ – حسن (سليم)، جـ ٤، ص ٢٣٧.

٣ – كلينغل (هورست)، ص ١٠٨ .

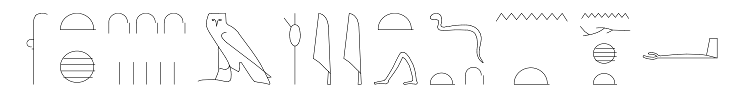
4 - URK , IV . P 703 , 15.

*– نوجس : يقع جنوب لبنان، انظر : أحمد(محمود عبد الحميد)، ص ١٨٥.

وخضوعهم كالعادة ومحضرين الجزية الثمينة، وقد شملت على مائة وثماني سبائك من النحاس يقرب وزن كل منها أربعة أرطالٍ، علاوة على كميات كبيرة من الرصاص والأحجار الكريمة أرسلها ملك قبرص، نتيجة السيطرة البحرية التي أصبحت الدولة تمتلكها . ثم تفقد الموانئ التابعة له[١]على ساحل البحر الأبيض المتوسط الشرقي، وملأها بكل شيء طيب، مما تسلمه من إقليم "زاهي" ومما حملته سفن كفيتو*، وبيبلوس*، وكانت سفن سكتيو (SK–tw)* المصنوعة من خشب الأرز، محملة بالأعمدة والعوارض بالإضافة إلى خشب مسطح من أجل مشروعات جلالته.

١٠- الحملة العاشرة

ثارت بلاد نهرين وعادت إلى التمرد والعصيان، إذ اجتمعت القوات السورية و الميتانية في أسفل العاصي في موقع سمته المصادر المصرية أرينا Araina. إلا أن النصر كان فيه للملك وأنهزم التحالف الميتاني مع المدن السورية من جديد .[٢]



"**حملة النصر العاشر في العام الخامس والثلاثين**" .[٣]

وقد جاء في النصوص القديمة ما يلي : " **العام الخامس والثلاثون من حكم جلالته، في أرض زاهي " شمال فينيقية" وفي الحملة العاشرة المظفرة وصل جلالته إلى مدينة أرينا حيث وجد أمير نهارين الخاسئ قد جمع الخيل والناس ثم تقدم جلالته لمحاربتهم وقد تساقطوا أمامه الواحد تلو الآخر**" .

١١- الحملة الحادية عشرة والحملة الثانية عشرة

---

١ - برستد (جيمس هنري)، ص ٢٠١.

*- كفيتو : جزيرة كريت، أو ساحل البحر المتوسط الشرقي. أحمد(محمود عبد الحميد)، جـ١، ص ٩٦.

*- بيبلوس : الميناء الفينيقي (جبيل حالياً). أحمد(محمود عبد الحميد)، جـ١، ص ٩٦.

*- سكيتو فقد اقترح بعضهم أن يكون متوازناً مع رأس أشكا جنوب طرابلس. انظر: أحمد(محمود عبد الحميد)، جـ١، ص ٩٦.

2 - Monica, M. D, Thoutmosis III leplus grand des pharaons some pauque sarie satombo, Paris, 1991 , p 85 .

3 - URK , IV . P 709 , 15 .

4 - Breasted, J, A history of the Ancient Egyptians, London ,1915, p 208.

وقعتا في السنة السادسة والثلاثين و السابعة والثلاثين، لكن وجد النص مشوهاً لذلك لم نعرف أخبارهما .[١]

١٢- الحملة الثالثة عشرة

كانت قد حدثت في السنة الثامنة والثلاثين من حكم الملك، وكانت لإخماد الثورة التي قامت بها بلدة نوجس Nuges الواقعة في جنوب لبنان .[٢]

ورد في ذكرها: "**السنة الثامنة والثلاثون. تأمل سار جلالته إلى بلاد زاهى في حملته الثالثة عشرة المظفرة، قد أخضع جلالته بلدة .. ، هذا إلى جانب البلاد التي في إقليم نوجس،** وعن الغنائم : **قائمة الغنائم التي أحضرها جيش جلالتي من نوجس، خمسون أسيرا... وخيلا ... ، وعربات مصفحة بالذهب والفضة، ومجهزة بأسلحتها. هذا إلى الذين في إقليم نوجس مع زوجاتهم و أولادهم**"

كما قام بتموين الثغور إذ يرد على لسان الملك قوله: "**وقد موّنتُ الثغور بكل شيء طريف على حسب ما ضرب لها سنويا في خلال سياقة السفن منها شمالا وجنوبا وكذلك حصاد بلاد زاهى من غلال وزيت وكندر ونبيذ وشهد** " .[٣]

١٣- الحملة الرابعة عشرة:

وقعت في السنة التاسعة والثلاثين من حكم تحوتمس الثالث .



"**حملة النصر الرابعة عشرة في العام التاسع والثلاثين**" .[٤]

حيث ذهب إلى جنوبي فلسطين لتأديب البدو الشاسو الذين رفضوا دفع الجزية، وفي هذه الحملة تسلم الجزية السورية، والتي تألفت من العبيد واللازورد والخيول وزيت الزيتون والحيوانات على مختلف أشكالها ....الخ.

---

١ - زايد (عبد الحميد)، ص ٥٢ .

٢ - قدري (أحمد)، ص ٥٧ .

٣ - حسن (سليم)، جـ ٤ ، ص ٤٤٦ .

4 - URK . , IV . P 721 , 9 – 10.

وجاء في النصوص المصرية ما يلي " **تأمل كان جلالته في أرض الرتنو في حملته الرابعة عشرة الظافرة، بعد أن ذهب لضرب الشاسو الخاسئين**" .[١]

وبقي شمال سورية الهدف الرئيسي للنشاطات العسكرية المصرية في سورية، وكانت المواقع الساحلية قواعد مناسبة لانطلاق الغارات إلى داخلها. كان تحوتمس الثالث شديد الحرص على تأمين المؤن وكل التجهيزات الضرورية الأخرى لهذه الأماكن، ويحصل عليها جزئيا من الضرائب، التي يدفعها الحكام السوريون، والتي ترسل بخاصة إلى لبنان. وبالرغم من ذلك فقد حدثت في هذه المنطقة ثورة ضد السيادة المصرية بتأييد من مملكة ميتاني .[٢]

١٤ – الحملة الخامسة عشرة

كانت في السنة الأربعين من حكمه، وغالباً أنه لم يقم تحوتمس الثالث فيها بحرب وإنما كان هدفه فقط جمع الجزية، فقد جاء فيها ذكر أوزان كبيرة من الذهب .[٣]

وكانت الجزية من أمراء الرتنو كالآتي : "**السنة الأربعون تأمل ذهب جلالته إلى بلاد ... في حملته المظفرة ...، قائمة جزية أمراء رتنو التي أحضرت بقوة جلالته في السنة الحادية والأربعين ...، أربعون قالبا من القصدير وسيوف اقحو بلطه وحراباً مرصعة بالجمشت ....، من هذه البلاد، وثماني عشرة سنا من أسنان الفيلة، و ٢٤١ شجرة خروب، و ١٨٤ في كل سنة.**

هذا إلى محصول جاهى كذلك من بروكندر ...، جزية أمير الخيتا هذا العام .. ذهب .. وفضة ..."

١٥ – الحملة السادسة عشرة :

وقعت أحداثها في السنة الحادية والأربعين من حكم الملك، والنصوص التي تتحدث عنها لا تتضمن سوى جداول عن جزية تقليدية من رتنو وخاتي العظمى.

١٦ – الحملة السابعة عشرة:

وقعت حوادثها في السنة الثانية والأربعين من حكمه، حيث واجه حلفاً مؤلفاً من تونب Twnpوقادش Kdsw ونهارين.

---

1 - Breasted , J , op. cit., p 211 .

٢ – كلينغل (هورست)، ص ١١٠.

٣ – زايد (عبد الحميد)، ص ٥٣.

٤ – حسن (سليم)، جـ ٤، ص ٤٥٠ .

وقد بدأ المعركة باحتلال ميناء عرقات *على الساحل السوري، ثم توجه شمالاً إلى مدينة تونب وقضى على التمرد فيها ومن هنا اتجه نحو قادش، وألقى الحصار عليها، ويروي هذا امنمحاب أن أمير قادش أطلق فرساً أمام جياد الفرعون لتحقق الفوضى في جيش الملك ولكن امنمحاب فطن إلى هذه الحيلة فقفز عن عربته وتابعها ركضا على قدميه إلى أن أدركها وشق بطنها، وقطع ذيلها، ووضعه أمام الملك، الذي أثنى عليه كثيراً .[١]

اقتربت خطوط دفاع تحوتمس الثالث وضيقت الحصار على قادش ثم أصدر الأمر إلى رجاله في هدم أجزاء من سور المدينة بقيادة امنمحاب. وقامت الجنود بهدم أجزاء من السور الذي تدفقت منه القوات المصرية وفي مقدمتهم امنمحاب، وسيطرت على قادش وهكذا خضعت أقوى مدن سوريا. حينئذ سلم لتحوتمس الثالث جنود نهارين الذي قدموا لمساعدة قادش. ووضع هذا النصر حداً للمنازعات بين مصر وميتاني لمدة عشر سنوات، فكان لهذا النصر أصداء كبيرة. ولكن على الرغم من الحملات الناجحة للجيش المصري، فإن السيطرة السياسية المصرية الدائمة، انحصرت في خط يمتد من الساحل عبر سهل عكار إلى منطقة حمص الحالية، ووجد النفوذ المصري على الساحل موطئ قدم حتى أوغاريت في الشمال، أما بالنسبة لداخل سورية، فإن الأجزاء الشمالية والوسطى بقيت خاضعة لنفوذ مملكة حوري ميتاني، وتوقفت نشاطات تحوتمس الثالث في سورية خلال سنوات حكمه الأخيرة .

وهكذا استطاع تحوتمس الثالث تحقيق الكثير من الانتصارات ويعود الفضل في ذلك إلى التنظيم والتكتيك الحربي عند المصريين. وإلى التفتت السياسي في سورية أيضاً، بينما كانت مصر متحدة تحت حكم مركزي .[٣]

كان الجيش رهن إشارة الملك وعلى استعداد تام للزحف أينما أراد. بالإضافة إلى أن موانئ الساحل الفينيقي كانت مزودة بالمعدات والذخيرة، منذ خضوعها للملك في حملته الخامسة، وبذلك كان من السهل أن ينزل العقاب السريع على كل من يحاول عصيانه .[٤]

* – عرقة : تقع شمال شرقي طرابلس الشام. انظر: أحمد(محمود عبد الحميد)، جـ١، ص ٩٩.
١ – أحمد (محمود عبد الحميد)، ص ١٨٦ .
٢ – كلينغل (هورست)، ص ١١١.
٣ – سيف الدين (ابراهيم نمير و آخرون) ، مصر في العصور القديمة ، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة مدبولي ، ط٢، القاهرة ، ١٩٩٨م، ص ٨٧ .
٤ – زايد (عبدالحميد)، ص ٥٩ .

وقام تحوتمس الثالث بتنظيم للمنطقة عسكرياً وسياسياً، فقد عيّن لكل منطقة مشرفاً ومفتشين في كبرى المدن. كانت الحملات تتم غالباً في أوقات نضج المحصول وحصاده مما أمن المؤنة للجيش .

وأفرزت حملات تحوتمس الثالث الكثير من النتائج حيث أوضحت للميتانيين، أن لا جدوى من الاستمرار في المواجهة المباشرة مع المصريين كما حصل في معركة كركميش، كما أنه لا جدوى من المواجهات غير المباشرة معهم متمثلة بدعمهم للحركات الاستقلالية الثائرة، كما حصل في "مجدو وقادش"، لتنتهي المنافسة بين الجانبين، كما ساد الهدوء المنطقة بسيطرة الملك على الموانئ البحرية على السواحل [٢] .

كما أن حملات الملك التي استغرقت أكثر من عشرين عاماً أدت إلى اتفاق معين بينه وبين الميتانيين، وإن كنا لا نملك الدليل القاطع على ذلك إذ يبدو أن الاتفاق نص على أن يتولى المصريون السيطرة على الجنوب السوري من فلسطين إلى مناطق حوض العاصي متضمنة الساحل. بينما كان للميتانيين السيطرة على الشمال السوري وأهم مدنه كركميش وحلب، ويبقى الأمر بعيداً عن التأكيد إلا أن الاستقرار الذي حل بالمنطقة يوحي بأن الوضع كان كذلك [٣] .

كما أدت سياسته التوسعية إلى مهابته من قبل القوى الأخرى البعيدة عن مسرح الصراع في تلك الفترة مثل آشور الدولة الطموحة التي كانت تتحين الفرص لإعادة الأمجاد التي كانت لها قبل ظهور القوة الميتانية، فقد كانت آشور حليفاً أساسياً لمصر ولهما عدو مشترك هم الميتانيون. لذلك كان الملك الآشوري يريد التقرب إلى الملك تحوتمس الثالث.

فعمد إلى إرسال الجزية إلى تحوتمس الثالث في العام الثالث والعشرين من حكمه كما أرسل إليه ثلاث كتل من اللازورد، وأنواعاً من الأحجار الكريمة الأخرى، وقد استمرت آشور في إرسال الجزية إلى مصر حتى في عهد ملكها القوي آشور أوباليط ١٣٧٠ ق.م، الذي واظب على إرسالها إلى ملك مصر امنحوتب الثالث [٤] . لذا نجد العاهل الآشوري يُرسل إلى الملك رسائل الود بغية التقرب منه، إذ نجد

---

١ – ف. دياكوف ، الحضارات القديمة، ترجمة تسنيم واكيم اليازجي، جـ١، دار علاء الدين، ط١، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ١٣٩ .

٢ – زايد (عبدالحميد)، ص ١٧٠ .

٣ – شارف (الكسندر) ،جـ١، ص ١٢٨ .

٤ – سعد الله (محمد علي)، ص ٢٦٤ .

الملك يتلقى منه في العام الثالث والعشرين من حكمه الهدايا القيمة من اللازورد والأحجار الكريمة كنوع من التقرب وإعلان الولاء .[١]

وبذلك يكون اسم تحوتمس الثالث مضرباً للأمثال لمدة طويلة من الزمن، ولا عجب في ذلك فهو من قام خلال عشرين سنة بسبع عشرة حملة قضى بها على كل مقاومة له في البلاد الآسيوية.

1 - Liverani, M , Le lettere di el-Amarana paideia Brescia , 1999 , p 15 .

ثانياً : الأوضاع العامة في بلاد الرافدين

الأوضاع الداخلية

١- الدولة البابلية الأولى (١٨٩٤- ١٥٩٥ ق.م)

دخل البابليون بلاد الرافدين مع موجات الأموريين منذ أواخر الألف الثالث ق.م. وذكرتهم النصوص السومرية باسم "مارتو Martu، والنصوص الأكادية باسم "أموروم Amurrum وكلتا التسميتين تعنيان جهة الغرب وهي الجهة التي قدموا منها .[١]

انتشر البابليون في أراضي سومر وأكاد واستقروا فيها، وأسسوا مملكة عرفت باسم المملكة البابلية الأولى، واتخذوا من بابل* عاصمة لهم وكانت ذات موقع تجاري هام عند ملتقى نهري دجلة والفرات جعلَتْ لها أهمية تجارية عسكرية، ولم تكن ذات أهمية من قبل. سكنها البابليون فأحالوها حاضرة كبيرة وأطلقوا عليها اسم بابل . كان لاختيار العموريين بأبل عاصمة لهم أسباب عدة منها وقوعها وسط بلاد الرافدين، حيث المناطق التي يتركز فيها العمران والسكان.

بالإضافة إلى منعتها الجغرافية. فمنها تمتعها بطريق لري الأراضي الصالحة للزراعة في بابل وما يحيط بها. وكذلك وقوعها على نهر الفرات، وهو نهر صالح للملاحة، الأمر الذي عاد بفائدة كبيرة على التجارة والملاحة في آن واحد.

أدى ذلك كله إلى ازدهار المدينة وخاصة في عهد الدولة البابلية . وقد عرفها السومريون باسم[٣] (كا – دنجير – را) وعرفها الأكاديون باسم (باب اليم) أي (بوابة الإله). وقد ذكرت لأول مرة بهذا الاسم في أواخر القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد، عندما بنى فيها الملك الأكادي (شاركالي شاري)

---

١ – مرعي وعبدالله (عيد وفيصل) ، تاريخ بلاد الرافدين ، جامعة دمشق، دمشق ، ٢٠١٤، ص ٢٥٠.

2 - J. Finegan, Light from the ancient past,vol, 1969, p. 53 .

* – بابل : تقع بابل عند أسفل ملتقى النهرين على ضفة الفرات اليسرى، وذلك على رأس السهل الفيضي الذي يقع إلى جنوبها الشرقي والذي تتخلله شبكة من القنوات وبذلك تكون بعيدة عن الهجمات المفاجئة من جهة الصحراء، وزاد من أهمية موقعها الجغرافي مجاورتها للممرات والطرق التجارية الرئيسية التي تؤدي إلى شمال سورية والبحر المتوسط ومصر وكذلك الطريق المؤدي إلى كباد وكيا، والطريق المتجه شرقاً إلى عيلام، وعلى ذلك فهي تقع في مركز التجارة العالمي وفي الوقت ذاته تقع على الطريق المباشر لأي غزو يستهدف السهول الجنوبية. انظر: سليم (أحمد أمين)، تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٣٥ .

٣– مهران (محمد بيومي)، تاريخ العراق القديم ، جامعة الإسكندرية ، دار المعرفية الجامعية ،١٩٩٠م، ص ٢١٧.

معبداً للآلهة عشتار، ثم تحول اسم (باب اليم) إلى بابل وبابليون Babylon عند الإغريق .

تعاقب على حكم بابل عدد من الملوك منهم

أ – سومو – أبوم (١٨٩٤ – ١٨٨١ ق.م)

يعد سومو– أبوم مؤسس الدولة وكان قد تمكن من الاستيلاء على بابل وأحاطها بسور لحمايتها من الاعتداءات الخارجية سماه (امغور– انليل) Imgur–Enlil ثم بدأ بتوسيع نفوذه فاحتل مدينة "ديلبات" الواقعة جنوب بابل وأحاطها بسور للدفاع عنها. وكسب بعض النفوذ في مدينتي كيش (تل الأحمر حالياً) تقع إلى شرق بابل وسيبار (أبو حبة)، بالإضافة إلى بنائه العديد من المعابد، ليس فقط للإله مردوخ* وإنما لآلهة أخرى مثل نانا* إله القمر في أور، ليظهر بمظهر الحاكم الورع الذي يعمل على تقديس جميع الآلهة السومرية .[٢]

ب–سومو لا – إيل (١٨٨٠– ١٨٤٥ ق.م)

اعتلى عرش بابل "سومو لا– إيل" وقام بعدة أعمال وسع من خلالها منطقة نفوذ بابل، فاحتل سيبار وكيش وبورسيبا وديلبات، وازداد في عهده الصراع بين بابل ودويلات المدن الخاضعة لها، واستطاع السيطرة على مناطق واسعة نتيجة حروبه، ومن بينها أقاليم أكاد وأجزاء من سومر. على حين شنّ (سين – إدينام) ملك لارسا حرباً على سومو لا – إيل، لأنه وجد في هجماته خطراً يهدد مملكته في سنة حكمه الرابعة والثلاثين وهزمه فيها. فتوقف تعاظم نفوذ قوة بابل .[٣]

جـ – سابيوم (١٨٤٤ – ١٨٣١ ق.م)

خلف سابيوم أباه سومو لا– ايل، واستطاع أن يحقق انتصاراً على لارسا، لكنه لم يتمكن من ممارسة سياسة خارجية نشطة، وذلك بسبب ظهور شخصيات قوية في بلاد الرافدين في زمنه

1 – Bertman , Stephen , Ancient Mesopotamia , New York , 2003 , P , 11

* – مردوخ : كان الاله مردوخ الهاً محليا في مدينة بابل وعندما عظمت مكانة بابل في زمن حمورابي وأصبحت عاصمة الإمبراطورية البابلية ارتفع شأن مردوخ وصار مقدساً في جميع البلاد انظر: سليم (أحمد أمين)، ص ٢٢٤ .

* – نانا : يمثل الإله نانا القمر ولقد أطلق السومريون والبابليون على اله القمر تسمية " سين " كما سمه " ننار " التي تعني "رجل السماء " ويرمز له بهلال واحد واشتهر بالحكمة وكان يقيس الزمن وينهي الأيام والشهور والسنين للملوك المذنبين انظر : المرجع نفسه ، ص ٢١٤ .

٢ – مرعي وعبدالله (عيد وفيصل)، ص ٢٦٦ .

٣ – علي (رمضان عبده)، ص ٢٢٠ .

مثل كودور – مبوك* الذي استولى على لارسا ونصب ابنه واراد – سين ملكاً على عرشها. ووصل نفوذه حتى "رابيقوم" على الفرات.

د- أبيل – سين (١٨٣٠ – ١٨١٣ ق.م)

تسلم السلطة بعد سابيوم ابنه " أبيل – سين "، ومدَّ نفوذه على جزء كبير من شمالي بابل فشملت منطقة نفوذه مدن كيش وديلبات وبورسيبار وسيبار.

هـ – سين – موباليط (١٨١٢ – ١٧٩٣ ق.م)

اعتلى عرش بابل بعد " أبيل – سين " ابنه "سين موباليط"، وعاصر ملكين كبيرين الأول سيطر على شمال بلاد الرافدين وهو "شمشي أدد " ملك آشور، والثاني هو " ريم – سين " ملك لارسا. ويبدو أن سين – موباليط عقد علاقات صداقة مع شمشي أدد الأول، حيث أخضع أشنونا وماري لسلطته، بينما اتسمت علاقته مع " ريم – سين " بأنها سيئة. ووجدت بابل في دولة لارسا أكبر منافس لها، فقام بحملة ضدها في سنة حكمه الثالثة غير أنها حملة كانت فاشلة. كما وعقد التحالف مع حكام " رابيقوم " وأور وإسين. مما دفعه إلى الاهتمام بتحسين دولته وتقويتها [١].

وأصبحت اسين محط أطماع ملوك كل من بابل ولارسا، يقتطع كل منهم بدوره جزءاً منها، واستمرت الأوضاع على هذه الحال إلى أن تولى بابل سادس ملوكها، وأكثرهم شهرة وهو حمورابي البابلي

* – كودور – مبوك : وهو قائد قبلي أموري كان يقيم في منطقة شرق بلاد بابل تدعى "يموت بعل " انظر : مرعي وعبدالله (عيد وفيصل)،ص ٢٥٩.

١ – مرعي وعبدالله (عيد وفيصل)،ص ٢٦٧– ٢٦٨ .

٢ – علي (رمضان عبده)، ص ٢٢٠ .

و – حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م)

ورث حمورابي العرش من والده سين – موباليط وعدَّ أهم ملوك هذه الأسرة ومعنى اسمه الاله (حمو hammu) عظيم أو مكثر، واستمر حكمه مدة ثلاث وأربعين سنة، قدر له فيها أن ينهض ببابل من مجرّد مدينة صغيرة إلى عاصمة دولة كبيرة ذات إمكانات متعددة، وأملاك واسعة وشهرة عريضة. واجه حمورابي منذ اعتلائه عرش بابل مشاكل عدةً، فقد أخذ العيلاميون يهددونه من جهة الشرق ويكادون يفتكون بدولته. من خلال نص يرجع إلى سنة حمورابي العاشرة يذكر فيه اسم الملك الآشوري "شمشي أدد" دلالة على أن حمورابي ربما كان خاضعا لهذا الملك الآشوري، فكان على حمورابي مواجهة هذه المشكلات وحلها ولكن كان عليه البدء بتنظيم أمور دولته. وهو ما قام به، فمن **الناحية الداخلية** أعاد تنظيم وتخطيط عاصمته بابل (باب ايلو – باب الاله) على نحو لم يسبق له مثيل، حتى أصبحت حديث الأمم والشعوب وموضع إعجابهم، ثم سعى إلى توحيد بلاد الرافدين معتمداً على

- تدعيم الإدارة الداخلية وتوطيد دعائم عرشه في الداخل.
- تقوية جيشه وتدريبه وتدعيم وسائل الدفاع حول المدن الهامة .[١]

تمكن من تحقيق وحدة بلاده السياسية ضمن حدود آمنة يسهل الدفاع عنها، كما عمل على تطوير دولته من جميع النواحي الإدارية والقانونية والاجتماعية والثقافية.

وحرص في سياسته **الخارجية** على القضاء على منافسيه من الحكام المعاصرين دون أن تكون له حركة خارجية وما إن حلّت السنة الخامسة حتى بدأ أعماله العسكرية بالاستيلاء على (اسين)، ونجح في العام الثلاثين في القضاء على (ريم سين) ذي الأصل العيلامي، وبسط سلطانه على بلاد عيلام، فَعُدَّ انتصار حمورابي حاسماً إلى درجة اعتباره حدثاً خطيراً في تاريخ بلاد الرافدين. أرخ به الناس الحوادث، ثم توالت انتصاراته على أعدائه، فقضى على دويلات المدن مثل أشنونا . وتابع زحفه إلى الشمال فأخضع بلاد آشور والمناطق الجبلية إلى الشرق والشمال.[٢]

وبانتصاراته هذه تمكن من توحيد بلاد الرافدين تحت سلطته، ولقب نفسه (الملك القوي ملك بابل ملك كل بلاد امورو، ملك سومر وأكاد، ملك الجهات الأربع) .[٣]

---

١ – مهران(محمد بيومي)، ص ٢٢١.

٢ – سليم (أحمد أمين)، ص ٢٣٨.

٣ – المرجع نفسه، ص ٢٣٨ .

أوجد حمورابي أمراً جديداً لم يكن معروفاً وهو الخدمة الإلزامية العامة (بإنهاء جني المحاصيل الزراعية يدعى كل رجل إلى التدريب العسكري) وبذلك تمكن من رفع مكانة مدينة بابل لتصبح إحدى المدن الكبرى، وجعل الإله مردوخ واحداً من أعظم الآلهة .[١]

ز – خلفاء حمورابي (سمسو– الونا) (١٧١٢-١٧٤٩ ق.م)

خلف حمورابي ابنه (سمسو– الونا) وتميز عهده بالهدوء، فأمكنه من إقامة العديد من المشاريع الاقتصادية والعمرانية، لكن لم تلبث أن تعرضت الدولة البابلية لضغوط خارجية من عدة جهات وهذه المتاعب لم تهدد عرشه فحسب بل هددت كيان الأسرة والدولة معاً. ففي الأجزاء المتاخمة لعيلام اندلعت ثورة في الشمال بزعامة (ريم – سين) .[٢]

ولا يعرف إن كان هو نفسه ريم سين الذي حاربه حمورابي، غير أنه من الصعب الافتراض بأن حياته قد امتدت حتى عهد سمسو – الونا، فربما هو ابن شقيق ريم سين ويحمل نفس الاسم .

فقد استطاع ريم سين التوغل في أراضي سومر الجنوبية، وحرض سكانها على الثورة ضد الملك البابلي، وأعلن نفسه ملكاً على البلاد، ودام ذلك خمس سنوات قبل أن يتم القضاء عليه .[٤]

وعلى الحدود الشرقية بدأ يظهر لأول مرة ذكر الكاشين أوالكاسين the kassite وبدأت القلاقل تظهر من خلال تسرب الكاشين إلى بلاد الرافدين على حدودها الشرقية، فدخلوها كعمال، ثم ما لبثوا أن تمكنوا من الاستيلاء على بابل .[٥]

قاد سمسو– الونا بعد ذلك عدة حملات باتجاه الوسط والجنوب للقضاء على التمرد الذي نشب في العديد من المدن هناك، ولا سيما في لارسا وإسين وأور وأوروك، بقيادة ريم سين الثاني متزعم التمرد .[٦]

أبرز المتاعب التي واجهت سمسو – الونا كان ظهور بوادر قيام دول المدن في عهده، حيث استطاع رجل يدعى (اليما – ايلوم) أن يستقل في المناطق الجنوبية مؤسساً ما يعرف باسم سلالة

١- رو(جورج)، ص ١٩٥.

٢ – إسماعيل (حلمي محروس)، الشرق العربي القديم وحضاراته، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧ ، ص ٥٣ .

3 - The Cambridge ancient history , op. cit, vol 2, part 1 ,P 221.

٤ – إسماعيل (حلمي محروس)، ص ٥٣ .

٥ – مهران (محمد بيومي)،ص ٢٨٦ .

٦ – مرعي وعبدالله (عيد وفيصل)، ص ٢٨٢ .

بابل الثانية (١٧٤٠ – ١٥٠٠ ق.م) وتلا قيام هذه السلالة سلسلة من الحروب بين ملوكها و ملوك سلالة بابل الأولى، دمرت خلالها مدن جنوبية مهمة في مقدمتها مدينة أور حيث عمل سمسو– الونا على هدم أسوار مدينة أور. كما وأضرم النار في المعابد وحطم أبنية المدينة. ولاقت أوروك المصير نفسه، مما أعطى للعيلاميين فرصة للتدخل، حيث دخلوا المدينة ونهبوا كنوزها وأخذوا تمثال الإلهة إنانا* .[١]

وقام سمسو – الونا في سنة حكمه الرابعة والعشرين بمهاجمة مدينة أبوم في منطقة مثلث الخابور في الجزيرة السورية وتدميرها. كما صد في السنوات التالية بعض الاعتداءات على مملكته من جهة الغرب .[٢]

حاول أن يعوض عن خسائره في الجنوب باستعادة سلطانه على الطريق التجاري إلى سورية ودعم علاقته التجارية معها وعمل على الاهتمام بالمناطق الشمالية والغربية لعجزه عن الاهتمام بالمناطق الجنوبية .[٣]

جاء بعد سمسو– الونا ولده (ابي – إشوخ ١٦٨٤ –١٧١١ ق.م) الذي صمم على وضع نهاية لسلالة بلاد البحر، ولكنه لم يفلح في ذلك، كما عاود الكاشيون غزوهم لكن دون جدوى حيث يؤرخ في عهد ابي – إشوخ في السنة الرابعة من حكمه انتصاره على جيش كاشي، ومن ثم فقد اكتفوا بتغلغلهم في البلاد كصناع وأصحاب حرف. الأمر الذي أثّر على مملكة بابل، فبدأت بالتفكك والانقسام، وجاء بعده ولده (عمى– ديتانا ١٦٨٣ – ١٦٤٧ ق.م) و (عمى – صدوقا ١٦٤٦ – ١٦٢٦) .[٤]

اكتسب عمى – صدوقا شهرة كبيرة بسبب المرسوم الذي أصدره في سنة حكمه الأولى، والذي تضمن العديد من الإجراءات القانونية التي تمس كلتا الحياتين الاقتصادية والاجتماعية، ومنها إلغاء الديون من الفضة والحبوب الناجمة عن القروض، وإلغاء بقايا الضرائب المتبقية للقصر

* – انانا : وهي آلهة الحب والخصب والحرب واشتهرت باسم عشتار واحتلت مكانا كبيراً في ديانة سكان بلاد الرافدين وانتشرت عبادتها في مناطق من الشرق الأدنى القديم وقد سماها السومريون باسم أنانا وتعني سيدة السماء وسماها الأكاديون والآشوريون باسم عشتار انظر : سليم (أحمد أمين)، ص ٢١٧ .

١- رو (جورج)، ص ٢٤٣.

٢ – مرعي وعبدالله (عيد وفيصل)، ص ٢٨٣ .

٣ – سليم (أحمد أمين)، ص ٢٣٩ .

٤ – مهران (محمد بيومي)، ص ٢٨٧ .

عن بعض الموظفين من خلال تسخيرهم في أعمال السخرة. وكان الهدف من هذه الإجراءات حماية قطاعات كبيرة من السكان من الغرق في الديون، ومن ثم التحول إلى عبيد، ومنع تجميع الثروة بأيدي فئة قليلة من الناس، وحدَّ من تسلط كبار الموظفين على حياة الناس [١].

بدأت أوضاع بابل الداخلية في عهد الملك سمسو- ديتانا (١٦٢٥ – ١٥٩٥ ق.م) بالاضطراب فأخذت حدود المملكة البابلية الأولى تتقلص إلى ما كانت عليه سابقاً نتيجة استقلال سكان المناطق الجنوبية*. وظهور دولة الحثيين الذين أغاروا على بابل بقيادة مورشيلي الأول، فدمروها وسلبوا كنوزها [٢].

ولم يستطع خلفاء سمسو- الونا المحافظة على دولتهم، فقد تمكن الحثيون من القضاء على الدولة البابلية الأولى، وحصل الكاشيون نتيجة تحالفهم مع الحثيين على حكم بابل مقابل مساعدتهم على إسقاط بابل.

---

١ – مرعي وعبدالله (عيد وفيصل)، ص ٢٨٤.

* – سكان المناطق الجنوبية : وهم جماعات سومرية أمورية قاموا بإصلاح الأراضي القريبة من مصاب النهرين وأسسوا مقراً لهم، تحّول فيما بعد إلى دولة عرفت باسم دولة البحر، وسميت بهذه التسمية لقربها من سواحل الخليج العربي. انظر: علي(رمضان عبده)، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

٢ – علي (رمضان عبده)، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

٢ – الكاشيون

أ– أصولهم وتسميتهم

شهد القرنان السابع عشر والسادس عشر ق.م تحولاً سياسياً كبيراً في غربي آسيا. حيث كانت براري أوراسيا (أوربا وآسيا) تموج بالكتل البشرية التي اندفعت بهيئة موجات إلى الشرق الأدنى وهي مركز العالم المتمدن آنذاك فأحدثت ضغطاً قوياً على مراكز الحضارة فيه [١].

ففي منتصف الألف الثالث ق.م شهدت الأقسام الغربية لقارة آسيا قدوم موجات بشرية انحدرت من سهل أواسط آسيا، في المنطقة الواقعة ما بين نهري سيحون وجيحون حيث تقع مدن خوارزم وسمرقند وغيرها [٢].

لقد اندفعت القبائل الكاشية التي كانت تمتهن الحروب وقدمت من مناطق الجبال الشرقية.

والمعلومات المتوافرة عنهم قليلة لا تكوّن صورة واضحة، لهم فلم يعرف شيء عن أصل هؤلاء الأقوام قبل نزوحهم إلى بلاد الرافدين، إذ اختلف المؤرخون في أصلهم ولم يصلوا إلى رأي قاطع بهذا الصدد [٤].

فهناك عدة آراء تبحث في أصل الكاشيين والموطن الأصلي لهم، حيث يرى بعض الباحثين بأنهم من الأقوام الهندو– أوربية التي كانت تسكن بين زاجروس وميديا. وهم جزء من هجرة أقوام اتجهت غرباً وأقامت لها كياناً في بلاد فارس [٥].

وكان هناك اعتقاد سائد بأن الكاشيين قد سكنوا الأراضي المرتفعة في جنوب غرب بحر قزوين.

---

١ – باقر (طه)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، جـ٢ ، بغداد ، ١٩٧١ م، ص٦١.

٢ – الأحمد ورضا (سامي سعيد و جواد الهاشمي)، تاريخ الشرق الأدنى القديم ايران والأناضول، مطابع التعليم العالي، بغداد ، د.ت ، ص٧٧.

3 - J.O.Thomson, History of ancient Geography (Cambridge: 1948), P.15

٤ – عصفور (محمد أبو المحاسن) ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار الطباعة الحديثة ، بغداد ، ١٩٦٦ م ، ص ٢٨٥.

5 - R.A.Grossland, Immigrants from the north. The problem of the Indo –Europeans, in CAH, Vol.1,Part.2, 1971, P.824 .

6 - Hrozny , Ancient History of Western Asia (London: 1966), P. 50 .

أما بعض المؤرخين فيذكرون أنّ الكاشيين هم قبائل استوطنت الجبال الواقعة شمال غرب عيـلام، وقد كانت هذه القبائل بربرية .[١]

كما أشار باحثون آخرون إلى أن الكاشيين يكوّنون حلقة ضمن سلسلة الشعوب الهندو– أوربية التي اتجهت نحو الغرب قادمة من جنوب روسيا كالغوتيين والحوريين الميتانيين، وقد اختلطوا بالهندو أوربيين .[٢]

اختلفت آراء الباحثين حول أصولهم وكذلك اختلفت حول تسميتهم. ويبدو أن اسمهم قد اشتق من اسم معبودهم القوي (كاش شو) (kishshu)، وهذه التسمية واردة في كثير من التسميات التي أطلقت على شعوب مختلفة حملوا أسماء آلهتهم الرئيسية .[٣]

وعثر في مدينة حاتوشا (بوغازكوي) عاصمة الدولة الحثية على رسائل ذات طابع رسمي يرجع عهدها إلى ٢٠٠٠ ق.م أطلق على الكاشين فيها Kashshia وGushshia .[٤]

1- R.C.Thompson ,The Kassite conquest ,in CAH,Vol.1(Cambridge:1974),P.552 .

٢ – عثمان (عبد العزيز) ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، جـ١، دار الفكر الحديث، ط٢، لبنان،١٩٦٧، ص٣٠٢.

3 - R.Ghirshman , Iran (London ,1954) , P. 65 .

4 - Hrozny , Ibid , P.52

ب – دخولهم بلاد الرافدين

كان حكم الملك حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) الذي دام نحو (٤٣) عاماً يؤلف أزهى العصور التاريخية لبلاد بابل .[١]

لكن ما إن انتهى عصر حمورابي حتى بدأ الضعف يدب في الدولة البابلية، فاستغل الكاشيون ذلك، وبدأت أعدادهم تزداد في عهد سمسو– الونا (١٧١٢-١٧٤٩ ق.م)، وكان الملك سمسو – الونا أول من شعر بخطر تدفق الكاشيين، فقام بصد ودرء خطرهم، إذ إن تاريخ السنة التاسعة من حكمه قد أشار إلى صدهم ودحرهم، ومنعهم من دخول البلاد .[٢]

ولكن الكاشيين أعادوا الكرَّة في الهجوم على بلاد بابل في السنة الثالثة من حكم الملك ابي – ايشوخ (١٦٨٤ -١٧١١ ق.م) خليفة سمسو– إلونا، وقد أرخ إحدى سنوات حكمه بذلك الحدث حيث استطاع دحرهم، وقد نجحت الإجراءات الدفاعية التي اتخذها كل من الملك سمسو– إلونا والملك ابي– ايشوخ في إرغام الكاشين للتراجع المؤقت نحو الشمال الغربي واستقروا في وادي الفرات .[٣]

وفي عام ١٥٩٥ ق.م وهي السنة الثلاثون من حكم الملك سمسو– ديتانا آخر ملوك سلالة بابل الأولى قام مورشيلي الأول رابع حكام الدولة الحثية بهجوم كاسح من آسيا الصغرى إلى سوريا إذ قام باحتلال مدينة حلب عاصمة دولة يمخد (Yamhad) الأمورية في شمال سوريا ثم كركميش . ويطلعنا أحد النصوص الحُثية المكتشفة بأنه قد : "**دمر مدينة حلبا (حلب) وحمل إلى حاتوشا أسرارها وكنوزها**".

واتجه بعد ذلك بمحاذاة نهر الفرات واستولى في طريقه على مدينة ماري، ثم وصل إلى بابل التي دمرها وأحرقها فانهارت أمامه. وتصف الكتابات البابلية هذا الحادث (نهاية الأسرة البابلية الأولى) بالقول : "**إلى سمسو – ديتانا زحف رجال حاتي وزحفوا إلى بلاد اكد** " .[٥]

١ – عصفور (محمد أبو المحاسن)، ص ٢٨٤.

٢ – رشيد (فوزي)، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد، الموسوعة الذهبية، ط١، بغداد، ١٩٩١، ص٩٨.

٣ – الأحمد (سامي سعيد) ، فترة العصر الكاشي ، مجلة سومر ، عدد٤٩، بغداد، ١٩٨٣، ص١٣٤.

٤ – رشيد (فوزي)، ص١٠٢.

٥ – ساكز (هاري)، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩م، ص٩٠.

ويبدو أن الحثيين لم يكن لهم نية البقاء في بابل مدة طويلة لأنهم عادوا إلى الشمال مرة أخرى بعد مدة قصيرة [١] .

والواقع التاريخي لتلك الفترة يوحي بمساعدة الكاشيين للملك الحثي في احتلاله، بدليل أنهم غادروا مدينة بابل بعد حقبة قصيرة، ورجعوا إلى بلادهم بعد أن تركوا البلاد للكاشين فاحتلوها بسهولة .
وفي أعقاب انسحاب الحثيين زحف الكاشيون مستغلين الفراغ السياسي بغياب السلطة فنزلوا أواسط بلاد الرافدين واحتلوا مدينة بابل [٣] .

وبذلك تأسست دولة قوية عرفت في التاريخ باسم الدولة الكاشية أو سلالة بابل الثالثة. وأصبحت بلاد بابل تحكم من قبل سلالة أجنبية، حكامها أقل حضارة من المحكومين البابليين، وأطلق في عهدهم اسم (كاردونياش) على بلاد بابل [٤] .

---

1 - H.Nelson, The Ancient History of the Near East (Beirut: 1917), P.16

٢ – رشيد (فوزي)، ص١٠٢.

٣ – سوسة (أحمد)، مفصل العرب واليهود في التاريخ ، دار الحرية للطباعة، ط٥ ، بغداد ، ١٩٨١م ، ص ١٩٨.

٤ – رو (جورج)، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، بغداد ، د.ت، ص٣٣٢.

٣- توسع الكاشيين في بلاد الرافدين

استولى الكاشيون على السلطة في بلاد الرافدين وأخذوا يتوسعون فيها واستمر حكمهم ما يقرب الخمسة قرون، وكان غانداش هو أول ملك كاشي اعتلى العرش البابلي.

أ – غانداش

استطاع غانداش جمع شتات القبائل الكاشية من جميع أنحاء البلاد، وتمكن من إحباط محاولات مملكة البحر في الجنوب، ووقف في وجهها عندما حاولت اغتنام فرصة انهيار الأسرة الحاكمة في بابل، لتوسع مناطق نفوذها باتجاه الشمال [١].

ب – آغوم الأول

يعد أول ملك كاشي استطاع أن يسيطر على كامل بلاد سومر، وتميز باحترامه للآلهة البابلية، وتفاخر بأنه استطاع إعادة تماثيل الإله مردوخ و قرينته صربنيتوم* إلى بابل بعد أن كان الحثيون قد أخرجوها من معابدها عند مهاجمتهم بابل، وخلال ذلك اصطدموا مع الحثيين في حوض الفرات الأعلى وأجبروهم على تسليم التماثيل التي أعادوها إلى معابدها [٢].

وكان هدف الملك من وراء هذا العمل كسب رعاياه البابليين، لاكتساب الشرعية من الآلهة الرئيسية في بابل باعتباره من أصل أجنبي [٣].

جـ – آغوم الثاني

أطلق على نفسه لقب "راعي الكاشيين والأكاديين، وملك بابل وملك ألمان " ونلمس من هذا اللقب رغبة الملك على تأكيد أصله الكاشي مع الاعتراف بالتقاليد البابلية، ويفتخر آغوم قائلاً :

---

١ – عبدالحليم (نبيلة محمد)، معالم العصر التاريخي في العراق القديم ، دار المعارف ، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص ١٨٤ .

*– صربنيتوم : وهي زوجة الاله مردوخ ولها في "ايساكل " هيكل خاص بها، انظر: دلو (برهان الدين)، حضارة مصر والعراق، ط١ ، دار الفارابي، بيروت ،١٩٨٩ م، ص ٣٨٠ .

٢ – سليمان (توفيق) ، دراسات في تاريخ غرب آسيا وشمال القديمة منذ أقدم العصور وحتى عام ١١٩٠ ق.م ، دار دمشق، ط١ ، ١٩٨٥م، ص ٢٥٢.

٣ –رو (جورج) ، ص ٢٤٨ .

أنه وطّن أناسا كثيرين في مدينة أشنونا، ولقب نفسه بملك بادان* والمان وملك الجوتين. غير أن هذا المجد الكاشي لم يدم طويلاً بسبب تعاظم القوتين الحثية والآشورية [١].

ويذكر أغوم الثاني أنّ سيطرته وصلت باتجاه الشرق إلى ما بعد نهر ديالى، ووصل نفوذه باتجاه الشمال حتى بحيرة أورميا. إلا أنّ هذا لا يعدو ادعاءً فارغاً، ولاسيما أن الكتابة التي تذكر ذلك لا تتحدث عن جنوبي بلاد الرافدين، حيث كانت قد تأسست فيه "سلالة بلاد البحر" منذ عهد سمسو– الونا واستطاع ملوكها الاستفادة من ضعف ملوك بابل المتأخرين، ومن سقوط بابل بأيدي الحثيين، فوسعوا منطقة نفوذهم نحو الشمال إلى منطقة دير (بدرة)، وبناءً على ذلك لا يمكن أن يكون آغوم قد وسع حدود مملكته باتجاه الشرق والشمال، بينما أهمل حدوده باتجاه الجنوب [٢].

د – بورنا بورياش الأول

تذكر بعض الوثائق أنه عقد اتفاقاً مع الملك الآشوري " بوزور آشور الثالث " لرسم الحدود بين مملكتيهما.

هـ – كاشتيلياش الثالث

خلف بورنابورياش ابنه كاشتلياش، وقد حدث في عهده غزو أراضي مملكة بلاد البحر من قبل أخيه " أولام – بورياش " واستطاع الانتصار على آخر ملوك دولة بلاد البحر "أيا – جميل " الذي سقط صريعاً عام ١٤٥٠ ق.م.

وتتحدث الحوليات البابلية في عهد الملك عن ذلك فتقول : " **أيا – جميل ملك بلاد البحر خرج إلى عيلام. أولام – بورياش أخو كشتلياش خرج بقواته. وبعد أن أخضع بلاد البحر فرض سيطرته على هذه المنطقة** " [٣].

أصبح أولام – بورياش ملكاً على بابل بعد أخيه كاشتلياش الثالث الذي استطاع أن يعيد الوحدة إلى بلاد بابل فخضعت له بقسميها الشمالي والجنوبي.

* – بادان : وهي مدينة كانت تقع على الحدود الشمالية لبلاد بابل ، انظر : مرعي و عبدالله (عيد وفيصل)، ص ٣٢٠.

١ – سليمان (توفيق)، ص ٢٥٢.

٢ – مرعي و عبدالله (عيد وفيصل)، ص ٣٢٠ .

٣ – رو (جورج) ، ص ٢٤٨ .

و– آغوم الثالث

قام آغوم بشن حملة على بلاد البحر نحو ١٤٦٥ ق.م وذلك للقضاء على تمرد كبير نشب هناك فهزم مدينة (دور – ايا)، وحطم معبداً في (اجارا أورونا) في دور ايا، ثم خلف آغوم الثالث في الحكم "كاراينداش" وبعده تعاقب على العرش "كاداشمان – خاربي الأول "(١٤١٠– ١٣٨٦ ق.م) و"كوريجالزو" و "كاداشمان انليل الأول" (١٣٨٦– ١٣٦٧ ق.م) و"بورنا– بورياش الثاني" (١٣٦٧– ١٣٨٦ ق.م) و"كاداشمان– خاربي الثاني" (١٣٤٦ – ١٣٤٣ ق.م) وكوريجالزو الثاني (١٣٤٣ – ١٣٢١ ق.م) ثم أعقب هذا الأخير ملوك عديدون كان آخرهم " كاداشمان – خاربي الثالث " الذي هزم على يد الجيش الآشوري في عهد الملك توكولتي نينورتا الأول .[1]

1 - J.A. Brinkman ,Materials and studier for Kassite history , vol 1 , Chicago , 1976 , P 26

٤– العلاقة مع العيلاميين ونهاية السلالة الكاشية

تمثل بلاد عيلام من الناحية الجغرافية امتدادا طبيعيا لسهول بلاد وادي الرافدين ولا تبعد العاصمة سوسه عن بلاد سومر أكثر من مسافة مئة ميل، سميت بلاد عيلام من قبل السومريين باسم نم(Nim) أو (Enim) ويعني النجد المرتفع، في حين أطلق الأكاديون على هذا الإقليم اسم ايلامتو. وسمت النصوص الفارسية إقليم عيلام الكائن إلى شرق وادي الفرات الأسفل باسم (Uvaja) و (Huvaja) ومنه الكلمة العربية (خوز) و (خوزي) و (حويزة) أي إقليم (خوزستان) الذي تقصد بلاد عيلام. ودعا الإغريق بلاد عيلام و العيلاميين باسم عاصمتهم الشهيرة (سوسة)، فسموها سوسيانة (أي بلاد سوسة). وكثيراً ما ألحقت بلاد عيلام كولاية تابعة للدول التي قامت في بلاد وادي الرافدين [١].

قامت عيلام بغزو بلاد وادي الرافدين أكثر من مرة في عهود ضعفها. ولم تعرف طبيعة العلاقة بين الكاشيين والعيلاميين بالضبط وكل ما يعرف عن هذه العلاقة أنها كانت في بدايتها عدائية حيث دأبت بلاد عيلام على التدخل في الشؤون الداخلية للكاشيين في الفترة التي سبقت حكم الملك الكاشي كوريكالزو الثاني، فأرسل هذا الملك حملة عسكرية على بلاد عيلام أدت إلى إضعافها [٢].

ظهرت في عيلام مع بداية القرن الثالث عشر ق.م سلالة ملكية جديدة استطاعت أن تمثل العصر الذهبي لعيلام، ويعد الجد الأكبر لهذه السلالة اونتاش – خوبان باني الإمبراطورية الجديدة. فوافقت الوقت الذي بدأ فيه النفوذ الآشوري يتعاظم إلى أن وصل درجة صارت فيها آشور تتدخل في شؤون بابل الداخلية [٣].

وصاحب ذلك باتضاح أطماع السلالة العيلامية القوية الجديدة، فأصبحت بابل بين عدويين قويين [٤].

تفاقم حرجُ وضعها بسبب التهديد من قبل الآشوريين جارها القوي في الشمال من جهة، وعودة العيلاميين المفاجئة إلى التحرك السياسي من جهة ثانية. فكانت السلالة الجديدة التي اعتلت

---

١ – باقر (طه)، جـ ٢، ص ٣٨٠–٣٨٢.

٢ – بورت (ديلا)، بلاد ما بين النهرين، ترجمة مارون خوري ، د.ت ، ص٥٤.

٣ – الأحمد ورضا (سامي سعيد جواد الهاشمي)، ص٥٩.

٤ – سعيد (خليل)، معالم من حضارة وادي الرافدين، الدار البيضاء، ١٩٨٤، ص٥٠.

العرش في سوسة تضم أمراء متحمسين عقدوا العزم على فرض سيادتهم على الكاشيين في بلاد بابل[١].

كما شنت عيلام في زمن ملكها اونتاش- نابيريشا المعاصر للملك الآشوري شلمانصر الأول، حملة على بابل، مستغلة الأوضاع الداخلية التي كانت تمر بها فتم نهب قصورها ومعابدها[٢].

نتج عن احتكاك العيلاميين ببابل خلال المعارك اندحار الملك الكاشي، ومن ثم احتلالهم لها. ولم تتخلص بابل من هذا الاحتلال إلا بهجوم الآشوريين في عهد ملكهم توكولتي- نينورتا الأول، إذ تمت السيطرة عليها لمدة سبع سنوات[٣].

استطاع البابليون أن يعيدوا لأنفسهم سلالتهم الوطنية بعد أن مات العاهل الآشوري توكولتي – نينورتا الأول[٤]. وتفككت المملكة الكاشية مٌن جديد بعد أن عانت من غارة شنها آشور – دان الأول ملك آشور[٥].

أما السقوط الفعلي للدولة الكاشية فقد جاء على يد العيلاميين الذين وجهوا ضربة قوية قضت على الكيان السياسي الكاشي، بمهاجمة ملك عيلام (شوتوك ناخونتي) بابل في عهد ملكها (زابابا – شوما ايدينا)، وتفاخر الملك العيلامي حينها بأنه استولى على أكثر من ٨٠٠ قرية للبابليين، إضافة إلى غنائم كثيرة حصل عليها من بينها (لوح نارام سين)*[٦]. وبعد دخول الملك العيلامي شوتوك – ناخونتي إلى مدينة بابل أطاح بملكها زابابا – شوما- ايدينا، ونصب بدلاً منه ابنه كوتر- ناخونتي كملك أو نائب عنه في بابل. وتشير الكتابات البابلية إلى تلك الحقبة بالقول:

---

١ – رو (جورج)، ص٣٥٤.

٢ – غزالة (هديب حياوي) ، الدولة البابلية الحديثة، مطبعة الأهالي للنشر، ط١ ، دمشق ،٢٠٠١م، ص٢٣.

٣ – سعيد (خليل) ، ص٥٠.

٤ – رو (جورج)، ص٣٥٥.

٥ – اوتس (جون) ، بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي ، دار الشؤون الثقافية ،بغداد ، ١٩٩٠، ص١٤٦.

*– لوح نارام سين : وهو اللوح الذي خلد فيه نارام سين انتصاراته على قبائل اللولوبيين التي كانت تقطن في جبال زاغروس وعرف باسم نصب النصر وقد أقامه في مدينة سيبار وبقي هناك إلى أن أخذه الملك العيلامي (شوتوك ناخونتي) إلى عاصمته سوسة بقي هناك حتى عثرت عليه بعثة فرنسية في مطلع القرن العشرين : انظر : مرعي(عيد)، اللسان الأكادي، الهيئة العامة للكتاب ، ط١ ، دمشق ، ٢٠١٢م ، ص ١٩- ٢٠ .

٦ – مهران (محمد بيومي)، ص ٣١٢.

" كانت الجرائم التي ارتكبها العيلامي أبشع، وكانت آثامه الخطيرة أسوأ مما ارتكبه أبوه.. لقد اجتاح كالطوفان شعوب اكد، وخرب بابل والمراكز الدينية كلها " .[١]

وانتهى بهذا التاريخ حكم الكاشيين لبلاد بابل بعد حكم دام أربعة قرون ونصف ١٥٩٥- ١١٥٩ ق.م تقريباً. ولم يدم الحكم العيلامي لبلاد بابل طويلاً لأن البابليين لم يستسلموا لهذا الغزو وقاموا بثورة كبيرة انتهت بتأسيس سلالة وطنية بقيادة نبوخذ نصر الأول عرفت باسم سلالة ايسن الثانية أو سلالة بابل الرابعة .[٢]

١ – أوتس (جون)، ص١٤٧.

٢ – غزالة (هديب حياوي)، ص٢٤.

الأوضاع الخارجية

١– الحثيون

أ– أصل الحثيين

لا بد من التعريف بهذه القوة التي استطاعت أن تقف موقف الند لفترة من الزمن في وجه الإمبراطورية المصرية، فقد كانت في حال من الضعف بسبب السيطرة التي فرضها الهكسوس على هبة النيل وإمبراطوريتها.

تكاد تتفق معظم الآراء على أن الحثيين لم يكونوا أصلا من المقيمين في آسيا الصغرى، وأن أصولهم الأولى كانت من مناطق الهاليس وسط الأناضول، وأنهم لا يمتون بصلة إلى سكان بلاد الرافدين وسورية الأصليين [١].

إنّ الموجة الهندو أوربية جاءت على شكل تسلل بشري طويل الأمد استمر أجيالاً طويلة إلى مناطق آسيا الصغرى وشمال الرافدين، لتتابع طريقها إلى الجنوب، وهذه الهجرات استقر قسم منهم في الأناضول وأطلق عليهم (الحثيين)، بينما استقر قسم منهم في بلاد الرافدين سماها سكان الرافدين (الحوريين) و(الكاشيين) من بعدهم، وهو أكثر الآراء شيوعاً في هذا المجال. إن تلك الموجة استطاعت غزو المناطق الشمالية من سورية، وكانت السبب في القضاء على ممالك المدن العمورية السورية، كذلك كانت السبب في انهيار بابل كبرى ممالك الرافدين [٢].

ولعل أقدم النصوص التي تتحدث بشيء من التفصيل عن الدولة الحثية، وعن بدايات ظهورها تلك التي عثر عليها في مدينة حاتوشا، وهي نصوص كتبت بالمسمارية الأكادية على ألواح فخارية. تحدثت هذه النصوص عن الأوضاع المتنوعة في كافة جوانب الحياة، وخاصة الأدب الحثي، كما تضمنت النصوص الحِكَم والأمثالَ والقوانين، وأكثر من درسها العالم الألماني "فيلهلم "Wilhelm" وقد عُثِر على نصوص كثيرة في مدن أورشو* وخشوم أهم المدن الحثية شمال

---

١ – سليمان (توفيق)، ص ٢٦٧ .

٢ – صالح (عبد العزيز)، ص ٣٩٦ .

* – أورشو : بالقرب من كركميش حالياً على الضفة اليمنى للفرات. انظر سليم، (حسن)، جـ٤، ص ٤٨٨ .

سورية حيث امتدت إليها السيطرة الحثية في القرن السادس عشر قبل الميلاد .[١]

ب– تأسيس الدولة الحثية

ويبدو أن الدويلات الحثية كانت تتقاسم المنطقة، وتشكل كيانات سياسية، وغالباً ما كانت الجبال تشكل الحواجز الطبيعية بين الدويلات التي كثيراً ما كانت تحاول التوسع على حساب بعضها البعض .[٢]

ويمكن تقسيم التاريخ الحثي إلى أربعة مراحل أساسية وهي

– المملكة القديمة.

– المملكة الوسطى.

– المملكة الحديثة.

جـ – المملكة الحثية القديمة (١٦٠٠ – ١٣٨٠ ق.م)

بدأت هذه المرحلة بحكم لابارنا من أسرة كشار، عرف بقوته ومعنى اسمه (السيد). لقَّب نفسه بـ " الملك الكبير " لأنه عدَّ نفسه مؤسس المملكة، وقد استهل عهده بعمل استراتيجي مهم وهو إخضاع بعض المناطق الخصبة الواقعة في وديان طوروس القريبة من الشمال السوري. وعيّن في الجنوبية منها (شمال سورية) أبناءه وأقارب له حكاماً عليها، ومن المرجح أن يكون ذلك دلالة على مخاوفه من حكام الدويلات السورية، ومن تعاون المقاطعات الجنوبية معها .[٣]

ولعل العمل الأهم الذي قام به لابارنا، نقله العاصمة إلى حاتوشا ذات الموقع المتوسط بالنسبة للدولة الحثية، حيث أصبحت مع القرن السادس عشر قبل الميلاد الدولة الكبرى في آسيا الصغرى طوال الألف الثانية قبل الميلاد .[٤]

1 - Wilhelm, G , Medizinishe omena aus Hattusa in Akkadischer sprach, JNES. 56 (1997), p p 230-231 .

2- Larsen, M , The old Assyrian colonies in Antolia , JAOS , 1979, p 472.

٣ – إسماعيل (فاروق)، الحثيون وحملاتهم على سورية ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق، العددان ٨١ – ٨٢ ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٨ – ١٩ .

٤ – سليمان (توفيق)، ص ٢٨٦.

ويعود تغييره العاصمة إلى أسباب عدة منها أن المملكة الحثية أخذت بالاتساع في عهده جنوباً وشرقاً، إضافة إلى أن الجيوش الحثية قد خرجت من خلف حواجزها الجبلية، واخترقت سلاسل جبال طوروس (وربما كان الدافع وراء ذلك هو ثراء السهول الجنوبية وازدهارها وقدم حضارتها) يدل على دور لابارنا في التوحيد ما ورد في نص حثي يشير إلى ذلك إذ يقول النص: " **في الماضي كان لابارنا ملكاً وكان أولاده وأقاربه وأصهاره متحدين وكانت البلاد صغيرة، ولكن أينما سار للقتال أخضع بلاد أعدائه بالقوة، ولقد دمر البلاد وجعل البحار حدوده، وعندما عاد من القتال ذهب كل واحد من أولاده إلى جزء من البلاد إلى هوبسينا والى تووانووا و إلى نيناسا وإلى بارسوهاندا والى اوسنا، وحكموا البلاد وقسمت بينهم مدن البلاد الكبيرة** "، وفي ذلك إشارة إلى التوسع الحثي الأول وتكون الدولة .[٢]

---

١ – عصفور (محمد أبو المحاسن)، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجي الإسكندر، مطبعة المصري ، الإسكندرية ، ١٩٦٨ م، ص ٣٠٧.

٢ – الجرني، الحيثيون، ترجمة محمد عبد القادر محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ٤٣.

٢– التوسع الحثي في سورية والصراع مع الدولة الحورية الميتانية

أ– خاتوشيلي الأول (١٥٧٠ – ١٥٣٠ ق م) وبدء التوسع في سورية

خلف خاتوشيلي الأول أباه لابارنا، ويعتبر موطد أركان الدولة الحثية، ومعنى التسمية في اللغة الحيثية "الرجل الحاتوشي"، وقد وضع الملك الحثي هدفه الخروج من آسيا الصغرى إلى الجنوب وهي مناطق الشمال السوري الغنية بمواردها، حيث شكلت نقطة جذب لكل الدول التي قامت في منطقة الشرق القديم على مر عصور التاريخ القديم [١].

استطاع الحثيون توطيد أركان الدولة في المرتفعات الجبلية في الأناضول، ثم فكروا في السيطرة على المنطقة الممتدة بين الفرات والمتوسط، فبدؤوا بنشاطاتهم العسكرية في شمال سورية، حيث تقع سورية في مفترق طرق بين بلاد ما بين النهرين شرقاً والأناضول شمالاً [٢].

وكان للغزو الحثي أسباب عديدة تتمثل في وضع الأناضول أي ظهور الدولة (خاتي Hatt)، إضافة لحاجة الحكم الملكي إلى التعزيز والترسيخ عن طريق نجاحات عسكرية خارجية، والحصول على غنائم وتحقيق الهيبة مما يساعد على تقوية مركز السلالة الحاكمة بالنسبة للسكان في الأناضول والقوى الأجنبية ، بهدف الحصول على الموّارد الطبيعية الغنية لسهول شمالي سورية (الأخشاب)، بالإضافة إلى المعادن الثمينة ومنتجات الحرف اليدوية، حيث قدم لنا الأرشيف الكتابي المكتشف في الطبقة السابعة من ألالاخ مدى التطور الزراعي والحرفي والتجاري لمنطقة الشمال السوري خلال هذه الفترة، حيث يعرفنا هذا الأرشيف على الصاغة والنحاسين ودباغي الجلود والخياطين والنساجين، كل ذلك كان عامل جذب لجيران سورية الحثيين [٤].

إضافة إلى الطرق التجارية التي كانت تمر في سورية، وتربط كلاً من بلاد الرافدين وايران مع المشرق ومصر. والوصول إلى سوريا يعني الوصول إلى هذه التجارة العالمية. فعبر سوريا تمر المواصلات البرية، بالإضافة إلى امتلاك سورية موانئ مهمة مثل أوغاريت وجبيل، حيث تعمل

---

١ – سليمان (توفيق) ، ص ٢٦٩ .

2 - The Cambridge ancient history , vol 2, part 1 ,Cambridge university press, 1988 ,P 1 .

3 - The Cambridge ancient history , op. cit, vol 2, part 1 ,P *1*

٤ – فيصل (عبدالله) ،الأرض والإنسان في ألالاخ في القرنين الثامن عشر والخامس عشر ق.م ، مجلة دراسات تاريخية العدد ٣٥ – ٣٦ ، دمشق ، ١٩٩٠م، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

على استلام البضائع من البلدان البعيدة وتقوم بعمليات تبادل مع آسيا، وكانت هذه الطرق تمنح قوة خاصة لأولئك الذين يسيطرون عليها، لذلك كانت كل التطورات السياسية في الشرق الأدنى تميل نحو الهيمنة على سوريا من قبل جيرانها في العصور القديمة [١].

وكان الخطر الأكبر بالنسبة للدولة الحثية هو مواجهة مملكة حلب التي كانت أقوى مدن الشمال السوري، وكانت متحالفة مع مدن " ألالاخ "(على نهر العاصي)، ومدن أعالي الفرات وأهمها كركميش أورشو وخشم، هذا إضافة إلى الوجود الحوري الذي كان ضعيف الأثر حتى هذه الفترة [٢].

وربما كانت مدن أورشو وخشم من المدن المتحالفة مع الحورريين الميتانيين أو أن سكانها كانوا من الحوريين، وهم الذين راحوا يسعون للتحالف مع حلب للقضاء على الخطر الحثي [٣].

ويبدو أن الملك الحثي خاتوشيلي أدرك مدى الخطر الذي يشكله التحالف السوري الذي قادته حلب مع المدن الحورية وألالاخ، ودفعه إلى الرد السريع على الحلف بالهجوم [٤].

تمثلت أولوية سياسة خاتوشيلي في التوسع جنوباً وشرقاً بهدف الوصول إلى ما وراء الحواجز الجبلية لشمال سورية، ثم الوصول منها إلى معقل الخطر القادم من شمال سورية، والمتمثل بمملكة حلب والتي لا بد من تجاوزها للوصول إلى الشمال السوري، ومن ثم إلى عمق الأراضي السورية [٥].

أراد خاتوشيلي أن يعمق فكرة كونه المؤسس الفعلي للمملكة الحيثية بتحقيق نصر حاسم على القوى المجاورة وتوسيع الدولة، ولن يتم له ذلك إلا بتدوين انتصاره على القوى المجاورة [٦].

ويبدو أن أولى حملات خاتوشيلي استهدفت ألالاخ التي دب الخلاف بينها وبين حلب، مما دفع إلى إعلان "عمي تاقوم " حاكم المدينة العصيان على مملكة حلب والتي كان يحكمها "ياريم ليم

---

1 - The Cambridge ancient history , op. cit, vol 2, part 1 , P 1

٢ – مرعي وفرزات (عيد و محمد حرب)، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دار طلاس، ط٢، ١٩٩٤م ، ص ١٦٣.

٣ – فيلهلم (جرنوت)، الحوريون تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل ، سورية ، ط١ ، ص ٥٢.

4 - Astour, M, Hattusilis-Halab and Hanigalabat, JNES. 31 (1972), p 105

٥ – جرني، ص ٩٤ .

٦ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٥٢ .

الثالث" الذي قام بالمقابل بترك ألالاخ وملكها يواجه العدو الحثي وحده [1] . ويؤكد خبر سقوط ألالاخ نصان، **النص الأول** وهو من نصوص بوغازكوي العاصمة الحيثية. وهو على لسان القائد الحلبي "زكراشي" الذي يتحدث عن سقوط المدينة.

و**النص الثاني** من ألالاخ وهو من السوية السابعة و يتحدث عن تبعية ألالاخ للحيثيين [2] .

وقد اتجه خاتوشيلي من ألالاخ بجيوشه نحو أورشو منطلقاً بالحملة من موقع لوخوزازانتينا على سفوح طوروس، ويبدو أن المدينة كانت متحالفة مع حلب وزرارواز وربما مع كركميش أيضاً [3] ، ولم يقتصر الدعم القادم من الحلفاء (حلب وكركميش والحوريين) على القوة العسكرية، بل تعدى ذلك إلى إرسال المؤن التي ساعدت على صمود المدينة أمام الحصار الحثي، وهذا أدى إلى انسحاب الحيثيين معترفين بالهزيمة [4] .

١ – الهجوم على حلب (الحملة الأولى)

تركز الهجوم الرئيسي الذي قام به خاتوشيلي الأول على حلب، في الحملة التي كانت الأولى له في العمق السوري، والتي استهدفت مركز مملكة (يمحاض)، أقوى دول الشمال السوري وقد كانت هناك عدة عوامل ساهمت في سعي خاتوشيلي الأول إلى مهاجمة حلب. كالخلافات التي كانت بين حلب والقوى المجاورة لها حيث أدت إلى إضعاف موقفها العسكري عما كان عليه في فترات سابقة، كذلك استغلّ خاتوشيلي الفراغ الذي كان في بلاد الرافدين ومصر، مستفيداً من ضعف الخلفاء الذين أتوا بعد حمورابي، إضافة إلى السيطرة الخارجية المتمثلة بالهكسوس في مصر.

إلا أن الحملة الأولى على حلب فشلت على الرغم من كل المؤهلات والظروف المواتية للحثيين [5] .

---

1 - Gurney, O, R , Anatolia c 1600-1380 B. C , Cambridge, 1966, p 63 .

٢ – فيلهلم (جرنوت)، الحوريون تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة فاروق اسماعيل ،، ط١ ، دار جدل ، سورية، ٢٠٠٠ م ، ص ٥٢.

3 - Collins,B, G , Hattusili I the lion king , JCS , 1998 , p 18

4 - Astour, M , op. cit. , 1972, p 104.

٥ – هبو (أحمد أرحيم)، تاريخ الشرق القديم (سورية)، دار الحكمة اليمانية ، ط١ صنعاء ، ١٩٩٣ م، ص، ١٦٦.

٢– الحملة الثانية

حدثت في العام السادس من حكم الملك الحثي، فأرسل قواته إلى الشمال السوري قاصداً مدينة خشوم "خاشو– أو خشو" للقضاء عليها، وعاد بحلفٍ مع حلب من جديد، إضافة لحصار الحثيين للمدينة [١].

وقد استطاعت القوات الحثية تدمير مدينة زارونا المتحالفة مع الحوريين ومملكة حلب، ويبدو أنها كانت مجاورة لمدينة ألالاخ، فتم تدمير الحثيين لها وهم في الطريق إلى خشوم، وعلى الرغم من المساعدات الحورية. ومساعدات حلب المقدمة للمدينة إلا أنها هزمت ودمرت تماماً، ومما يجعلنا نؤكد أن المدينة كانت مجاورة لمدينة ألالاخ هو أن الملك الحثي مر بعد النصر إلى الشرق عابراً نهر برنا (عفرين حالياً)، وهذا يؤكد أن موقع المدينة كان إلى الغرب من نهر عفرين حالياً. وقد قدمت النصوص الحثية وصفاً مفصلاً للغنائم والأسلاب التي تم الاستيلاء عليها من المدينة المهزومة. حرص الملك الحثي على عدم مغادرة المدينة إلا بعد أن عين عليها حاكماً حثياً من الموالين له [٢].

ففي أحد نصوص الأرشيف الملكي، نص يقول فيه الملك الحثي " **في العام التالي سرت بجيشي إلى ألالاخ ودمرتها في طريق عودتي دمرت بلاد أورشو وملأت بيتي بالكنوز، وفي العام التالي توجهت إلى بلاد ارزواي واستوليت على الأبقار والخراف، ولكن العدو في خاني جالبات "الحوريين" هاجمني من الخلف وتوغل في بلادي، فسقطت كل البلاد من يدي، ولم يبقَ سوى مدينة خاتوشا وحدها، وفي العام التالي سرت ضد مدينة ازرونا وخاشو "خشم" ودمرتها وكانت قوات مدينة حلب معه عند جبال أدلوار "الأمانوس" وألحقت بهم الهزيمة إله الطقس ورب حلب أخذته إلى آلهة الشمس** " ويقصد بذلك الشمس معبودة الحثيين وذلك كناية عن النصر الذي حققه" [٣]، ويبدو أن خاتوشيلي هنا يُشير إلى النصر على المدن المحيطة بحلب وعلى جيش المدينة والقوى المتحالفة معها، إلا أن حلب حتى هذا التاريخ لم تكن قد سقطت بعد بيد الحيثين، لكن يبدو أن الحثين استطاعوا عزل حلب عمّا حولها تمهيداً لمعاودة الهجوم عليها فيما بعد [٤].

١ – الأحمد (سامي سعيد)، ٢٤٦.
٢ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٥٤.
٣ – هبو (أحمد أرحيم)، ص ١٦٧.
4 – Collins , B, G , op. cit. , p 16.

وبعد ذلك وبهدف النصر اتجهت كل قوة من الجانبين الحثي ومملكة "حلب" إلى التحالف مع القوى المجاورة بهدف كسب القوة في المواجهة الوشيكة. فقامت حلب بالتحالف مع الميتانيين الحوريين لتتمكن من الوقوف في وجه الحلف الحثي مع البدو في الصحراء السورية وعلى رأسهم مملكة أشتاتا بالقرب من إيمار(عند انحناء الفرات). حيث تحالفوا مع الحثين طامعين بأن ينالوا منهم بعض المكاسب بعد سقوط الحكم المستقل في حلب، هذه هي الحال التي كانت عليها الممالك السورية القديمة من تحالفات حتى قبيل الاحتلال الحثي للمنطقة [١].

ورغم كل الانتصارات التي حققها خاتوشيلى على المدن المحيطة بحلب، إلا أن الحثين لم يدخلوا المدينة لأنها صمدت بالتعاون مع الميتانيين كما أن خاتوشيلي نفسه كان قد جرح جرحاً بالغاً قد يكون هو السبب في موته، ليخلفه ابنه مورشيلي [٢].

ويرى البعض أن حلب قد دمرت وفقدت استقلالها إذ صارت تابعة لبلاده، وهذا الاختلاف في الآراء ناتج بالأساس عن وجود نصّين حثيين يرد في أحدهما أنّ "**مملكتهم (أي مملكة ملوك حلب) خاتوشيلي الملك العظيم، ملك بلاد خاتي، جعلها مستوية بالأرض**"، على حين يرد في النص الآخر" **أنّ مورشيلي توجه نحو (حلب) وهو من أجل (دم) أبيه (أي خاتوشيلي) ثأراً** [٣].

فقد أكدت بعض النصوص العائدة إلى فترة حكم خاتوشيلي إشارات يُفهم منها أن الملك قد أدى يمين الولاء للملك الحثي، ولكنه ما لبث أن نقض هذا اليمين. يفهم من ذلك أنها أعلنت الولاء غير المباشر للملك الحثي إلا أنها سرعان ما تراجعت عنه عند انسحاب الحثيين إلى الشمال تحت وطأة الهجمات الميتانية والمدن الأخرى للمنطقة، بدليل قول العاهل الحثي في أحد النصوص الحثية "**رجل من مدينة حلب، أخذ كلمة أبيه، أي قبل يمين الولاء له والذي نقضته المدينة بعد أن أنسحب الملك إلى الشمال**" [٤].

ب – مورشيلي الأول والهجوم الكبير على سورية ١٥٣٠– ١٥١٠ ق.م

ظهر الكثير من الجدل حول العلاقة بين خاتوشيلي الأول ومورشيلي الأول الذي خلفه على العرش الحثي، وقد درس هذه العلاقة العديد من الباحثين الذين حاولوا تقريب الصورة بأكبر قدر

1 - Astour , M , op. cit. , p 106 .

٢ – مرعي (محمد حرب فرزات وعيد)، ص ١٦٣.

٣ – سليمان (توفيق)، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .

٤ – قابلو (جباغ)، ص ٢٠٩.

ممكن لمعرفة تلك العلاقة، و لعل أصحّ الآراء بينها هي تلك التي تقول بأنه ابن ابنته هاشتاريا وأن والده هو مارتي، وقد دل على ذلك الخلاف الذي دب بين أعضاء المجلس الكبير "مجلس النواب" وما دار فيه من جدل يؤكد صدق هذا الرأي[1] ، ومن خلال الأحداث التي جرت قبيل موت الجد خاتوشيلي، وضع الحفيد الملك هدفه في القضاء على المملكة الكبيرة "حلب"، والانتقام من قتلة جده، وبذلك تصبح أبواب الشمال السوري مفتوحة أمام المملكة الحثية ونجد الملك مورشيلي يعلق على ذلك بقوله " **قديماً كان ملوك حلب يمتلكون المملكة الكبيرة، ولكن الملك الكبير خاتوشيلي قضى على حلب**"، وهو هنا ربما يشير إلى دور جده في إضعاف نفوذ هذه المملكة، كما يتحدث الملك الحثي عن دوره في التوجه إلى حلب للانتقام لجده إذ يقول : " **توجه مورشيلي بجيشه إلى حلب وانتقم لدم أبيه، ولأن خاتوشيلي أوصاه بالاهتمام بحلب كان على ملك حلب أن يدفع الثمن** "، ومرة أخرى يقول" **ما إن غدا مورشيلي ملكاً على حاتوشا حتى اجتمع إليه أبناؤه وإخوته وأقاربه وجماعة قبيلته وقواته ودمرها** "أي حلب"، **وأخذ الأسرى والأسلاب إلى حاتوشا** "[2] .

ويرى ريدفورد "redford" أن الهجوم على حلب ثم سقوط المدينة قد تم بعد عدة إجراءات واستعدادات تمهيدية أهمها التحالف مع العديد من القوى وإسقاط المدن المحيطة بحلب والقضاء على قوتها. ثم تأجيج نار الفوضى في المدينة ليسهل بعد ذلك سقوطها.

وقد تم له ذلك وسقطت حلب كبرى ممالك الشمال السوري نحو مطلع القرن السادس عشر ق.م والتي كانت قد بقيت طوال نصف قرن بعيدة عن السيطرة الفعلية للحثيين عليها[3] .

وبعد هذا النصر الكبير الذي حققه مورشيلي الأول، اتجهت القوات الحثية دون سابق نية إلى بابل حاضرة بلاد الرافدين ودمرتها شر تدمير، ويذكر مورشيلي ذلك بقوله " **زحف مورشيلي إلى حلب وخربها وعاد بالأسرى والغنائم إلى حاتوشا ثم اتجه إلى بابل وحارب الحوريين ثم عاد بالأسرى والغنائم إلى حاتوشا** "

1 - Beal, R , Studies in Hittite history , JCS, 35 (1982), p 123 .

٢ – هبو (أحمد أرحيم)، ص ١٦٨.

3 - Redford, D , Agate inscription fram Karnk and Egyptain involiement in western Asia during the early 18 dynasty , jaos , 1979 , p 279 .

وتصف الأشعار البابلية هذا الحادث– نهاية الدولة البابلية الأولى – بهذه الكلمات " إلى سمسو ديتانا، زحف رجال خاتي، وزحفوا إلى بلاد أكاد " [١].

ومن بين الغنائم التي أخذها الحثيون من مدينة بابل، تماثيل الإله مردوخ وزوجته الآلهة سربابنتم، وبذلك تكون قد سقطت الدولة البابلية الأولى التي استمر حكمها ثلاثة قرون وخسر سمسو – ديتانا عرشه، وربما فقد حياته أيضاً على أيدي الحثيين [٢].

كما أن مورشيلي أخذ الغنائم والعديد من أسرى الحرب، وعدّ هذا إنجازاً هائلاً لحاكم المملكة التي ظهرت في وسط الأناضول، وتفاخر مورشيلي بأن انتصاراته العسكرية قد تجاوزت تلك التي حققها الملك سرجون الأكادي، وقد عُثِر على النص الذي يشير إلى فتح مورشيلي حيث يذكر فيه " في وقت سمسو ديتانا سار الحثيون ضد بابل " [٣].

وتعددت الأسباب التي دفعت الملك الحثي الذي كان يخشى التقدم في شمال سورية، ثم نجده فجأة وقد وصل بقواته إلى بابل كبرى مدن الرافدين، وإحدى أكبر عواصم الشرق القديم، من أهمها القضاء على فلول الحوريين الميتانيين، حيث كانوا السند والحليف الأقوى لمملكة حلب ، حيث ويرى البعض أن الحملة لم تكن أكثر من مجرد استعراض للقوة، أراد من خلالها الملك الحثي إثبات قوة دولته في مسرح الصراع "سورية"، وخاصة أمام القوى الفتية الناهضة "آشور و ميتاني"، أي أنه كان صاحب هدف استراتيجي ومعنوي، واستولوا على ذلك بأنه قد ترك بابل بعد النصر بفترة وجيزة، ولم يستقر فيها بل ترك الحكم في المدينة للكاشيين وجعلهم على الأرجح شركاءه في الهجمة على الحاضرة البابلية [٥].

بينما يرى محمد بيومي مهران أن الجيش الحثي قطع ٨٠٠ كم ليصل إلى بابل لهذه الأهداف مجتمعة، أي للتحالف مع الكاشيين ضد الحوريين، وبهدف سلب المدينة العامرة التي كانت من أغنى مدن العالم القديم آنذاك كعاصمة للمملكة البابلية القديمة طوال قرون من الزمن. ورغبة من

---

١ – مهران (محمد بيومي)، ص ٢٨٨ .

٢ – اسماعيل (حلمي محروس)، ص ٥٥ .

3 - Leick , Gwendolyn , the Babylonian world , New York , 2007 , P , 503.

٤ – مرعي و فرزات (محمد حرب وعيد)، ص ١٦٤.

٥ – سليمان (توفيق)، ص ٢٧٠.

الملك الحثي بالتخلص من المملكة البابلية الكبيرة التي أصبحت على تماس مع دولته بعد احتلاله شمال سورية [١] .

لم يبقَ (مورشيلي الأول) في بابل طويلاً بل سرعان ما عاد إلى بلاده حين علم بنبأ ثورة قامت ضده في عاصمته حاتوشا (بوغاز كوى)، عاد وقد حمل معه تمثال الإله مردوخ وزوجته الآلهة سربانيتوم، وترك بابل فريسة سهلة للكاشيين، وسرعان ما احتلوها في عام ١٥٩٥ ق.م [٢] .

وبقيت حالة الصراع بين الحثيين والميتانيين مستمرة، وازدادت عندما تمكن الميتانيون من تكوين تحالف مع الولايات التي تمتد بين شمال ما بين النهرين وشمال سوريا حتى منطقة شرق الأناضول، مما حرم الحثيين من أية فرصة تواجد في منطقة سوريا، وقد كان لذلك أثراً سيئاً عليها كقوة عظمى من قوى الشرق الأدنى القديم، والأخطر من ذلك كان امتداد الميتانيين غرباً فشكل تهديداً خطيراً لقلب بلاد الحثيين ذاتها، ذلك أنهم أصبحوا قريبين منها إلى جداً، وكان الحوريون متواجدين منذ فترات وعهود أقدم في شرق الأناضول، وعرفوا من عهد خاتوشيلي الأول الحثي عند تعرّض بلاده لهجمات خطيرة من الحوريين، راحت تتكرر على مدى عهود من خلفوه، ولم يكن الحثيون ليشعروا بالأمان أبداً طالما بقى الحوريون على أعتاب بلادهم. ومن جهة أخرى لم يكن الميتانيون ليتخلوا عن مناطق كانوا يعدونها من حقوقهم، وجزءاً لا يتجزأ من بلادهم. فلم يكن من الممكن أن يقبلوا طائعين وجود قوة أخرى في منطقة شمال سوريا غيرهم، فكان سكان بعض مناطقها من الحوريين، فشكّلوا قوة إضافية حقيقية لقوة المملكة الميتانية، ولأمانها ورخائها، أما في الجانب الحثي فأظهر خاتوشيلي الأول وخليفته مورشيلي الأول أن الحثيين لا يمكن أن يقبلوا أية هيمنة أجنبية على شمال سوريا، لأن ذلك يغلق تماماً أية مساهمة أو وجود فعال لمصلحتهم في كل المنطقة، ولم تكن هناك أدنى فرصة للتصالح معهم، فلا مجال لمناورات دبلوماسية سلمية فيما بينهم.

وظلّت النتيجة صراعاً طويلاً بلا هوادة بين المملكتين الكبيرتين، انتهى بانتصار الحثيين وبالقضاء على تواجد المملكة الميتانية من بين نخبة الممالك العظمى في ذلك العصر [٣] .

---

١ – مهران (محمد بيومي)، ص ٢٨٨.

٢ – مهران (محمد بيومي)، ص ٢٥٩.

٣ – برايس (تريفور)، ص ٨٩ .

الفصل الثاني

العلاقات المصرية الرافدية بين عامي ١٥٥٠-١٣٣٠ ق.م

أولاً: سياسياً وعسكرياً

١- الدولة الحورية الميتانية

أ- الأصل والتسمية والتأسيس للدولة الحورية الميتانية

ب- التوسع الحوري في الشمال السوري

جـ - الصراع المصري الحوري على الشمال السوري سياسياً وعسكرياً

ثانياً : من الناحية الاجتماعية والاقتصادية

١- أسباب التقارب المصري الحوري

٢- التحالف المصري الحوري

٣- تبادل الهدايا والرسل مع الدولة الحورية - الميتانية

٤- الزواج الدبلوماسي مع الدولة الحورية الميتانية

٥- العلاقات مع الدولة البابلية الثالثة (الكاشية)

٦- الزواج الدبلوماسي مع الدولة البابلية الثالثة (الكاشية)

اقتصادياً

الذهب وأهميته في الشرق الأدنى القديم

ثالثاً : انعكاسات سياسة امنحوتب الثالث على العلاقات مع بلاد الرافدين

رابعاً : نتائج العلاقات المصرية مع دول الشرق القديم

الفصل الثاني: العلاقات المصرية الرافدية بين عامي ١٥٥٠-١٣٣٠ ق.م

أولاً: سياسياً وعسكرياً

١- الدولة الحورية الميتانية

أ- الأصل والتسمية والتأسيس للدولة الحورية الميتانية

لفَّ الغموض الأصول الأولى للحوريين الميتانيين سكان أعالي الرافدين دجلة والفرات التي تسمى لغناها بالمياه بمنطقة الجزيرة.

تعددت الآراء حول أصول الحوريين فيرى البعض أن أصولهم ترجع إلى مناطق "أرمينيا" الحالية (شمال شرق آسيا الصغرى)، وأن تاريخ وجودهم يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد [١].

والبعض الآخر يرى أنهم كانوا في المنطقة الممتدة بين البليخ والخابور منذ الألف الخامس قبل الميلاد ليسيطروا بعدها على مثلث الخابور مع أواسط الألف الثالث قبل الميلاد [٢]. يتضح في ملحمة Kumarbi وهي إحدى الملاحم الأدبية الحورية المتأخرة ذكر الوجود الحوري في أوركيش (الواقعة شمال الخابور) المعاصرة لأكاد حيث كان الحكم فيها لأسرة حورية، كما أن المنطقة كانت تعج بالأموريين مما يدل على أن أكثرية سكان المنطقة كانت منهم.

وتؤكد النصوص الأكادية إلى وجودهم المبكر في منطقة أوركيش وهذا ما يعطي دليلاً واضحاً على تعاصر القوتين في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد.

أقدم ذكر للحوريين الميتانيين وردِ في النصوص الأكادية في لوح برونزي كتب عليه بالمسمارية الأكادية ويرد فيه اسم" أتال شين" ملكاً للحوريين في أوركيش ونوار في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد [٣].

---

١ – محيسن (سلطان)، آثار الوطن العربي القديم (الأثار الشرقية)، جامعة دمشق، سورية، ١٩٨٨ ص ٢٩٠.

2 - Wilhelm, G, The kingdom of Mitanni in second millennium upper Mesopotamia in (jack msassom) ed, Civilizations of the Ancient near East, vol 2, 1995, P 1243

3- Astour, M, Semitic Elements in the kumarbi myth an onomastica in Guiry , JNES. 2 .(1968), p 173 .

وتؤكد النصوص الآشورية أن الحوريين الميتانيين هم من الهندو أوربيين وذلك بالإشارة إلى أسمائهم إذ ميزهم الآشوريون عن الشعوب التي كانت في المنطقة بأن لهم لغتهم الخاصة وديانتهم، و أثبتت دراسة لغتهم أنهم على ارتباط بلهجة الهندو أوربيين .[١]

ويربط بعض العلماء بين مصطلح حوري ومصطلح خُرَدي huradi "الجندي اليقظ" الذي يرد في النصوص الحورية والأورارتية وكذلك الأكادية المتأخرة، فيدخل ضمن الإطار الحربي وهو مقبول لأن يكون وصفاً لشعب أو جنس بشري، كما أن مرافق إله الطقس الحوري كان يدعى (خُرّي) وأن مدينة شهيرة في منطقة الاستيطان الحوري كانت تدعى (خُرّا)* .[٢]

وقد ورد ذكر إسم الحوريين في أرشيف الحثيين في حاتوشا (بوغازكوي) بلفظ حوريت"Huret " وتشير التسمية إلى سكان الشمال للدلالة على مناطق سكنهم .[٣]

وبالرغم من محاولة الربط بين الحوريين والسوباريين على أساس اللغة، فإن هذا الأمر غير مقبول لسببين، ذلك لأن النصوص الحثية ذكرت كل قوة منها منفصلة عن الأخرى. كما فرقت النصوص الميتانية بين الشعبين أيضاً .[٤]

وما لبث الحوريون أن توسعوا في بعض المناطق التي كان يسكنها السوباريون، مما يؤكد تجاور الشعبين.

أما المصادر السورية فإن أهم ما ورد فيها حول الأصول الأولى للحوريين كان في أرشيف ماري، التي تحدثت رقمها الفخارية الكثيرة عن هذا الشعب وعن أولى المدن التي كانت لهم عليها السيادة وهي مدن "أورشم وخشوم" .[٥]

كما قدم أرشيف ماري أيضاً دلالات لغوية لأسماء كثير من العبيد العاملين في ماري ويحملون أسماء

---

١ – مرعي وفرزات (عيد ومحمد حرب)،ص١٦٢.

٢ – فيلهلم (جرنوت) ، ص ١٧ .

*– خُرّا : يتردد ذكر هذه الكلمة في نصوص ماري والنقوش الملكية الآشورية الوسيطة ويتضح منها أنها كانت ضمن منطقة إيدا مرص (الجزء الشمالي الغربي من منطقة مثلث الخابور)، انظر : فيلهلم (جرنوت)، ص ١٧ .

3 - kuhrt, A The Ancient near east 3300 – 330 BC , vol 1 , London , p 283 .

4 - Gelb, J , Hurrians and Subaians studies in Ancient oriental civilization, Chicago press, 1944, p 79 .

5- Redford, D, op. cit. , 1979, p 279

حورية .[١]

وتظهر في نصوص آلالاخ أسماء حورية متعددة حيث انتشر الحوريون، بعد سقوط ماري، سريعاً في وادي نهر البليخ، وفي منطقة الفرات الأوسط، ووصلت أعداد منهم إلى وادي نهر العاصي الأوسط حيث توجد مملكة آلالاخ .[٢]

وكانت للموجة المهاجرة من الحوريين علاقة بسكان المناطق المحيطة ببحيرة وان، والتي تشكلت فيها دول أورارتو، والدليل على ذلك هو معبودهما المشترك وهو إله الطقس تيشوب[٣] ، ولكننا نجد عند العودة إلى نصوص آشور ناصر بال الثاني٨٨٤ – ٨٥٩ ق.م أن أول ذكر لمملكة "أورارتو" كان في زمنه، إلا أن مملكة ميتاني كانت أقدم من ذلك بكثير، مع ذلك يمكن أن تكون الهجرة الحورية هي أولى الهجرات إلى الشمال الرافدي والسوري في الشمال .[٤]

نشأت المملكة الحورية وتوسعت في زمن معاصر للفترة الانتقالية الثانية من التاريخ المصري وفيها تسلم حكم مصر ملوك سموا بـ الهكسوس وشكلوا الأسرة الخامسة عشرة من الأسر التي حكمتها .

أشارت المصادر المصرية إلى الوجود الحوري خلال مرحلة الصراع بين الحوريين والمصريين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وبالذات في عصر تحوتمس الأول الذي ذكرهم على أنهم سكان مملكة نهارين، وكذلك نصوص تحوتمس الثالث إذ ذكرتها النصوص على أنها نهارين وكان المقصود بالتسمية منطقة نهر الفرات التي كانت مركز الحوريين الرئيسي في منطقة انحناء الفرات الكبيرة .

وسمّى الحوريون أنفسهم ميتاني، وذكرها المصريون "متن" في عهد الملك تحوتمس الثالث .

وتوصل بعض الباحثين في دراساتهم إلى أصول واحدة للحوريين الميتانيين والحيثين، وذلك بالاعتماد على دراسة اللغة والميثيولوجيا (عقيدتهم الدينية)، وقد تحدث الباحث"غوتربك "Guterbock" عن المعبودات المشتركة بين هذه الشعوب، ولكن ذلك لا يدل على الأصول المشتركة بينها، لاسيما وأن

---

1 - Finkelstein, J, Mesopotamia, JNES , 1962 , p 75

٢ – مرعي (عيد)، ص ٣٥٠ .

٣ – هبو (أحمد أرحيم)، ص ١١٦.

4 - Bendect, C, Urartians and Hurrions, JAOS, 1960, p 101

٥ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٥١ .

6 -Finkelstein, J, op. cit. p 86 .

7 - Gelb, op. cit. 1944, p 79 .

المعبودات الشرقية كانت متداولة بين شعوب المنطقة .[١]

ومع مرور الزمن بدأ يظهر اسم ميتاني إلى جانب تسمية الحوريين لتتخذ الدولة فيما بعد الاسم المركب وهو المملكة الحورية الميتانية وكانت العاصمة واشوكاني" Washwkani التي لم يتأكد موقعها حتى الأن .[٢]

كان لقب القادة في الدولة الحورية الميتانية "الماريانو Mariano" كما ورد في نصوص نوزي والتي تعني "مقاتلي العربات"، وذكرتهم نصوص ماري وأوغاريت بالاسم نفسه على أنهم من القادة العسكريين أو الضباط، فالمعنى هو فارس، أي أن القادة هم من المحاربين .[٣]

استطاع الحوريون وبقيادة ميتانية أن يشكلوا دولة في أعالي الرافدين ومناطق الخابور، بعد أن عملوا لفترة من الزمن عمالاً لدى العموريين واستطاعت هذه القوة أن تتولى زمام المبادرة لتؤسس الدولة الحورية الميتانية، وأصبحت في الفترة ما بين١٨٥٠ – ١٦٠٠ ق.م القوة الأكثر تنظيماً منتظرة ضعف القوة الحثية التي كانت تتحكم بالمنطقة كأقوى قوة في المنطقة في تلك الفترة .[٤]

وكانت مدن "نوزي وأرابخا وتل براك" من أولى المدن الحورية شمال بلاد الرافدين، ثم بدأت المدن الحورية تزداد لتسيطر على مناطق أكبر وتصل كركوك، وكانت هذه المناطق بسكانها الحوريين قد خضعت للمد الآشوري في القرن السابع عشر قبل الميلاد .[٥]

ومع الألف الثانية قبل الميلاد كانت القوة الحورية تقتصر على مناطق محدودة شرق نهر دجلة إلا أنها مع القرن الخامس عشر قبل الميلاد باتت تنظر غرب سورية للتوسع خارج مناطق نفوذها . كان ذلك مع السيطرة الحورية على مدن أورشو وخشم الواقعة شمال سورية، والتي شهدت أولى المواجهات بين الحوريين والحثيين، حيث قامت الدولة الميتانية بالتصدي للهجمة الحثية بالتحالف مع المدن السورية الشمالية ، كذلك تحدثت النصوص[٧]الحثية عن المساعدة التي قامت بها الدولة الحورية للوقوف بجانب مدن "أورشو وخشم"، إذ نجد هذه المرة تسمية "خاني جالبات" للدلالة على الميتانيين، يقول نص

1 - Guterbock, G , Ahurro Hittite hymn to istitar , JAOS , 1983, P 155 .

٢ – حتي (فيليب)، جـ ١، ص ١٦٢

3 - Snell, E, Life in the Ancint near East , Landon, 1997, p 68

4 - kuhrt, A, op. cit. , p 286 .

٥ – ساكز (هاري)، ص ٩٣ .

٦ – أدزارد (أوتو)، ص ٢٠٠.

7 - Redford, D, op. cit, p 279 .

خاتوشيلي الأول" **دخل العدو الحوري القادم من خاني جالبات إلى بلادي وانتزع مني كل البلاد ولم يبقى سوى حاتوشا**" .[١]

استغلت الدولة الناشئة الحورية الميتانية العديد من العوامل للتوسع كان من أهمها، ضعف الممالك السورية وأهمها ماري وحلب "يمخد" بعد الهجمات الحثية زمن خاتوشيلي الأول ومورشيلي الأول، وكذلك الاضطرابات في الدولة الحثية والتي انشغل الملوك فيها بتصفية الحسابات بعد اغتيال مورشيلي الأول. بالإضافة إلى ضعف آشور التي كانت القوة الأكبر المجاورة لميتاني في شمال الرافدين. وانشغال القوة المصرية بالتخلص من الهكسوس وفلولهم في مصر.

وبفضل ذلك تمكن الحوريون من تشكيل دولة كبيرة بلغت أوج قوتها في منتصف الألف الثاني ق.م، عرفت باسم مملكة حوري – ميتاني امتدت من نوزي (بالقرب من كركوك) في الشرق عبر منطقة شمال نهر دجلة وشمالي سورية حتى "كيزوواتنا" في جنوب غربي آسية الصغرى في الغرب، كان مركزها في منطقة مثلث نهر الخابور ومنابعه .[٢]

---

١ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٥٢ .

٢ – مرعي (عيد)، ص ٣٥٠.

ب- التوسع الحوري في الشمال السوري

كان نشوء مملكة ميتاني مع بداية حروبها مع الحثيين، فتوجهت حملات الحثيين بعد استقرار سيادتهم على المرتفعات الجبلية الأناضولية والسهول الكيليكية إلى مدن سورية الشمالية، حيث دخل الحثيون في صراع على هذه المنطقة مع الحوريين خلال حملات الملك خاتوشيلي الأول عام ١٦٠٠ ق.م، وذلك نظراً لغنى هذه المنطقة الاقتصادي، ولأهميتها في مجال التجارة الخارجية، ومن أشهرها مملكة حلب وحليفتها آلالاخ على العاصي ومنها أيضاً كركميش وأورشو وخشوم .[١]

والهدف الأول لحملة الملك الحثي خاتوشيلي الأول في شمال سورية كانت مدينة آلالاخ، حيث ادعى أنه دمرها ولكن ذلك كان مجرد ادعاء، لأن آثار الطبقة الأثرية المعاصرة للحدث لا تشير إلى دمار حقيقي، وباحتلاله آلالاخ التابعة لحلب فقدت حلب واحدة من أهم مراكزها القريبة من الدولة الحثية، كما هاجم أورشوم شمال حلب ونهبها مع مدن أخرى صغيرة. وقد كان هدفه من ذلك ملك حلب الذي كان يقود تحالفاً يضم عدداً من حكام سورية الشمالية ومعظمهم حوريون .[٢]

وعندما انشغل خاتوشيلي بحملات في المناطق الجنوبية الغربية (أرزاوا) تغلغل الحوريون في بلاده واستسلمت لهم مدن كثيرة، ولكن خاتوشيلي تراجع بسرعة من أرزاوا، وحاول أن يحاصر الحوريين، ويقطع عليهم طريق الانسحاب، فأدرك الحوريون ذلك، فتراجعوا بسرعة. وجرت معارك بينهم في المناطق القريبة من شمال سورية .[٣]

ازداد نفوذ الحوريين بين البليخ والخابور، وأصبحت لهم السيطرة على مدن أورشم و خشوم، وبدأت هذه الدولة تتطلع إلى الشمال لتتوسع على حساب الحثيين ولتنتقم منها، واستطاع الميتانيون السيطرة أيضاً على أملاك الدولة الآشورية بمعظمها في مناطق شمال الخابور .[٤]

كانت أولى بوادر الصدام بين الحثيين والميتانيين عندما ساند الحوريون خشوم التابعة لهم، واستطاعت هذه المدينة أن تواجه تقدم خاتوشيلي الأول شمال سورية، ثم تبع ذلك ضعف الحثيين وبدء تدفق القوة الميتانية التي هددت قلب الدولة الحثية وعاصمتها .[٥]

---

1 - The journal of American oriental society , 1960 , p 301

٢ – إسماعيل (فاروق)، الحثيون وحلاتهم على سورية، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨١ – ٨٢ ، ص ١٩ .

3 - The Cambridge ancient history , op. cit, vol 2, part 2 ,P 37

4 - Redford ,D ,op.cit , P , 279 .

٥ – الأحمد (سامي سعيد)، ص ٢٤٦.

ولم تكن المساعدة الميتانية فقط لمدينة خشم، إذ أن الميتانيين قاوموا مع مدينة "أورشو" ما أطال أمد الحصار الحثي عليها، ويبدو أن المساعدات الميتانية شملت أماكن أخرى ضد الحثيين إذ أن الملك الميتاني تلقى من أمراء شمال الرافدين أواني من الذهب مكافأة له، وهو ما يؤكد أن الحوريين كانوا يحاربون الحثيين في كل مكان [١].

وازداد الضعف الحثي في عهد "خانتيلي الأول" إذ شهد حكمه الكثير من الأزمات والحروب الداخلية فاستغل الميتانيون ذلك واتجهوا للسيطرة على الأجزاء الشرقية من الدولة، كما ساعدوا في الوقت نفسه قبائل " الكاسكا " في غزو مدينة "نيريك" الحثية المقدسة، و" تيلورا " بالقرب من العاصمة حاتوشا .

وخلال هذه الفترة التي كانت فيها القوة الحثية إلى زوال، أخذ الميتانيون يقوون الجيش باستخدام الأساليب التي كانت غريبة على الحثيين حتى ذلك الزمن، إذ عمدوا إلى استخدام المركبات الحربية التي تجرها الخيول، والتي كانت إنجازاً كبيراً في تلك الفترة، مما جعل ميزان القوة العسكرية يميل إلى الكفة الحورية الميتانية الناهضة [٣].

حدثت أقوى مراحل الصراع عندما واجه الميتانيون الجيش الحثي إلى الشمال من" كركميش"، إذ تمكن الميتانيون من الانتصار مما أدى إلى هرب الملك الحثي من المعركة وترك أبناءه رهائن بيد الميتانيين، لينتهي بذلك الخطر الحثي.

وكان زوال الخطر الحثي قد أدى إلى انتهاء مرحلة تقاسم النفوذ الذي كان بين الجانبين لفترة من الزمن في شمال سورية، لتعود الدولة الحثية إلى مناطق حاتوشا وما حولها فقط [٤].

وبذلك نجد أن القوة الحورية الميتانية رغم دخولها إلى المنطقة منذ فترة مبكرة من الألف الثانية قبل الميلاد، إلا أنها لم تلعب الدور الرئيسي في السيطرة على الشمال السوري، إلا بعد التراجع الحثي ودخول هذه الدولة في صراعها الداخلي [٥].

وهكذا خضع شمال سورية لمملكة حوري – ميتاني. ثم ما لبث هذا الوضع أن تغير فيما بعد نتيجة سياسة التوسع التي اتبعها ملوك الدولة الحديثة في مصر كما سبق وذكرنا آنفاً [٦].

---

1 - Astour, M, op. cit., 1972, P 104 .

٢ – الجرني ، ص ٤٦.

٣ – مرعي وفرزات (عيد و محمد حرب)، ص ١٦٦.

٤ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٥٥ .

٥ – عيد (محمد فرزات ومرعي)، ص ٤١.

٦ – مرعي (عيد)، ص ١٠٢ – ١٠٤.

كان الهدف الأساسي للغزو المصري على الدوام هو أراضي سوريا بمدنها الغنية وسهولها المثمرة وموانئها الاستراتيجية، وطرق القوافل المؤدية إلى آسيا الصغرى والإمبراطوريات القوية في وادي دجلة والفرات. وبسبب الوضع الجغرافي للبلاد لم تشهد سوريا مطلقاً قيام دولة موحدة قوية، بل نجد بدلاً من ذلك جماعات صغيرة يرأس كلاً منها ملك، إضافة إلى الحروب التي لا تكاد تتوقف بين هذه البلدان العديدة، فلا تعرف السلام إلا عندما يهددها جميعها عدو مشترك. وهكذا كان انقسام البلاد إلى دول مدن صغيرة، ووقوعها في منتصف الطريق بين مصر وبابل هو السبب الحقيقي في أنها منذ الأزمنة المبكرة قد سقطت تحت السيطرة السياسية لواحدة أو أكثر من القوى الكبرى في الشرق القديم .

وكان الميتانيون قد استغلوا الضعف في الدولة الحثية ليسيطروا من جديد على الشمال السوري فطموحات الميتانيين في التوسع لم يكن لها حدود، وبالرغم من حملات تحوتمس الثالث الستة عشر إلا أن الميتانيين لم يضعفوا واستمروا بمحاولاتهم لإظهار قوتهم في الحصول على أراضي جديدة، والتوسع على حساب المصريين. وما إن وصل نبأ وفاة تحوتمس الثالث إليهم وتولي ابنه الحكم حتى حاولوا من جديد اغتنام هذه الفرصة والثورة من جديد [٢] .

١ – ج . شتيندروف (ك. سيل) ، ص ٦٨ .

2 - Nigel stillman and nigel tallis , Armies of The Ancient near east 300- BC to 539 BC , 1984 ,P , 23 .

جـ ـ الصراع المصري الحوري على الشمال السوري

حاولت ميتاني استغلال نبأ وفاة تحوتمس الثالث لاغتنام الفرصة وبسط نفوذها على سوريا وتحريض أمرائها ضد الوجود المصري، لكن هناك من استطاع التصدي لهم وإيقافهم، حيث تولى الحكم بعد تحوتمس الثالث ابنه امنحوتب الثاني (١٤٣٦ – ١٤١٣ ق.م) وكان قد تقاسم السلطة مع أبيه لمدة ثمانية عشرة شهرا تقريباً، وعثر على اسميهما جنباً إلى جنب في معبد عمدا ببلاد النوبة. واستطاع أن يتولى العرش خلفاً لأبيه دون أية صعوبة. وقد بدأ الحكم تقريبا ابتداءً من العام ١٤٣٦ ق.م وكان شابا قوياً أكثر قوة من أبيه وفاق كثيراً من ملوك مصر الأقوياء .

واشتهر عنه أنه كان عظيم السلطان وشديد البأس، فكان قد نشأ نشأة عسكرية، فكان بارعاً في كل فنون الحرب، وورد عنه أنه كان قوي البنية والافتخار بنفسه لا يضارعه إنسان في استعمال قوسه الحربي. وقد عثر على هذا القوس في قبره فوجد منقوشاً عليه هذا النص " **قاتل الأعداء قاهر قوش وناهب بلادهم سور مصر العظيم الحامي جنوده** " .[٢]

كان للأعمال التي قام بها تحوتمس الثالث فضل تمهيد الطريق أمام الملوك الذين خلفوه على عرش مصر، ولكن من جهة أخرى كانت تلك التنظيمات الصارمة وفي مقدمتها أعباء الضرائب المرهقة وأعمال السخرة الإلزامية التي أثقلت كاهل سكان سوريا قد جعلتهم يحاولون باستمرار التخلص من السيطرة المصرية، ولذا فإن امنحوتب الثاني وجد نفسه مضطراً لتجديد الحملات العسكرية على سوريا وبصورة خاصة خلال السنتين الثالثة والسابعة من حكمه .[٣]

وسجل أعماله الحربية على ثلاث لوحات : لوحة في عمدا بالنوبة، لوحة في الكرنك، وأخرى في منف. واستطاع امنحوتب الثاني بفضل أعمال والده أن يتمتع بحكم مستقر في الداخل، أما في الخارج فقد بدأ السوريون بالميل إلى الثورة بتحريض من الملك الميتاني، فقد عادت ميتاني لتلعب دورها من جديد كما كانت عليه الحال من قبل مستغلة فرصة وفاة تحوتمس الثالث . وكانت الثورات المحلية قوئية إلى

1 - Grimal , N, A history of ancient Egypt, Oxford, 1994, p 217

٢ – حسن (أسامة)، مصر الفرعونية، دار الأمل، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٨.

٣ – الحلو (عبد الله)، ص ٥٩١ .

٤ – السيد (رمضان)، ص ٨٨ – ٨٩ .

درجة تمكنت خلالها بعض المدن الفلسطينية من الاستقلال من جديد وهي التي كانت ذات الاهتمام الأكثر من قبل الملك، وفيها الحاميات العسكرية المصرية أيضاً .[١]

ويرى بعض الباحثين أن التمرد كان مقتصراً على المدن الأبعد عن مصر، أي على المناطق الواقعة إلى الشمال من شمش– أدوم*، وهي أول المناطق التي هاجمها الملك لذلك كان على الملك القيام بعدة حملات لإيقاف هذه التمردات، والقضاء على تحريض المستمر من المملكة الحورية الميتانية .

أ – حملة السنة الثالثة

لم تصل أنباء انتقال التاج المصري إلى امنحوتب الثاني إلى سوريا حتى اغتنمت المملكة الحورية – الميتانية هذه الفرصة فحرضت أمراء سورية من جديد ضد تواجد النفوذ المصري في مناطقهم، ولذلك نشبت ثورة واسعة رفض فيها الأمراء السوريون إرسال الجزية المقررة عليهم آملين أن يكون الملك الجديد أقل قسوة ونشاطاً من أبيه، ولكنهم أخطؤوا التقدير .[٣]

ففي العام الثالث من حكمه نجد أمنحوتب الثاني يتوجه لإخضاع ثورة في إحدى الدويلات التي يرد اسمها بشكل "تحس" أو "تخسي"*، حيث قامت فيها ثورة أيضاً ضد السيطرة المصرية، واستطاع الملك شخصيا أن يذبح سبعة من زعماء العشائر على الأقل كانوا يتزعمون تلك الثورة .[٤]

وحمل جثثهم معه حين عودته إلى مصر منتصراً، حيث "**علقوا منكسين على مقدمة سفينة جلالته** " إذ تسجل لوحة من الجرانيت عثر عليها في معبد الكرنك أن الملك قضى على الثوار ونكل بهم أشد تنكيل، كما نعرف من لوحتي عمدا والفنتين بالنوبة " **أن جلالته عاد سعيداً إلى أبيه آمون بعد أن قتل الرؤساء السبعة الذين كانوا في منطقة تخسي وعلقهم مقلوبين على سفينة جلالته وقد علق**

1 - Giveon, R, The Thutmusis IV and Asia, JNES. 28 (1969), P 59.

*– شمش – أدوم: وردت في قائمة البلدان التي فتحها تحوتمس الثالث في سورية، في المكان المسمى "تل أدما" تقع على بعد ١٨ كم شمال شرقي حمص، انظر: أحمد(محمود عبدالحميد)، ص ١٩٠.

2 - Breasted, J. H,op . cit , p 245.

٣ – دريوتون و فانديه (أتيين و جاك)، مصر، ترجمة عباس بيومي، القاهرة، د. ت، ص ٤٥٨

*– تخسي : يعتقد أن موقعها كان في وادي العاصي الأعلى إلى الجنوب من قادش، انظر : إسماعيل (فاروق)، مراسلات العمارنة الدولية، دار إنانا، دمشق ، ٢٠١٠ م ، ص ٨٣.

٤ – الحلو (عبد الله)، ص ٥٩١.

ستة منهم على واجهة سور طيبة وأرسل السابع ليعلق على جدار سور نباتا* ليكون عبرة تريهم قوة جلالته " .[1]

ب – حملة السنة السابعة

لم تكن حملة العام الثالث كافية لإيقاف الثورات التي اندلعت في سوريا بتحريض من ميتاني، لذلك اضطر إلى القيام بحملة أخرى في العام السابع من حكمه، وبحملة أخرى في السنة التاسعة وكلتاهما ذكرت وقائعهما في لوحة الكرنك ولوحة منف فقد جاء على لوحة منف :

" **السنة السابعة، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم الخامس والعشرين يذكر أنه سحق نهارين وأن قوسه خربها...وقد شفى غليله حينما قطع رؤوس الثوار**"[2]

فنجد الملك يظهر في منطقة الجليل الأعلى حيث استطاع أن يأسر وينهب المدينة الحصينة " شمش – أدوم " ثم اتجه إلى منطقة لبنان، وهزم قبائل الجبل، ويفخر الملك أنه استطاع شخصياً أن يأسر ٣٥ أسيراً و١٩ رأساً من الماشية في هذه المعركة. وبعد هذا النصر عبر الجيش المصري نهر العاصي ليقابل السوريين واضطرهم الملك للفرار، وكان قد اشترك شخصياً في القتال .[3]

كما تمكن الملك من مواجهة بعض المتمردين في المنطقة، وجاء في وصفهم على أنهم من الأسيويين الذين هاجموا مؤخرة القوات المصرية، فتعقبهم الملك وسقط الواحد منهم على الآخر حتى خارت قواهم بالإضافة إلى قائدهم. واستطاع الملك هزيمتهم جميعاً كما تمكن الملك من إلقاء القبض على بعض الماريانو " ضباط ميتانيين " مع سلاحهم وخيولهم، مما يدل على استمرار التدخل الميتاني عسكرياً ضد مصر رغم الهجمات المصرية القوية على مناطق نفوذهم .[4]

ويبدو أن الملك استطاع التوغل في أراضي ميتاني، فقد جاء في أخباره أن أمراء ميتاني أتوا إليه حاملين جزيتهم على ظهورهم باحثين عن جلالته ليسمح لهم بالبقاء أحياء واستنشاق نفس الحياة. وهكذا عرفت ميتاني الملك بعد ما كانت تجهله، ولما بلغ أقصى تلك الجهات الشمالية نصب فيه حجراً

*- نباتا: مدينة قديمة على سفح جبل برقل بالقرب من الشلال الرابع في السودان، وكانت مركزاً لعبادة الإله آمون، انظر: أديب(سمير)، ص ٨١٠.

1 - Rainy ,A, Amenhotep II Campaign to Takhsi , 1971 , p 71 – 72

٢ – أحمد (محمود عبد الحميد)، جـ١ ، ص ١٩٠ .

3 - Spalinger, Anthony , j , op . cit , p 140

4 - kubrt, A , op . cit , p 193

أثرياً كما فعل والده وجدّه على الشاطئ الشرقي للفرات تحدد حدود مصر من الشمال وقام بوضع لوحة أخرى في معبد نباتا تحدد حدود مصر الجنوبية .[١]

وأن امنحوتب كان مضطراً فيما بعد للاتجاه إلى الشمال السوري الذي كان أيضاً قد قام بثورة ضد السيطرة المصرية. وليس من المؤكد أنه كان لدولة ميتاني هذه المرة أيضاً دوراً في هذا التحرك الجديد ضد مصر، إلا أنه غير مستبعد.

وقد وصل امنحوتب في هذه الحملة حتى المنطقة المسماة "ني"(في شمالي الغاب) التي خضعت له دون حرب. إلا أنه لاقى فشلاً ذريعاً في محاولته لإعادة السيطرة المصرية على دول ألالاخ وحلب ومشارف الفرات. مما أدى إلى ضياع كل المنطقة الواقعة بين نهر العاصي ونهر الفرات من سيطرة مصر .[٢]

وخلال عودته باتجاه جنوبي البلاد احتل الميناء "أوغاريت" حيث حدثت فيها ثورة ضد الحامية المصرية، وكانت تهدف إلى تغيير موقف الحاكم لصالح عدو مصر(ميتاني). واستطاع هزيمة الثائرين وقتل العديد منهم حيث ذكر

" وبعد ذلك ضرب سرادقه بالقرب من أوغاريت وتغلب على كل أعدائه هناك، وقد أهلكهم كأن لم يغنوا بالأمس إذ جعل عاليهم سافلهم، ثم قفل راجعاً فرح القلب بعد أن أصبحت هذه الأرض الأجنبية قاطبة ملكاً خاصاً له " .[٣]

وتابع سيره جنوباً عبر أراضي مملكة قادش حيث أقسم الحكام المحليون له يمين الولاء، وقبل أن يغادر امنحوتب الثاني المنطقة عمل على إعادة تنظيم الأمور في المناطق المجاورة لقادش و في شمالي البقاع. ثم ذهب إلى مدينة تدعى خشابو hashab *وكان لظهور الملك في هذه المنطقة دور في تعزيز سلطة الحكم المصري في سورية. وقد تم أخذ عدد من وجهاء خشابو أسرى أو رهائن. بعد ذلك عاد الجيش المصري إلى وادي النيل مستخدماً كما يظهر الطريق البري عبر فلسطين ولم يقم امنحوتب بعد ذلك بأية حملات عسكرية في سورية .[٤]

---

١ – برستد (جيمس هنري)، ص ٢١٤ .

٢ – الحلو (عبد الله)، ص ٥٩١ .

٣ – حسن (سليم) ، جـ ٤، ص ٦٥٩ .

* – خشابو : تقع على ساحل فينيقيا جنوبي صيدا وتسمى حالياً حاصبيا، انظر: لالوليت (كلير)، ص ١٨٦ .

٤ – كلينغل (هورست)، ص ١١١ – ١١٢ .

جـ– حملة السنة التاسعة

كانت تهدف للقضاء على الاضطرابات في شمال فلسطين، والتي قامت بسبب تحريض الملك الميتاني على الثورة ضد مصر، وتوغل البدو، ما أدى إلى عدم الاستقرار فكان ذلك هو ما شجع الملك على القيام بهذه الحملة.

"**في السنة التاسعة، الشهر الثالث من الفصل الأول، اليوم الخامس والعشرين تقدم جلالته إلى رتنو في حربه المظفرة الثانية، ضد مدينة "أفق" وقد خرجت إليه مستسلمة، ومضى الملك بعد ذلك بعربته مزدانة بأسلحة الحرب، ليحمل على مدينة "يحم" والآن فإن جلالته أخضع قرى "مبسان" بالإضافة إلى قرى خيتان وهاتان** " .[١]

واستطاع الملك أن يأخذ أمراء المنطقة وأطفالها ونساءها أسرى أحياء، ثم تابع تقدمه فوصل إلى مدينة "ايتورين" وعلى مجدل " ين " * فأسر تسعين ألفاً من الأمراء و ٧٥ من الآسيويين الأحياء و ٢٣ من الأيدي و ٦٠ عجلة حربية من الذهب والفضة، بالإضافة إلى أسلحتها الحربية، إلى جانب عدد من رجال الرتنو وأطفالهم وزوجاتهم وكل أملاكهم وبعد ذلك عاد امنحوتب إلى منف، ويكون بذلك أخضع كل الأقطار التي فكرت يوماً بالثورة عليه .[٢]

وكانت نتيجة ذلك أن "**اتى إليه رؤساء دولة ميتاني وجزيتهم على ظهورهم عسى أن يمنحهم جلالته نفس الحياة** " . وخاطبهم بأنه " **حاكم الحكّام في هذه الأرض إلى الأبد** " .[٤]

توفي هذا الملك بعد أن حكم مصر لمدة ستة وعشرين عاماً ودفن أيضاً كما دفن والده وأسلافه في وادي الملوك بطيبة .[٥]

انتقلت تقاليد الحكم بعد امنحوتب الثاني إلى تحوتمس الرابع . وكان كفؤاً لشغل منصبه على الرغم من صغر سنه، ويحتمل أنه لم يكن ولي العهد الشرعي، ويمكن أن نستنتج

1 – Yeivin , S , h , The Third district in thutmse III Palasteno Syrian Towns , 1950 , p 126 .

*–إيتورين و ين : تقعان بالقرب من شويكه الحالية في نابلس، انظر : أحمد (محمود عبد الحميد) ، ص ١٩٣

٢ – فكري (وائل)، ص ٢٩٦ .

٣ – توفيق (سيد)، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٨١.

٤ – أحمد (محمود عبد الحميد)، ص ١٩٤ .

٥ – السيد (رمضان)، ص ٨٩ .

ذلك من اللوحة التي أقامها بين قدمي أبو الهول . إذ يذكر فيها بأن الإله حوْر آختي (الذي يمثله أبو الهول) جاءه في المنام وبشره بأنه سيصبح ملكاً وطلب منه إذا تحقق ذلك أن يزيل الرمال التي جمعت من حوله ويبدو أنه قد أقام هذه اللوحة لتبرير وجوده على العرش .[٢]

وأما بالنسبة لنشاط تحوتمس الرابع العسكري فتوجد بعض الإشارات إلى نشاطاته العسكرية من خلال المدونات العائدة إلى فترته، فقد عثر في مدفنه الذي اكتشف في طيبة على هيكل لعربته وعليها زخارف تمثل مشاهد من حروبه ضد السوريين والميتانيين ، ففي مطلع حكمه نشبت فّي سوريا ثورة عارمة استدعت ذهابه، ودلتنا نقوش معبد آمون بطيبة أنه اضطر أن يذهب شمالاً إلى بلاد النهرين لمواجهة الميتانيين هناك، وبمجرد ظهوره لهم قام بمعاقبتهم على ذلك وفرض جزية كبيرة أخذها من ملك تلك المناطق ، ونجد إشارات عن نشاط تحُوتمس الرابع ضد الميتانيين في عدة نصوص منها في قوائم القرابين التي قدمها الملك إلى المعبود آمون على أنه استولى على بلاد النهرين بعد أن أخمد الثورات التي قام بها الأمراء التابعون له في الولايات السورية، وفي مقبرة أحد رجال عصره (خع أم حات)* نرى صورةً لتحوتمس الرابع ومن ورائه أوانٍ من الذهب والفضة جاء بها أحد الوجهاء إلى الملك من بلد بابل وتونيب وقادش وتخسي .[٥]

وخلف هذا يشاهد أمراء آسيويون منحنين حتى الأرض، وقد نقش فوقهم التالي : " **إحضار جزية "نهرين" بأمراء هذه البلاد لأجل أن يلحوا في طلب منحهم نفس الحياة الخضوع لرب الأرضين العظيم، عندما يأتون حاملين جزيتهم لرب الأرضين قائلين " امنحنا النفس الذي تعطيه يا أيها الملك العظيم** "

---

١ – عصفور (محمد أبو المحاسن)، ص ١٧٣ .

2 - Grimal, N, op. cit , 1994. p 220

٣ – الحلو (عبد الله)، ص ٥٩٣ .

٤ – حسن (أسامة)، ص ٢٩ .

* – خع أم حات : وهو المشرف على مخازن الحبوب زمن الملك تحوتمس الرابع وابنه الملك امنحوتب الثالث، ومقبرته نحتت في جبانة (شيخ عبد القرنه) رقم ٥٧ وتعد أعظم مقابر الجبانة من حيث الفخامة في النقش وإبداع التصوير ويلاحظ مظاهر الثراء على صاحب القبر وصولاً حتى أقل العمال حيث الكل يرتدي الملابس الأنيقة وينتعل الأحذية وأهم مناظر المقبرة وقوفه أمام الملك يقرأ له تقرير الحصاد، انظر : فكري (وائل)، ص ٣١٥.

٥ – كلينغل (هورست)، ص ١١٣ .

وكذلك نرى منظرا مماثلا في مقبرة الضابط " ثانني "* يرجع إلى عهد هذا الملك جاء فيه " **إحضار جزية بلاد رتنو وتقديم الأقاليم الشمالية، الفضة والذهب والفيروز وكل حجر ثمين إلى أرض الإله من أمراء كل الأقطار، لقد حضروا ليقدموا هدايا للإله الطيب وليلتمسوا لأنوفهم بوساطة كاتب الفرعون الحقيقي ومحبوبه قائد الجنود وكاتب المجندين ثانني**" .[١]

ويؤكد ذلك أيضاً الأماكن التي ذكرت الغنائم التي جلب منها الملك في سورية في حملاته عليها، وأهم تلك الأماكن كانت، مقبرة أحد كبار رجال الدولة نب أمون "Neb Amon"* الذي جاء في مقبرته قوله: "**أولاد ملوك نهارين يقدمون كقربان للملك**" وصور لأسرى ملامحهم آسيوية، المقبرة رقم/ ٩١ / في طيبة الغربية وتشير إلى صور للميتانيين الذين يطلبون من الملك تحوتمس الرابع نفس الحياة كما تظهر صورة الملك على رأس قائمة من البلدان الشمالية، وأهمها" نهرين وبابل وتونيب وشاسو وقادش وتخسي"، مما يشير إلى مروره في مناطق الشمال السوري .[٢]

ومما يؤكد أن الملك تحوتمس الرابع كان صاحب نشاط عسكري في سورية هو أن النبلاء كانوا يلقبونه " فاتح سورية " .[٣]

كما شملت هذه المدونات أسماء المدن التي اجتاحها حتى بلغ نهارينا ومن بينها تونيب وقادش وتخسي، كما يرد ذكر قبائل الشاسو البدوية التي بقيت بمرور الزمن تسبب المتاعب للحكم المصري بصورة متزايدة، وقد وجد نقش كتابي في قبر تحوتمس الرابع فيه إشارة إلى احتلال مدينة "جزر" (التي تقع في فلسطين) وكشف عن نص رسالة في موقع هذه المدينة يعتقد أن تحوتمس الرابع كان قد بعث بها خلال فترة حملته إلى أمير هذه المدينة يطلب منه الطاعة ومواصلة إرسال الضرائب إلى مصر،

---

*– ثانني : من موظفين تحوتمس الرابع كان كاتب الملك وكاتب الجيش والمشرف على الجيش وحامل الختم وقبره في جبانة (شيخ عبد القرنه) رقم ٧٤ ومن أهم نقوشه منظر كبير لعرض عسكري وعرض للخيل والثيران، انظر : فكري (وائل)، ص ٣٠٢ .

١ – حسن (سليم)، ص ١٩.

*– نب آمون : يعد من الموظفين العظام في عهد الأسرة الثامنة عشرة، إذ كان يشغل وظيفة "ياروه" في كل حملاته في الجنوب والشمال، كما كان يلقب قائد جنود عديدين، وقد كانت أول وظيفة هامة رقي إليها هي حامل علم السفينة الملكية "مرى آمون" وهي تعادل وظيفة "قائداً بحرياً "الآن، ثم رقي إلى رتبة رئيس الرماة (قائد المشاة) ثم رئيس الشرطة في طيبة الغربية وخدم في عهد تحوتمس الرابع وامنحوتب الثالث، انظر : حسن (سليم) ، جـ٥ ، ص ٤٠ .

2 - Bryan, B. M , The reign of Thutmuse 4 , London , 1990, p 340 .

3 - Breasted , J, H, op. cit, P 248.

عدا عن ذلك فإن هناك معلومات عن حملات تحوتمس الرابع توحي بها بشكل غير مباشر مراسلات تل العمارنة EA 85 [١].

مثال ذلك ما يصرح به أمير جبيل في رسالة منه إلى امنحوتب الثالث من أن والده تحوتمس الرابع كان قد وصل إلى الساحل الكنعاني للمحافظة على استتاب الأمور في المناطق التابعة لمصر. " ... **منذ عودة أبيك من مدينة صيدونا ومنذ تلك الأيام، باتت البلدان منضمة إلى العفريين** " * ، ما جاء في هذه الرسالة يتطابق مع محتوى إحدى كتابات تحوتمس الرابع عندما ذكر أنه اقتطع أخشاب الأرز من "ريتينو" من مرتفعات لبنان ، ثم شحنها إلى طيبة ليبني[٣]منها سفينة مقدسة للمعبود " آمون " ولما وصل إلى طيبة استخدم عدداً من الأسرى الذين أتى بهم من فلسطين للعمل داخل معبده بطيبة الذي شيده بجوار معابد أسلافه ، ويمكن القول أن الملك تحوتمس الرابع كان آخر الملوك المحاربين الذين سعوا إلى السيطرة الفعلية على سورية، ورغم ذلك فإننا لم نجد أن الملك قد تمكن من هزيمة الميتانيين والقضاء على طموحاتهم في البقاء شمال سورية، إذ أنهم رغم خطبهم وده، نجدهم ظلوا السادة في الشمال السوري [٥].

١ – الحلو (عبد الله)، ص ٥٩٣ – ٥٩٤.

* – العفيرون : تسمية عربية عرف أصحابها باحتراف أعمال الشغب والنهب والارتزاق وكانوا رافضين للسيادة المصرية في ساحل بلاد الشام، كانوا موجودين في مناطق شتى من مصر وبلاد الرافدين وبلاد الشام انظر : إسماعيل (فاروق)، ص ٢٧١ .

٢ – إسماعيل (فاروق)، ص ٣٠٢ .

٣ – الحلو (عبد الله) ، ص ٥٩٤ .

٤ – حسن (أسامة)، ص ٢٩ .

٥ – سليم (أحمد أمين)، ص ١٥٤ – ١٥٥ .

ثانياً : من الناحية الاجتماعية والاقتصادية

١-اجتماعياً

١- التقارب المصري الحوري

بذل تحوتمس الرابع جهده لإعادة الهيبة والاستقرار لمصر، مما سمح له باتباع سياسة جديدة لضمان السلم في الشرق الأدنى، حيث أوقفت مصر سياسة الحملات العسكرية التأديبية ضد المناطق والشعوب الخاضعة لسلطانها، واتبعت سياسة سلمية تقوم على عقد التحالفات الثنائية بين مصر وغيرها من الدول والأقاليم التابعة لها، وتبوأت مصر بالتالي مكان الصدارة الأولى في التاريخ الدبلوماسي، حيث اعتبرت أول دولة تقوم بتدوين وتسجيل المعاهدات الدولية التي تتضمن البنود القانونية والسياسية التي اتفق عليها الحليفان وتراضيا عليها [١].

كانت السيادة المصرية في سورية تشمل الساحل السوري بشكل خاص، أما المناطق الداخلية فلم تكن تشمل إلا فلسطين ودمشق وقادش [٢].

وكثيراً ما كانت القوتان المصرية والميتانية تتنافسان على المناطق الداخلية، إلا أن نوعاً من التقاسم للنفوذ قد حدث بينهما، فقد وقع المصريون اتفاقاً مع الميتانيين تبين منه أن المنطقة الواقعة بين قطنا وقادش كانت تشكل الحدود الفاصلة بين سيادة الدولتين في سورية، وذلك كان لا بد أن يحدث بسبب عودة القوة الحثية للظهور من جديد، تلك القوة التي كانت لها أطماع كبيرة في الشمال السوري، وكانت تشكل خطراً حقيقياً على مصالح الدولتين في سورية، ونتيجة لذلك تم عقد اتفاقية مصرية ميتانية أوقفت الحرب بين الدولتين واستمرت إلى أن تمزقت على يد الحثيين والآشوريين الذين قضوا على الدولة الميتانية [٣].

وظهرت صداقة بين الجانبين تم على أثرها تقاسم النفوذ في سورية كما يلي

– منطقة نفوذ ميتاني وتمتد من شمال حوض العاصي إلى أقصى الشمال والشرق السوري.

---

١ – السويفي (مختار)، مصر القديمة ، تقديم محمد جمال الدين مختار، دار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة ، ١٩٩٧م، ص ٢٠٨ .

٢ – سعدالله (محمد علي) ، ص ٢٦٢ .

3 - kubrt , A, op.cit , P 217 .

– منطقة النفوذ المصري وتمتد على طول الساحل السوري من أوغاريت شمالاً إلى غزة جنوباً، أما في الداخل فكانت من قادش ودمشق شمالاً إلى أقصى الجنوب من فلسطين [١].

كانت لكل من المصريين والميتانيين أسباب تدفعهم إلى التقارب بينهما منها.

- إدراك تحوتمس الرابع بعدم وجود سبب لشن الحروب المتواصلة ضد الدولة الميتانية وذلك لبعد مواطن العدو عن وادي النيل، وبعد مصادر تموين جيش الملك عن ساحات المعارك في أقصى شمال وشرق سوريا، وعدم قدرة البلاط الملكي في وادي النيل على تمويل هذه الحروب الباهظة التكاليف [٢].
- أهمية التجارة البرية وأسواق الشرق الأدنى والتي كانت مهمة لكلتا الدولتين، والتي لن تستقر إلا إذا استقرت قبله الأحوال السياسة بينهما.
- شعور كل من الدولتين ببوادر الخطر من أطماع خاتي، التي قامت في آسيا الصغرى وأطلت على الفرات الأعلى وعلى شمالي سوريا في الوقت نفسه، فرأت الدولتان أن توثيق روابط الصداقة والتقارب بينهما يمكن أن يحد من أطماع هذه الدولة الناهضة ويجعلها تفكر مرتين قبل أن تهاجم واحدة منهما [٣].
- خوف ميتاني من سلطة خيتا المتزايدة وذلك لقرب الحثيين من الميتانيين كما أن تحوتمس الرابع رأى من مصلحته أن يحالف صديقاً له في الجهات الشمالية يعتمد عليه في تهدئة الأوضاع بدلاً من أن يبقى محرضاً أمراءه أحياناً ومتحالفاً معهم أحياناً أخرى ضد وادي النيل .

---

١ – هبو (أحمد ارحيم)، تاريخ الشرق القديم " مصر " ، دار الحكمة اليمانية ، ط١ ، صنعاء ، ١٩٩٥م ، ص ٢١٠ .
٢ – سليمان (توفيق)، ص ٣٦٧.
٣ – صالح (عبد العزيز)، جـ ١، ص ٣١٩ .
٤ – برستد (جيمس هنري)، ص ٢١٦ .

٢ – التحالف المصري الحوري

كان من الصعب تحديد أيّ الدولتين سبقت الأخرى برغبتها بإقرار السلم، لكننا نعلم أن تحوتمس رأى أن خير روابط السلم المنشود هو رابط المصاهرة [١] .

ولهذا الغرض أرسل السفراء إلى بلاط ميتاني طالباً الزواج من إحدى بنات الملك فخطب لنفسه ابنة ارتاتاما ملك ميتاني، وقد رأى تحوتمس أنه من الأفضل عقد معاهدة مع أرتاتاما وتقوية هذه العلاقة بالزواج حتى لا تتعرض مناطق نفوذه البعيدة في سوريا لأي هجوم أو متاعب، وعرفت هذه الأميرة الميتانية باسم " موت أم ويا "، وقد أعطي لها هذا الاسم عند وصولها إلى مصر [٢] .

وبتأسيس تحوتمس الرابع لهذه العلاقة مع الدولة الميتانية من خلال زواجه من ابنة أرتاتاما وثق التحالف مع المملكة الميتانية وتم تأكيد ذلك من خلال رسائل العمارنة EA٢٩ [٣] .

وذلك عندما كتب الحليف توشراتا للملك امنحوتب الرابع مذكراً إياه بمدى عمق العلاقة بين البلدين وبما فعل أبوه وجده لتوطيد هذه العلاقات وذلك بالمصاهرة السياسية بقوله :" **عندما كتب تحوتمس الرابع أبو نيموريا إلى أرتاتاما جدي وسأله بأن يتزوج ابنته وشقيقة أبي. كتب لأرتاتاما خمس وست مرات لكنه لم يعطها. وعندما كتب لجدي سبع مرات عندها وتحت الضغط وافق على إعطاء ابنته للملك المصري** " [٤] .

رغب أرتاتاما في زيادة نصيبه من الهدايا قبل أن يزفها إلى الملك، لذلك حدث جدل في مهرها عدة مرات، كان تحوتمس الرابع قد جعل من زوجته الميتانية من زوجاته الرئيسيات في قصره بينما أنزل أسلافه زوجاتهم الآسيويات إلى منزلة الزوجات الثانويات [٥] .

كانت الأعراف المصرية لا تحبذ الزواج من أجنبية، يرجع ذلك إلى أن الملك المصري ينتمي إلى أصل مقدس من معبود الشمس، وزواجه من أميرة أجنبية كان أمراً لا يمكن أن تتقبله عقلية الشعب في

---

١ – صالح (عبد العزيز)، جـ١، ص ٣١٩ .

٢ – علي (رمضان عبده) ، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ايران – العراق، جـ١، دار نهضة الشرق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ٢٩٠ .

3 - William L.Moran ,The Amarna Letters , Johns Hopkins press , 1992 , p 93 .

4 - Artzi , Pinhas ,The influence of political marriages on the internayional relations of amarna age , editions recherché sur , les civilizations , Paris , 1987 ,p 24 .

٥ – دريوتون و فانديبه (أتيين و جاك)، ص ٤٥٩.

ذلك الوقت. ومع تحول مصر إلى قوة عالمية، أدرك المصريون شيئا فشيئا أن هناك بلاداً أخرى متحضرة خارج وادي النيل لا بد من الاتصال بها وتوطيد العلاقة معها لأسباب سياسية .[١]

كان للسياسة التي انتهجها تحوتمس الرابع نتائج مهمة فتوقف الحرب بين الدولتين الميتانية والمصرية، والسبب في ذلك لا يعود إلى علاقة المصاهرة التي ربطت البيتين الملكيين فحسب، وإنما يرجع إلى أسباب سياسية خارجية وأخرى داخلية، فتعاظم القوة الحثية في آسية الصغرى وتهديدها للدولة الميتانية في عقر دارها، وما نتج عن ذلك من ضعف أصاب الميتانيين من ناحية والوجود المصري في سورية من ناحية أخرى، كل ذلك أدى إلى توقف الحرب بين الطرفين وعقد السلام بينهما وإن كان من دور لهذه المصاهرة بين الطرفين فإن هذا الدور انحصر في تعزيز السلام.

دفعت سياسة تحوتمس الرابع بمصر لتكون من الدول العظمى في مجال السياسة الخارجية فزواجه من ابنة الملك الميتاني "أرتاتاما" كانت تعتبر خطوة لها أكثر من مدلول، إذ أن هذا الزواج الدبلوماسي يؤكد اعتراف ملك مصر بدولة الميتاني، وفي الوقت نفسه يعلن إنهاء حالة الحرب بين مصر وهذه الدولة، وأصبحت من الآن مملكة الحثيين هي العدو المشترك لمصر وللميتانيين .[٢]

وبهذا يكون عهد تحوتمس الرابع عهد انتهاء الحملات العسكرية ضد ميتاني. وكل ذلك نتيجة مباشرة لهذا النوع من الزواج السياسي في تاريخ الشرق الأدنى القديم .[٣]

لم يقم أحد من ملوك الأسرة الثامنة عشرة بعد تحوتمس الرابع بأية حملة عسكرية إلى سوريا، وكل الذين حكموا بعده امنحوتب الثالث وامنحوتب الرابع ثم توت عنخ آمون اكتفوا بإدارة المناطق التابعة لمصر من بلاطهم الملكي، واستمر الوضع على هذه الحال إلى أن زالت السيطرة بشكل نهائي عن كل سورية .[٤]

تسلم الحكم بعد وفاة تحوتمس الرابع ابنه امنحوتب الثالث [خرطوش هيروغليفي]، وكان عليه أن يؤكد شرعية وصوله إلى الحكم عن طريق ادعائه الانتماء إلى الإله آمون، لأن أمه ميتانية وليست مصرية وقد يعيبه ذلك ويتسبب له في المشاكل، ويضعف موقفه أمام المنافسين له على العرش، فروج

١ – السيد (رمضان)، ص ٩٣- ٩٤.

٢ – توفيق (سيد) ، ص ٢٨٢ .

٣ – سعدالله (محمد علي)، في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر – سورية القديمة ، جامعة الزقازيق ، مركز الإسكندرية للكتاب ،٢٠٠١ م ، ص ٦٥ .

٤ – الحلو (عبدالله)، ص ٥٩٤ .

لقصة مفادها أن الإله آمون أنجبه بنفسه عندما تزوج أمه بعد أن اصطفاها لتكون والدة لملك مصر، وأمر امنحوتب فنانيه ليصوروا قصة ميلاده المقدس في لوحات فنية نقشوها في معبد الأقصر تشبه مناظر ولادة الملكة حتشبسوت المنقوشة على جدران معبدها في الدير البحري .[١]

اتسم عهد امنحوتب الثالث بالاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي، بفضل جهود أسلافه من الأسرة الثامنة عشرة إلى أن بلغت خيرات مصر وثرواتها في بداية عهده مبلغاً لم تبلغه من قبل .[٢]

وبدأ امنحوتب الثالث عهده بإظهار مظاهر القوة، لكنه لم يقم بحملات سوى إرساله لأحد قواده المدعو (مرموسي)* في العام الخامس من حكمه للقيام بحملة إلى النوبة لإخماد ثورة قامت في بعض أقاليم النوبة خلف الشلال الثاني .[٣]

ولم يخرج امنحوتب الثالث بحملة من حملات الحرب. وتدعم هذا لوحة موجودة في المتحف البريطاني للقائد "مرموسي" (نائب الملك في النوبة)، تشير إلى حملة قام بها هذا القائد بتكليف من الملك للقضاء على ثورة ربما تكون هي نفسها حملة السنة الخامسة، وأن عدد الأسرى بلغ ١٠٥٢ أسيراً .

اتسع ملك امنحوتب الثالث حتى وصل إلى "مروى" عند الشلال الرابع ولم يجد بعد ذلك ما يضطره إلى الخروج في أية حملة حربية في عهده الطويل، ومع أنه أحب الصيد، إلا أنه لم يكن محباً للحروب .[٥]

ويبدو أن الملك أمنحوتب الثالث كان له من المهارة الدبلوماسية ما جعله قادراً على الحفاظ على التوازن مع القوى الأخرى، والمحافظة على ما ورثه من أسلافه، كما حصل على نوع من الاستقرار في ممتلكات مصر الآسيوية، وظلت الجزية القادمة من الشمال منتظمة في الوصول إلى مصر .

---

١ – هبو (أحمد ارحيم)، ص ٢١١ .

٢ – صالح (عبد العزيز)، جـ١، ص ٣٢٠.

*– مرموسي : وهو الذي خلف (امنحتب) على كرسي الوزارة وعاصر حتى عهد أخناتون وحمل العديد من الألقاب ، وقبره في جبانة (شيخ عبد القرنه) رقم ٥٥ يعد من المقابر العظيمة من الناحية الهندسية، انظر : فكري (وائل)، ص ٣١٥ .

٣ – توفيق (سيد)، ص ٢٨٧.

٤ – سعدالله (محمد علي)، ص ٢٦١ .

5 - Helck, W, Urk IV,p.1739, 4

6 - Jaquier, G, Histoir de civlisatian Egyptien , Paris , 1930, p 237-238 .

أما بالنسبة لما ذكره عن ظفره ببعض البلاد السورية فهو ليس إلا مجرد تصوير بقصد إظهارها بمظهر الخاضعة له ولسلطانه عليها، ذلك أن قدمه لم تطأ أرض سوريا طوال حياته، حيث ساد السلام عصره[١] .

والدليل على ذلك ما كتبه الحكام السوريون لابن امنحوتب فيما بعد يقول :(**الحق، أن والدكم لم يتحرك إلى الخارج، ولا تفقد أراضي أمرائه الموالين**) ، فقد كانت فلسطين وسوريا[٢] خاضعة للسيادة المصرية، ومقسمة إلى ثلاثة مناطق وهي :

- ولاية خزة (غزّة) في الجنوب.
- ولاية كومد (كامد اللوز) في الوسط.
- ولاية أمورو *(صُمّر) في الشمال.

وكان يستقر في كل منها مندوب ملكي مصري، بصفة مراقب عام عرف بالأكادية باسم (رابص) إلى جانب حاكم محلي، كما يوجد فيها مقر حكم متميز وحامية عسكرية مصرية، ويبدو أن البلاط المصري اعترف بحكم حكام محليين تابعين له ويحكمون مدناً ومناطق صغيرة.

وكان الحكام المحليون يلتزمون بالأوامر والتوجيهات التي ينقلها المبعوثون والمفتشون المصريون، ويقدم سكانها الضرائب للبلاط المصري[٣] .

حرص الحكام السوريون على إظهار الطاعة، ويتضح ذلك من خلال خطاباتهم إلى الملك امنحوتب الثالث حيث جاء في خطاب أمير قطنا المدعو أكزي إلى امنحوتب الثالث.

" **سيدي أنا خادمك هنا، أتبع سنة سيدي و لا أحيد عنه أبداً. لقد صارت هذه الأراضي ملكك منذ آبائي الذين خدموك. فمدينة قطنا مدينتك، وأنا عبدك. سيدي حالما تصل إلي جنودك وعجلاتك الحربية سرعان ما يقدم لها الغذاء والشراب والبهائم والأغنام والعسل أيها الملك** ".

وجاء في خطاب آخر لأحد الأمراء السوريين:

" **أتشرف بأن أسجد بين قدمي جلالة فرعون مصر على وجهي وظهري** "

---

١ – سعدالله (محمد علي)، ص ٦٦ .

٢ – رايفشتال (اليزابيث)، طيبة في عهد امنحوتب الثالث، ترجمة ابراهيم رزق، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٧ م ، ص ١٣٥ .

*– أمورو : كانت مركز للإدارة المصرية، ويقيم في عاصمتها صُمُر (حالياً تل الكزل قرب صافيتا) مندوب ملكي مصري، انظر : إسماعيل (فاروق) ، ص ٤٩ .

٣ – إسماعيل (فاروق)، ص ٣٣ – ٣٤.

وانعكس هذا الاستقرار على ظهور حكومة وطيدة الأركان في سورية لم يسبق لها مثيل من قبل، وكانت الضرائب تجمع من الأهالي بسوريا، وبمجرد تأخر منطقة معينة، كان ظهور نائب الملك كافياً لجعلها تدفع ما عليها من الضريبة، لذلك لم يجد امنحوتب الثالث مسوغاً لشن حرب في سوريا .

١ – برستد (جيمس هنري)، ص ٢٢٣ .

٣- تبادل الهدايا والرسل مع الدولة الحورية – الميتانية

كانت العلاقة التي ربطت امنحوتب الثالث مع الدولة الحورية الميتانية حسنة منذ عهد أبيه تحوتمس الرابع الذي صاهر الملك الميتاني أرتاتاما الأول وتحالف معه، ونظّم الحدود المشتركة بينهما في سورية، ويبدو أن امنحوتب الثالث حافظ على تلك العلاقة، وحرص على استمرارها. يتضح سير علاقاته الطيبة معها من خلال زواجه من البيت الميتاني، ومن الرسائل التي تم تبادلها بين الدولتين وتناولت مواضيع مختلفة، إذا لم تشمل الحديث عن الزواج فحسب، وإنما تناولت مواضيع أخرى كأهمية الذهب ودوره لدى دول الشرق القديم، من خلال تبادل الرسل بينهما وأهمية الصورة التي ينقلونها عن دولتهم الأم، وتتضح جميع هذه المواضيع من خلال مراسلات العمارنة، تُقرأ في رُقمٍ صغيرٍ نقشت عليه نصوص مدونة بالكتابة المسمارية، وهي ٣٥٠ رسالة، وتصف رسائل تبادلها ملوك مصريون من الأسرة الثامنة عشرة (امنحوتب الثالث، امنحوتب الرابع، توت عنخ آمون) مع ملوك كبرى ممالك الشرق القديم (ميتاني، خاتي، بابل) وملوك آشور وأرزاوا و ألاشيا، ومع حكام كانوا يحكمون مدناً في سورية خلال القرن الرابع عشر ق.م. وتصوّر الرسائل أيضاً طبيعة علاقات مصر مع الكيانات السياسية الكبرى والصغرى، وتسلطُ الضوء على الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية فيها .[١]

كانت لأمنحوتب وقوته التي أظهرها هو وأسلافه من قبله، أهمية كبيرة حيث تسابقت الدول للحصول على رضاه وإظهار الطاعة له، ومن الدول التي أظهرت ذلك الدولة الميتانية التي سعت لتحسين علاقاتها مع مصر منذ أيام تحوتمس الرابع، وحرصت على استمرار هذه العلاقات خلال عهد امنحوتب الثالث، وتم تبادل الهدايا بين الدولتين لتكون دليلاً على المحبة والود بينهما.

كما وتبادل ملوك مصر في علاقاتهم مع ملوك الدول المجاورة عبارات التحية الحميمة، فكان الرسل يحملون معهم رسائل لجلالة الملك ولباقي أفراد الأسرة المالكة، بالإضافة إلى ذلك حملوا معهم أيضاً الهدايا بأشكالها المتعددة والمختلفة، وكلها من أرقى النوعيات، وكانت هذه الهدايا أفضل سبيل يعبر بها كل ملك عظيم عن حبه اللامحدود وتقديره لأخيه الملك وكان تسليم الهدايا يعدّ مناسبة يحضرها كل كبار رجال الدولة وكذلك كبار ضيوف الدولة من الأجانب لمشاهدة الهدايا المبهرة والأشياء الثمينة

١ – إسماعيل (فاروق)، ص ١٥ – ١٧.

الآتية من مملكة بعيدة لتعد دليلاً حياً وملموساً على التقدير الدولي الذي يتمتع به الملك [١].

وقدّمت الهدايا المتبادلة بين القصور الملكية صورة عن مدى الثراء والرخاء والانتعاش الذي تنعم به المملكة، كما وأظهرت تنوع وكثرة المصادر المادية المتوفرة تحت أمره، ومقياساً لمدى حبه لأخيه الملك، فكلما عظم العطاء دلّ على حبّ أعظم، كانت تلك النظرية على الأقل هي التي تحدد العلاقات.

وكان هناك العديد من المناسبات التي يتم فيها تبادل الهدايا بين الممالك منها الأعراس وتعدّ من المناسبات الهامة التي يتم فيها تبادل الهدايا بسخاء شديد، على هيئة تقدمات للعروس من أهلها، فقد أرسل الملك الميتاني توشراتا عدداً كبيراً من العبيد والرقيق إلى امنحوتب الثالث كهدية عرس، ووصلت العروس تادوخيبا محملة بهدايا ثمينة يرد وصف تفاصيلها في الرسالتين EA 22-25 . ومن هذه الهدايا نذكر.

أحصنة جميلة من التي تعدو بشكل سريع.

عربة خشبية حوافها، غطاؤها من ذهب كلها، وقد استهلك في صنعها ٣٢٠ ثقلا من الذهب.

قطعتان جلديتان، مكسوتان بالذهب والفضة، وفي وسطهما اللازورد، وقد استهلك في صنعها ١٠ أثقال من الذهب و ٢٠ ثقلا من الفضة.

قلادتا عنق للأحصنة، مكسوة بالذهب، ٨٨(حبة) بالعدد، وقد استهلك في صنعهما ٤٤ ثقلاً من الذهب.

طقم ألجمة للخيل، فتحتا العينين فيه من عاج، وفيها مسامير من الذهب.

طقم من أطواق العنق، من البرونز.

٣٠ سهماً قاطعاً جميلاً.

خنجر نصله من حديد، غمده من الذهب، مقبضه من خشب الأبنوس، مكسو بالذهب، وقد استهلك في صنعه ٦ أثقال من الذهب.

سكين من البرونز، مقبضها مكسو بالذهب، وقد استهلك في صنعها ٣ أثقال من الذهب.

عصا للرمي مكسوة بالذهب، وقد استهلك في صنعها ٣ أثقال من الذهب.

غطاءان نسيجيان ملونان.

---

١ – برايس (تريفور)، ص ١٥٩ .

زوج من القفازات المنسوجة من صوف أحمر سطل للأحصنة من القصدير، عليه نسور من ذهب، وهو مرصع باللازورد الجبلي، ووزنه ٣٠٠ ثقل [١].

منخل من الذهب وزنه ٢٠ ثقلاً.

سوار من الحديد مكسو بالذهب مرصع باللازورد، وقد استهلك في صنعه ٦ أثقال من الذهب.

خلخال من الذهب مرصع وقد استهلك في صنعه ٥ أثقال من الذهب.

طقم لليد خرزاته من الحجر، عددها ست، مكسو بالذهب. وقد استهلك في صنعه ٦ أثقال من الذهب.

ربطة رأس من الذهب وزنها ١٤ ثقلاً.

زوج من الأحذية غير المدبوغة، عليه عقد مكسو بالذهب. أزراره من اللازورد، وقد استهلك في صنعه ١٣ ثقلاً من الذهب.

زوج من الأحذية من الصوف الأرجواني – الأزرق ومن الذهب، وقد استهلك في صنعه ٤ ثقلاً من الذهب.

زوج من الأحذية من الكتان الملون، زوج من أغطية الساق المصنوعة من صوف خشن.

ثوب من الصوف الأرجواني– الأزرق. زوج من المعاطف الحورية المدنية.

مصيدة ذباب، ذراعها مرصعة باللازورد مقبضها مكسو بالذهب، وقد استهلك في صنعها ٢٥ ثقلا من الذهب.

حوض غسيل من الفضة، ووزنه ١٥٠ ثقلاً.

رمح من البرونز، مكسو بالذهب، وقد استهلك في صنعه ٦ أثقال من الذهب.

فأس من البرونز مقبضها مكسو بالذهب، وقد استهلك في صنعها ٣ أثقال من الذهب.

طقم من علب الملح، بهيئة عجول وأسود.

طاولة مكسوة بالفضة، وقد استهلك في صنعها ٤٠ ثقلاً من الفضة.

طاس من الذهب وزنه ١٠ أثقال. عشر طاسات من الذهب. طاس من الفضة وزنه ١٠ أثقال.

مجرفة خبز ذراعها مكسو بالذهب، رأسها بهيئة طير، وقد استهلك في صنعها ثقلاًن من الذهب .

---

١ – إسماعيل (فاروق)، ص ١٣٥ – ١٣٧ .

٢ – المرجع نفسه، ص ١٣٧ – ١٤٢ .

شكلت مناسبات للتتويج أيضاً واعتُبرتْ من المناسبات الخاصة وهي فرصة ملائمة لإرسال الهدايا، وكان الملوك الأجانب يذكرون ذلك في الرسائل الواردة إليهم .[1]

كما تم أيضاً تبادل الرسل بين البلدين فقد كان لهم دور هام في توطيد العلاقات بين البلدين. لذلك نرى اسم المبعوث " مين " يتردد ذكره في كثير من الرسائل المتبادلة بين الدولتين وهذا يدل على دوره المهم في تمثيل بلاده بشكل جيد، وحاز الكثير من الرسل على ثقة الملوك فقاموا بمهامٍ في غاية الأهمية في مجال العلاقات بين كبار الملوك، ويعتبر " مين " واحداً من هؤلاء الرسل المهمين، وقد بلغ الأمر بالملوك أنهم كانوا يطلبون من الملك المصري أن يوافيهم بمبعوثه مين بالاسم للاستفادة منه في خدماته . لذلك أصبح المبعوث مين[2] من أقرب المقربين ومفضلاً لدى توشراتا ملك الميتانيين وذلك أثناء وجود المبعوث مين هناك خلال فترة تجهيز ابنة توشراتا، قبل انتقالها إلى مصر وزواج الملك بها، وذكر توشراتا عن مين في إحدى رسائله للملك EA 21.

" **لقد عظمتُ شأنَ كلّ من ماني رسول أخي، وخاني ترجمان أخي، كالآلهة أعطيتهما هدايا كثيرة، وعاملتهما بلطف زائد، لأن تقريرهما كان مفرحاً، إنني لم أرَ أبداً رجالاً يتصرفون ببراعتهما، في كل شيء يتعلق بهما، فليت آلهتي وآلهة أخي تحميهما** " .[3]

تلقى المبعوثون هبات ثمينة من الملوك الذين أرسلوا إليهم. فقد كانت المكافآت التي يحصلون عليها تتناسب مع المهام الملقاة على عاتقهم. باستثناء المهارات السياسية التي تتطلبها مهنتهم، وكان نمط الحياة التي يحيونها في خدمة ملوكهم يلقي عليهم أعباء بدنية هائلة، وأحياناً كانت تلك المهام تعرضهم لمخاطر شديدة في انتقالهم سيراً على الأقدام أو على عربة تجرها الخيول، بالإضافة لتعرضهم اجتياز بلاد ومناطق غير مضمون سلامتهم فيها، برغم وجود حراسة عسكرية تصحبهم، وتعد الأحوال البيئية القاسية، والطقس الحار، وشح مصادر المياه أو انعدامها في بعض المناطق واحدة من المخاطر الطبيعية التي يواجهونها، إضافة إلى خطر الحيوانات المفترسة، كذلك احتمال تعرض الأفراد الخارجين على القانون لهم، وعجز السلطات المحلية في الأقاليم عن حمايتهم، عند مرورهم عبرها من هجمات الخارجين على القانون أو جماعات المتمردين.

---

١ – برايس (تريفور)، ص ١٦٢ .

٢ – المرجع نفسه، ص ١٦٢ .

٣ – إسماعيل (فاروق)، ص ١٣٣ .

كانت الرحلة بين البلاط المصري وبين بلاط أحد الملوك المعاصرين له والعودة، تستغرق على الأقل بين أربعة وستة أشهر .[١]

ولتسهيل رحلة المبعوثين والرسل تم تزويدهم بنوع من وثائق السفر مماثلة لجواز السفر الحالي، صادرةٍ عن البلاط الملكي. كوثائق السفر التي زود بها الملك توشراتا مبعوثيه لتسهيل سفرهم إلى مصر، ولتيسير انتقالهم عبر البلاد الخاضعة لهيمنة الملك، ومسجل بتلك الوثائق النص التالي: " **رسالة إلى كل ملوك كنعان، رعايا أخي (ملك مصر) هذا ما يذكره الملك (ميتاني) : " أنا أبعث رسولي أكيا إلى ملك مصر، أخي في مهمة عاجلة ممنوع على أي إنسان تعويقه سهلوا له الوصول الآمن إلى مصر واصطحبوه إلى مسؤولي الحدود المصريين، وممنوع على أي إنسان مهما كان السبب أن يمسه بأي سوء** " ولا نعلم فاعلية تلك الوثائق في حماية المبعوثين من مضايقات المسؤولين المحليين في المناطق الخاضعة لهيمنة الملك. وفي أغلب الأحوال كان ذلك يتوقف على حجم البعثة العسكرية المرافقة للرسل لتأمينهم وحمايتهم، وللتأكد من توفير المرور الآمن لهم .[٢]

---

١ – برايس (تريفور)، ص ١٢٢ – ١٢٣ .

٢ – المرجع نفسه، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

٤ – الزواج الدبلوماسي مع الدولة الحورية الميتانية

كان الزواج من أهم الوسائل في تقوية التحالفات السياسية والعسكرية بين حليفين، وعُدَّت الأميرات من أهم الأدوات الدبلوماسية لتحقيق هذا الغرض [١].

وقد سار امنحوتب الثالث على سياسة أبيه تحوتمس الرابع في توثيق عرى المودة بينه وبين ملوك وأمراء هذه البلاد عن طريق المصاهرات، لذلك أقبل على مصاهرة ملوك الممالك المجاورة وعمل على توثيق صلاته بهم [٢].

تميزت شخصيته بالميل إلى الترف والسعي المتزايد إلى الزواج من الأجنبيات (غير المصريات) إلى جانب زوجته الرئيسية المصرية " تي"، وتأتي أهمية الزيجات هذه في سياق المصاهرات السياسية الدبلوماسية لتوثيق العلاقات، ولكنها تعكس في الوقت ذاته أحد ملامح شخصيته، وربما كان لأمه الأجنبية موت إم ويا ابنة الملك الميتاني أرتاتاما الأول دور في ذلك، ولذلك يصفه كثير من الباحثين بـ "سلطان مصر القديمة" [٣]. ولم يقف ميله الغريزي نحو النساء عند حد، فقد تزوج من أميرات من دول مختلفة من ميتاني وبابل وآشور فضلاً عما كان يرسله إليه حكام بعض المدن السورية من فتيات جميلات مع الجزية.

وتتمّ الزيجات بطلب من الملك بعد أن يحصل على موافقة والد العروس وبعد أن يرسل الملك مبعوثاً من قبله لرؤية العروس وفحصها للتأكد من تمتعها بالخصال المطلوب توافرها كي تناسبه.

فكان مبعوث العروس يعرب عن إعجابه بالعروس المختارة، كما فعل مين مبعوث امنحوتب الثالث بعد أن رأى ابنة توشراتا وقال أبوها في رسالة لامنحوتب :

" **أريت مين العروس المطلوبة لأخي، ولما رآها، امتدحها كثيراً** "

عمل امنحوتب الثالث على مصاهرة الدولة الميتانية فتزوج من جيلوخيبا وتادوخيبا ولكن قبل ذلك تزوج من امرأة مصرية وهي الملكة تي [٤].

---

١ – برايس (تريفور)، ص ١٧٧ .

٢ – عصفور (محمد أبو المحاسن)، ص ١٧٦.

٣ – اسماعيل (فاروق)، ص ٣٢ .

٤ – برايس (تريفور)، ص ١٧٨ .

أ – زواجه من تي

تزوج امنحوتب الثالث في السنة الثانية من حكمه من سيدة شهيرة تعرف باسم الملكة تي وهي ابنة "يويا" و"تويا" اللذين عثر على مقبرتهما الهامة بوادي الملوك. وسجل احتفالات الزواج على جعارين* كبيرة الحجم، ويجمع المؤرخون على أن تلك الملكة كانت من أعظم نساء التاريخ المصري ذكاء وقوة شخصية وعزيمة، فقد صاحبت زوجها في أفكاره وشجعته ووقفت إلى جانبه تسانده، وتقوى من عزيمته، وضحت من أجله حتى نجح في تحقيق هدفه، وإتمام واجبه فيما رآه خيراً لمصر .

وكان لها سلطان كبير، يطلق عليها لقب " الأم الملكية لزوجة الملك " وأطلق عليها أيضاً " سيدة الأرضين "، ويدل على مكانتها العظيمة ظهورها في تماثيل المجموعة الضخمة المحفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة (JE 33609) بحجم متساوٍ مع زوجها، وكان ذلك مخالفاً للقواعد الفنية القديمة، مما يدل على أنها كانت ذات تأثير قوي عليه .[٢]

وبلغ من إكرامه إياها أن أنشأ لها بحيرة جميلة للنزهة في المنطقة المنخفضة في بركة مدينة هابو* كانت تقع إلى الجنوب من المعبد الكبير المسمى بهذا الاسم، وإلى الشرق شيد الملك قصره وعاش معها فيه بترف ونعيم .[٣]

تسلطت هذه الملكة واستمرت سلطتها قوية طوال حكم امنحوتب الثالث، وقد جمعت كل زمام الأمور في يدها بعد انصراف زوجها إلى حياة الترف والنعيم، وأصبحت المتحكمة وصاحبة الكلمة العليا في تسيير أمور الحكم في الإمبراطورية الواسعة، سواء في داخل البلاد أو في خارجها .

---

*- جعران : حشرة سوداء تعيش في رمال الصحراء، تدفن نفسها وتظهر مع أول شعاع الشمس، ورمز المصريون الأوائل إلى الإله الأول" الذي لم يكن" ثم أصبح بهذه الحشرة، التي عبرت في اللغة المصرية عن معنى الخلق(خبر) وأصبحت رمزاً للإله هليوبوليس آتوم ثم الإله رع، اتخذها المصريون تميمة تحميهم من الشرور، استعمل المصريون الجعران كختم منذ أواخر الدولة القديمة، ثم وضعوه منذ الدولة الوسطى في صدور الموتى بعد تحنيطهم للتبرك به، أما في الدولة الحديثة فقد استعمل لتسجيل المناسبات الرسمية مثل الزواج كما فعل امنحوتب الثالث، انظر: بوزنر(جورج)، ص ٩٠ .

1 - Helck, W., Urk IV,p. 1741

2 - Donadoni , S., L ’Art égyptien, 1993, p. 249

*- مدينة هابو : تقع في أقصى الجنوب في البر الغربي للأقصر سميت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة نشأت بها في العصر المسيحي، انظر : أديب (سمير)، ص ٧١٥.

٣ – سيف الدين وآخرون (علي و هاشم)، ص ٨٧.

٤ – السويفي (مختار)، ص ٢٠٩.

وتعدّ مراسلتها للدولة الميتانية دليلاً على تسلمها زمام المبادرة، من أجل استمرار علاقات الود والصداقة، وكانت ميتاني من جهتها قد حرصت على استمرار علاقات الصداقة و الود مع مصر حتى بعد وفاة امنحوتب الثالث، ونلمس ذلك من خلال خطاب طويل من ملك ميتاني "توشراتا" قد أرسله بعد وفاة امنحوتب الثالث إلى ملكة مصر، يرد على طلبها الذي أرسلته مع الرسول الميتاني كيليا* داعية الملك لاستمرار العلاقات الحسنة بين البلدين حيث ورد ذكر هذه الرسالة ضمن أرشيف العمارنة EA 26 .

" **قل لتي سيدة بلاد مصر، هكذا يقول توشراتا ملك بلاد ميتاني الوضع بخير لدي، ليته يكون بخير لديك، ليته يكون بخير لدى أفراد بيتك، لدى أبنائك، ليته يكون بخير في بلدانك ولدى قواتك، وكل ما يعود ذلك.**

والآن قد قلت لكيليا: قل لسيدك : كان ميموريا زوجي يكن المحبة لأبيك، ولم يوقف البعثة التي كان اعتاد أن يرسلها بشكل مستمر، والآن، أنت أيضاً يجب أن لا تنسى حبك لميموريا أخيك، بل زوده واحتفظ به لنبخوريا، يجب أن تظل ترسل قافلة السعادة بشكل مستمر، لا توقفها ".

كيف لي أن أنسى محبتي لميموريا زوجك والآن أكن المحبة لنبخوريا ابنك بعشرة أضعاف أكثر جداً جداً " [١] .

تدل هذه الرسائل على أن الملكة كانت على علم بكل الرسائل الدبلوماسية بين ميتاني ومصر، ويعتقد أن الملكة تي أخذت تتولى زمام أمور الدولة بدلاً من ابنها الصغير امنحوتب الرابع [٢] .

ب – زواجه من جيلوخيبا

في السنة العاشرة من حكم امنحوتب الثالث تزوج من جيلوخيبا ابنة الملك الميتاني شترنا الثاني واعتبر هذا الحدث ذا أهمية كبيرة لامنحوتب الثالث. فقد عمل على تسجيله في أربع مجموعات من الجعران الحجرية التي أمر بصنعها خصيصاً لهذه المناسبة، وهي مجيء عروسه الميتانية حيث يذكر :

*– كيليا :أبرز رسل الملك الميتاني تشرتا إلى البلاط المصري، واسمه حوري يعني "بهجة"، انظر : إسماعيل (فاروق)، ص ١٢٣ .

١ – إسماعيل (فاروق)، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

2 - Redford ,Donald , op . cit , P , 166 .

" ....العام العاشر من حكم جلالته [.......] ملك مصر العليا والسفلى، نب مرع، المختار من رع، ابن رع امنحوتب، له الحياة، والزوجة الملكية العظيمة تي لها الحياة، العجائب التي أحضرت لجلالته كانت ابنة شترنا ملك نهارين جيلوخيبا وحاشيتها من الحريم البالغ عددهن ٣١٧ امرأة " .

وكانت هذه الأميرة قد وصلت ومعها ٣١٧ من أتباعها اختيروا من بين النساء الأكثر جمالاً في الحريم الملكي، وتزوجت من الملك لكنها سرعان ما نحِّيت إلى الصف الثاني بواسطة الملكة تي فيما بعد. ووُصفت الأميرة الميتانية في النصوص المصرية بأنها ابنة أمير نهارين ، ويرد ذكر هذه الأميرة من[2] خلال إحدى رسائل العمارنة EA١٧ التي أرسلها الملك الميتاني شترنا إلى امنحوتب الثالث. و تبدأ الرسالة بالاطمئنان عن أحوال الملك المصري وأحوال بلاده وكذلك يسأل عن أحوال شقيقته جيلوخيبا :

" إلى نيموريا ملك مصر أخي. أقول : هكذا يقول توشراتا ملك ميتاني أخوك : فلتكن بخير مع جيلوخيبا شقيقتي. فلتكن بخير في بيتك، مع نسائك، مع أبنائك، مع قادتك مع فرقتك العسكرية، مع خيولك، مع عرباتك، فليكن كل شيء جيداً في بلادك.

انظر عربة واحدة حصانين، غلاماً واحداً، فتاة واحدة، جارية من جزية بلاد خاتي أرسل إليك خمس عربات وخمسة ألجمة للأحصنة، وكهدية لجيلوخيبا شقيقتي : عقد واحد من الذهب، حلق ذهبي، قارورة واحدة من الحجر مليئة بالزيت، أنا أرسلت " .[3]

حرص الملوك المصريون على الزواج بالأميرات الميتانيات، ويكمن السر في أن العرس الملكي كان بمثابة – المعاهدات – روابط غير مستقرة بين مملكتين إلا أنها جديدة بين الحاكمين، وحين يموت أحد طرفي المعاهدة يسعى شريكه الذي ما زال حياً إلى عقد معاهدة جديدة مع خليفته للتأكيد على استمرار التحالف، بالإضافة إلى أن العروس الملكية كانت تمثل رابطاً شخصياً بين الملك الذي أنجبها وأرسلها والملك الذي تلقاها، فبعد موت أرتاتاما وتحوتمس الرابع، كان لا بد من إعطاء عروس جديدة للملك الجديد كأحد أهم عناصر تأكيد التحالف المصري الميتاني، ولم يكن ذلك مرتبطاً بكون الزوجة الميتانية لتحوتمس الرابع ما زالت حية بعد موته أم لا، لذلك تزوج امنحوتب بابنة شوترانا الأميرة جيلوخيبا، إلا أنه بعد موت أبيها أحتاج الملك إلى عروس ميتانية جديدة، فقد كانت الأميرة جيلوخيبا قد

1 - Helck, W, Urk IV, p. 1738

2 - David & Cine , Eric , Amenhotep lll , Perspectives On his reign university of Michigan , 1998 , p 13 .

٣ – قابلو (جباغ)، العلاقات السياسية الدبلوماسية في المشرق العربي القديم " الزواج السياسي " ، مجلة دراسات تاريخية، العددان /٧٩–٨٠/ أيلول – كانون الأول / ، ٢٠٠٢ م ، ص ٩ – ١٠.

أصبحت بعد موت أبيها بمثابة معاهدة لا يعتد بها، لذلك طلب من الملك الجديد توشراتا يد ابنته تادوخيبا ، وبالنسبة لهذه الأميرة الميتّانية فقد اختفت داخل البيت الملكي المصري ولم تحمل ألقاباً ملكية، كما أنها لم تكن الوحيدة في حريم الملك المصري، وإنما وجد غيرها من الأميرات الكثيرات داخل البلاط المصري .[٢]

د – زواجه من تادوخيبا

ساءت أحوال الدولة الحورية – الميتانية بعد وفاة شترنا الثاني وذلك بسبب النزاعات الداخلية في المملكة، فقام المدعو (أتخي) الذي لم يكن ينتمي إلى الأسرة الحاكمة باغتيال ابنه أرتشمارا وريث العرش الشرعي، وعيّن ابنه الآخر توشراتا ملكاً وهو قاصر، أملاً في أن يحتفظ بالحكم الحقيقي من خلاله.

أثار ذلك سكان البلاد وانقسموا قسمين، ولكن توشراتا نجح خلال زمن قصير في تهدئة الأوضاع وفرض هيبته، إذ انتقم من قاتل أخيه وأبعد أنصاره الذين تجمعوا في منطقة إلى الشمال الشرقي من العاصمة، في مدينة تئيد (تل أحمدي ٢٠ كم جنوبي القامشلي)، وكان زعيمهم أرتاتاما الثاني يؤكد انتماءه إلى الأسرة الميتانية الحاكمة، ويطالب بحقه في وراثة العرش. ومن أجل ذلك راح يتعاون مع الحثيين أعداء المملكة، ومع الآشوريين الراغبين في الاستقلال عن الميتانيين.

واستغل الحثيون الأوضاع وقام الأمير شوبيلوليوما بحملة إلى المناطق الحورية الشمالية، في أعالي مجرى نهر الفرات، وأراد فرض السيادة الحثية في بلاد إشوا* المتنازع عليها بين المملكتين. ولكن توشراتا صد الحملة الحثية بقوة، وأرسل أسلاباً غنمها خلال ذلك، وهدايا أخرى إلى حليفه وصهره المصري امنحوتب الثالث معبراً عن رغبته في استمرار العلاقات الوطيدة بين المملكتين، كما كانت في عهد أبيه. وترد أخبار هذا الانتصار في رسالة أرسلها إلى امنحوتب الثالث EA١٧ حيث يقول : .

" **عندما جلست على عرش أبي، كنت (ما أزال) صغيراً وأتخي ارتكب فعلاً غير لائق ببلادي وقتل سيده. ولهذا السبب فهو لم يترك لي مجالاً لعلاقة حسنة مع كل من يحبني. ولكني أيضاً لم أكن**

---

١ – برايس (تريفور)، ص ١٨٦ .

٢ – سعدالله (محمد علي)، ص ٦٩ .

* – بلاد آشوا : تعرف بالتركية ألازيغ والكردية خربوت وهي مدينة في منطقة شرق الأناضول وكلمة ألازيغ هي تحريف لاسم "العزيز" انظر : إسماعيل (فاروق)، ص ٣٨.

٣ – إسماعيل (فاروق)، ص ٣٨ – ٣٩ .

مقصراً إزاء تلك الأفعال غير اللائقة التي ارتكبت في بلادي، حيث قتلت الرجال قاتلي أرتشمارا* أخي، مع كل من ينتمي لهم (بصلةٍ ما)، لأنك كنت ذا علاقة حسنة مع أبي، لذلك كتبت وقلت لك (ما جرى) كي يسمع أخي بها، ويبتهج. كان أبي يحبك، ولذلك كنت أيضاً تحب أبي، بدافع الحب (هذا) أعطاك أختي، ومن غيرك كان يقف مع أبي مثلك ؟ "

" في السنة التالية، قاد أخي حملة داخل بلاد ختي كلها، وعندما سار جيش العدو إلى بلادي، سلمه الإله تشوب، سيدي إلى يدي. فأوقعت به القتل. لم يبق من بينهم أحد عاد إلى بلاده، ها أنا ذا أرسل إليك عربة، حصانين، غلاماً، جارية، من غنائم بلاد ختي " . [١]

وفي ذلك الوقت كانت المملكة الحثية تمر بأوضاع داخلية مضطربة، في عهد تودخاليا الثالث مما شجع الجيش الميتاني على الانطلاق من بلاد إشوا، ليعبر الفرات باتجاه ملطية، ويحتلّ مناطق في غربيها وجنوبيها. وبلغ ضعف المملكة الحثية أوجَهُ، وتقلصت حدودها في الجهات المختلفة.

ولذلك لم يعد يوجد في المنطقة غير قوتين أساسيتين متفاهمتين متحالفتين تنعمان بالاستقرار والازدهار، هما المصرية والميتانية . [٢]

حرص الملك الميتاني توشراتا على استمرار العلاقات الجيدة بين مصر والدولة الحورية الميتانية، ولم يكن هناك وسيلة أفضل من الزواج لتوثيق وتوطيد واستمرار هذه العلاقات، لذلك عندما أرسل الملك امنحوتب الثالث يطلب يده ابنته تادوخيبا للزواج أبدى موافقته على ذلك، ولهذا أرسل الملك امنحوتب الثالث "مين" أكبر مبعوثيه الدبلوماسيين وأفضلهم إلى الميتانيين لمصاحبة تادوخيبا ابنة الملك الميتاني توشراتا للقدوم إلى مصر، ليتخذها زوجة . [٣]

ويبدو أن والدها قد وافق على طلب امنحوتب الثالث حيث يتم ذكر ذلك في إحدى رسائل العمارنة EA١٩ حيث يقول :

"إلى نيموريا الملك الكبير ملك مصر أخي صهري الذي أحبه ويحبني هكذا يتكلم توشراتا الملك العظيم عمك الذي يحبك ملك الميتانيين أخوك، أنا بخير علّك بخير علّ بيتك وأختي وبقية نسائك وأطفالك وعربتك وأحصنتك وبلادك وكل ما تملك، علهم جميعاً بخير "

*- ارتشمارا : اسم هندو آري، يعني " مدرك القانون الإلهي" وهو الأخ الأكبر للملك توشراتا. انظر : إسماعيل (فاروق)، ص ١٢٢ .

1 - Samuel A. B . Mercer , Tell el – amarna Tablets , vol 1 , Toronto , P 63 – 65

٢ – إسماعيل (فاروق)، ص ٣٩ .

3 - Dale , E, Marriage and diplomacy , London , 2005 , p , 3 .

"كانت صداقة متينة فيما مضى بين آبائك وآبائي وقد وطدتها، وكانت صداقة متينة جداً تربطك مع والدي. وحيث أننا الآن في علاقات صداقة متينة جدا فقد جعلتها – أنت– أقوى بعشرة أضعاف عما كانت عليه في عهد والدي علّ الآلهة تزيدها قوة عما نحن فيه الآن من صداقة، ونزولا عند رغبة سيدي تيشوب وسيدي آمون ستبقى كذلك إلى الأبد "

وعندما بعث أخي رسوله مين، قال أخي : " **ابعث لي ابنتك زوجة (لي) وسيدة لمصر وحيث أني لا أريد أن أسبب الألم لقلب أخي، قلت بسرور : سأحقق له ذلك ولقد أريت ماني (المرأة) التي رغبها أخي وعندما شاهدها امتدحها جدا علّها تصل إلى بلاد أخي علّ عشتار وآمون يجعلان أخي مسروراً ونقل لي رسوي كيليا كلمات أخي، ولما سمعتها بدت لي طيبة جداً وسررت للكلمات وعقبت على ذلك : " انظر بناء على هذه الكلمات سنظل في علاقات صداقة أبدية " .**[١]

استمرت المحادثات حول موضوع الزواج، وبخاصة حول المهر، عدة سنوات وأوضحت الرسالة من توشراتا إلى امنحوتب الثالث العلاقات بين مصر وميتاني في تلك الفترة. ووجدت تلك الرسالة ضمن أرشيف تل العمارنة، وهي تعد من أهم الوثائق الحورية وتسمى "رسالة ميتاني "وتم إرسالها مع الأميرة تادوخيبا عند رحلتها إلى الملك المصري[٢] .

وبعد مرور فترة زمنية طويلة على مغادرة المبعوث (مين) أرض مصر وبدون أية أنباء منه أو عنه، كتب امنحوتب الثالث إلى توشراتا ليعلمه بما يجري، ولدينا رد توشراتا على تلك الرسالة، وشرح في تلك الرسالة أن مين قد استبقي في ميتاني بسبب الوقت الذي يستغرقه إعداد الأميرة وتهيئتها للسفر إلى مصر. وطمأنة ملك مصر بألّا يقلق على أمن ورفاه مبعوثه EA 20 : .[٣]

" لقد احترمت ماني رسول. أخي، وجميع أفراد قوات أخي التي جاءت مع ماني، وعظمت شأنهم جداً. وعندما يأتي ماني، أرجو أن يسأله أخي عما إذا كنت حقاً قد احترمته كثيراً جداً. وسيحكي لأخي، وأخي سيسمع منهم جميعهم أني عاملتهم كما يجب تماماً. ماني لم يمت، بل إنه هو تمام، ولم يمرض" .[٤]

1 - Willim L . Moran , The Amarna Letters , paris , 1987 , p 61 – 62

٢ – مرعي (عيد)، ص ١٠٤.

٣ – برايس (تريفور)، ص ١١٥ .

4 - Samuel A. B . Mercer , op. cit , vol 1 , P 77 .

وليست المدة الزمنية التي بقي فيها(مين) لدى الميتانيين معروفة بشكل دقيق، حين بعث توشراتا بالرسالة السابقة إلى امنحوتب الثالث، ولكن توشراتا أخبره أنه مازال أمامهم ستة أشهر أخرى، قبل أن تصبح الأميرة العروس جاهزة للقدوم إلى مصر بمصاحبة (مين) كبير مبعوثي امنحوتب الثالث .

وبعد انتهاء تحضيرات الزواج الطويلة وصلت تادوخيبا إلى مصر محملة بهدايا ثمينة ترد تفاصيلها في الرسالة EA 22، وما أن وصلت الأميرة الميتانية إلى مصر، حتى توفي الملك امنحوتب الثالث، لذلك نرى توشراتا يسارع إلى إرسال رسالة تعزية إلى أرملته الملكة تي، ويعتبر بنفس الوقت ابنته زوجة لخليفة امنحوتب الثالث ابنه امنحوتب الرابع .[٢]

لكن امنحوتب الرابع كان قد تزوج فتاة من عامة الشعب مثل والده وهي الملكة نفرتيتي التي أصبحت الزوجة الرئيسية ووصلت إلى مصاف الآلهة، فلم يعد بذلك من دور أو مكانة لتحتلها الأميرة الحورية الميتانية سوى أن تكون بين الزوجات الثانويات .[٣]

١ – برايس (تريفور)، ص ١١٥ .

٢ – قابلو (جباغ)، ص ١١ .

٣ – زايد (عبد الحميد)، ص ١١١.

٥– العلاقات مع الدولة البابلية الثالثة (الكاشية)

ربطت علاقات حسنة بين امنحوتب الثالث وملوك بلاد بابل الكاشيين فلم يظهر أي شكل من أشكال الصراع أو المنافسة بين الدولة الكاشية في بابل ومصر، والسبب في ذلك يعود لعدم وجود أي مبادرة من قبل الملوك الكاشيين لمد سيطرتهم إلى مناطق النفوذ المصري في سورية، فلم يحاول الملوك الكاشيون التوسع في سورية ، و ذلك لكون الكاشيين القاطنين[1] في بابل يشكلون طبقة حاكمة أجنبية، وبالتالي كان همهم الأول الحفاظ على حكمهم في بابل نفسها، و الأمر الثاني الذي منع الكاشيين من التوسع في سورية، هو أن الطريق الرئيسية المؤدية من بلاد الرافدين نحو سورية كانت تخضع لدولة معادية لها، ففي هذا الوقت كانت منطقة الشمال السوري وشمال بلاد الرافدين خاضعة للسيطرة الحورية الميتانية، وهي قوة معادية للكاشيين، وبالتالي فإن التدخل في الشؤون السورية كان يعني الدخول في حرب مع أكبر قوتين كانتا موجودتين في منطقة الشرق القديم، أي القوة المصرية والقوة الحورية الميتانية، وهذا ما كانت بابل الكاشية عاجزة عن فعله ، لذلك حرص الكاشيون على[2] استمرار علاقات الود والصداقة مع مصر، ورفضوا أية علاقة قد تسبب في زعزعتها، ويتضح ذلك عندما حاول بعض أمراء كنعان القيام بحركة عدائية مشتركة على مصر كتبوا إلى ملك بابل المدعو " كوريجالزو الأول " (١٣٨٥ – ١٣٧٥ ق.م) طالبين انضمامه اليهم، ولكن جاءهم ردّه بالرفض، ودليل على ذلك تلك الرسالة التي أرسلها بورنا بورياش الثاني إلى امنحوتب الرابع EA 9 حيث ذكره بالعلاقات التي ربطت والديهما، ورفض والده التعاون مع أمراء كنعان بقوله: ، "**في أيام كوريجالزو، أبي، كتب[3] إليه الكنعانيون جميعهم، قائلين: تعال إلى حدود البلاد، فنثر، ونتحالف معك، أبي أرسل إليهم هذا الجواب التالي: دعوا التفكير بالتحالف معي. إن تصيروا معادين لملك مصر، أخي، أو تتحالفوا مع أي حاكم آخر غيره، أتعتقدون أني لن آتيكم، وأنهبكم؟ فكيف التحالف معي؟ وإن أبي لم يصغ إليهم إكراماً لأبيك**" . تبادل امنحوتب الثالث وملك[4] بابل كاداشمان– انليل عدة مراسلات تتضح من خلال رسائل العمارنة، التي تبين متانة العلاقة بين البلدين، حيث عملوا على تبادل الرسائل فيما بينهم، ويبدو إصرار كل منهم على زيارة الآخر، ولكن يبدو بأن هذه اللقاءات لم تتم، ونستدل على ذلك من

١ – قابلو (جباغ)، ص ١١ .

٢ – المرجع نفسه ، ص ١٢ .

٣ – باقر (طه)، علاقات العراق القديم ، مجلة سومر ، جـ١ ، مجلد الرابع، ١٩٤٨م، ص ٢٩ – ٩٣.

٤ – إسماعيل (فاروق)، ص ٨٩ – ٩٠ .

خلال رسالة وجهها ملك بابل كاداشمان– انليل الأول إلى امنحوتب الثالث حيث يشتكي من أن الملك لم يدعُه لحضور مهرجان احتفالي كبير أقامه في طيبة، كما ورد ذلك في الرسالة EA3 ،"**حين أقمتم**[1] **الاحتفال الكبير، لم ترسل رسولك إليّ قائلاً: أحضر لتأكل وتشرب**" سلط كاداشمان – انليل الضوء على عدم لباقة الملك بتجاهل دعوته للحضور، وبادر هو بدعوة الملك لمصاحبته في افتتاح قصر جديد في بابل EA 5" **لقد بنيت بيتاً جديداً، بنيت ضمن بيتي .... كبيراً. رسلك رأوا البيت و .... وفرحوا الآن أقيم مدخل البيت. تعال كُل واشرب معي لن أفعل مثلك** "، كما قام بإرسال الهدايا لملك مصر حيث يذكر "**خمسة وعشرون رجلاً و خمس وعشرون امرأة، مجموعهم خمسون، يقفون على خدمتي سأرسل ...... عشر عربات خشبية، وعشرة أزواج من الأحصنة، أرسلها إليك هدية سلام**".

يتبين لنا من ذلك عدم وجود احتمال ولو ضئيل في أن يكون هذا الملك قد قبل في أي وقت دعوة لزيارة مصر، كما لم يتوقع جدياً أن يلبي الملك دعوته، فهي كغيرها من الدعوات التي ترسل إلى كبار الملوك الآخرين لحضور تلك الاحتفالات إلا أنها كانت دعوات شكلية دون توقع بالاستجابة لها، فكان المدعوون يرسلون وفوداً برئاسة كبار رجالهم لتمثيلهم في تلك الاحتفالات، لذلك لم يكن كاداشمان انليل جاداً في شكواه لامنحوتب الثالث حين لم يدعه للاحتفال، فما كان يعنيه فعلاً هو إهمال أخيه الملك له وتجاهل دعوته، خاصة وأن كبار الملوك الآخرين قد تلقوا دعواتٍ لحضور ذلك الاحتفال .

استمر تبادل الهدايا بين الجانبين، فأرسل امنحوتب الثالث إلى كداشمان انليل ملك بلاد بابل رسالة لإزالة الخلاف بينهما، ولإظهار رغبته في استمرار هذه العلاقة من خلال رسالته EA 5 "**هكذا يقول نبموراريا، الملك العظيم، ملك بلاد مصر: قل لكداشمان إنليل ملك بلاد بابل، أخي : الوضع بخير لدي، ليته يكون بخير لديك أيضاً، وليته يكون بخير لدى أهل بيتك، زوجاتك، أبنائك، كبار رجالك، قواتك، وأحصنتك، عرباتك وفي بلدانك**" وكان امنحوتب قد أرسل أيضاً الهدايا لملك بلاد بابل بمناسبة بناء قصره الجديد في بابل، وبغية تحسين العلاقات وتوطيد الثقة. "**ها قد سمعت الآن، أنك بنيت بيوتاً جديدة ها أنا ذا أرسل إليك أشياء تكون مميزات لبيتك. وها أنا ذا أرسل إليك هدية سلام للبيت الجديد، بيد شتي، وهي : سرير من خشب الأبنوس مكسو بالعاج والذهب. ثلاثة أسرة من خشب الأبنوس مكسوة بالذهب، كرسي كبير من خشب الأبنوس مكسو بالذهب، خمسة كراس من خشب**

١ – برايس (تريفور)، ص ١٤٤.

٢ – المرجع نفسه ، ص ١٤٥.

الأبنوس مكسوة بالذهب، أربعة كراس من خشب الأبنوس مكسوة بالذهب، عشرة مساند من خشب الأبنوس مكسو بالذهب " .[١]

١ – إسماعيل (فاروق)، ص ٧٧ – ٧٨ .

٦ – الزواج الدبلوماسي مع الدولة البابلية الثالثة (الكاشية)

حرص امنحوتب الثالث على أن يضم قصره حريماً من مختلف الدول، وبسبب عدم وجود منافسة مصرية – كاشية على النفوذ في سورية، دفع بالعلاقة بين البلدين لتأخذ منحى سلمياً، حيث عمل امنحوتب الثالث على مصاهرة بابل، وكانت المصاهرة الأولى التي جمعت بين البيتين المالكين تلك التي جمعت بين ابنة كوريجالزو الأول وامنحوتب الثالث، واعتبر الملك الكاشي ذلك نجاحاً سياسياً كبيراً [1] ، ثم تلا ذلك قيامه بطلب الزواج من ابنة كداشمان – انليل، ولكن توترت المفاوضات حول موضوع الزواج، ومثّل ذلك الطلب مشكلة لكاداشمان – انليل ذلك أن شقيقته أرسلت قبلاً إلى مصر كزوجة لامنحوتب أثناء حكم أبيه ولم يسمعوا أو يعرفوا عنها شيئاً من ذلك الحين، وكان كاداشمان – انليل قد أرسل مبعوثيه لزيارة شقيقته والاطمئنان عليها، إلا أن أياً منهم لم يتمكن من التأكد إن كانت ما زالت حية أم ميتة. وليطمئنهم، أشار امنحوتب إلى امرأة بين زوجاته وقال للمبعوثين البابليين إن تلك هي الأميرة البابلية، إلا أن المبعوثين ظلوا على تشككهم، ولم يستطيعوا التأكد إن كانت هي فعلاً شقيقة ملكهم أم لا، وأبلغوا ملكهم بذلك، فأرسل كاداشمان – انليل [2] ، بشكواه إلى أخيه الملك وكان جوهر الرسالة كما جاءت في أرشيف العمارنة EA1 : "**كان أبي قد أرسل شيقتي كعروس لكم واختفت، وأنت الآن تطلب ابنتي أيضاً** " وكان امنحوتب سريع الرد على ذلك الأمر، وأجاب : "**إن الرجال الذين أرسلتهم لا صفة لهم، بل إن أحدهم كان راعياً للحمير والبغال، لا يوجد منهم من كان مقرباً من أبيك ليعرف أختك ويستطيع التعرف عليها و لماذا لم ترسل واحداً من كبار رجالك وعظمائهم يعرف أختك، بحيث يمكنه التحدث معها والتعرف عليها ؟ لو كنت قد قمت بذلك لكنت عرفت الحقيقة، هي حية وبأحسن حال. ويمكن أن يزوروها بجناحها الذي تقيم فيه، ليتأكدوا أنها سعيدة بعلاقتها مع الملك، ولو كانت قد ماتت لماذا أخفي تلك الحقيقة عنك** " . [3]

بقيت مشكلة شقيقة الملك عالقة ولا يعرف مصيرها، وكان يعتقد بأن شقيقة كاداشمان – انليل ما زالت حية بالبلاط المصري، إلا أنها أصبحت مهملة بين حريم الملك . [4]

---

١ – جباغ (قابلو)، ص ١٢ .

٢ – برايس (تريفور)، ص ١٨٠ .

3 – Williams , R . j . , op .cit , P , 7 .

٤ – برايس (تريفور)، ١٨٢ .

يبدو أن الخلاف قد سوي بين الطرفين فنرى امنحوتب الثالث يرسل الرسل من جديد لطلب ابنة كاداشمان – انليل الذي وافق على إرسال ابنته إلى مصر كزوجة لامنحوتب الثالث، يرد ذكر هذه الموافقة برسالة أخرى من رسائل العمارنة EA٢ فيقول : **(قل) لنموريا ملك بلاد مصر أخي : هكذا يقول كدشمان انليل ملك بلاد كردونياش: الوضع (بخير) جداً لدي وفي بلادي، ليته يكون بخير جداً لديك، لدى زوجاتك لدى أبنائك، لدى(كبار رجالك) أحصنتك (عرباتك) وبلاد كلها، أما ما كتب أخي إلي (عن الزواج) قائلاً: (أرغب في ابنتك) لماذا لا تأخذها ؟ .... بناتي موجودات، (ولكن أزواجهن يجب أن يكونوا ملوكاً)، أو من نسل ملكي، (هؤلاء فقط) أقبلهم (لبناتي. أي ملك لا) يعطي (بناته لمن ليس من نسل ملكي) .**[١]

أقدم كاداشمان – انليل على طلب من ملك مصر، وهو أن يرسل إليه أميرة مصرية ليتزوجها، ولكن ملك مصر ردّ بأنه لم يسبق أن تزوجت أميرة مصرية من أجنبي . نستدل من ذلك على أن[٢]طرق الزواج والمصاهرات مع ملوك مصر كانت ذات اتجاه واحد، لكن ملك مصر كان مداوماً على استقبال زوجات أجنبيات ذوات حسب رفيع، إلا أن أياً من ملوك مصر لم يوافق أبداً على إرسال أميرات أجنبيات مصريات ليكن زوجات لملوك أجانب، كان ذلك تقليداً راسخاً لا استثناء له، ولم يكن ذلك بالطبع بسبب قلة عدد بنات الملوك، حيث توجد أعداد وفيرة منهن، كما أن السبب لم يكن – كما ظن الكثيرون من الباحثين – يعود إلى احتمال موت تلك الأميرة خارج مصر، فلا يحظى جثمانها بطقوس الدفن، طبقاً للمعتقدات المصرية الدينية والتي تضمن لها الخلود في العالم الآخر، بل كان السبب يعود إلى كبرياء الملوك واعتدادهم بأنفسهم في المحافظة على صورتهم الراسخة كأهمّ وأعظم ملوك المنطقة، وأن يرسل حاكم أجنبي إحدى بناته إلى البلاط المصري كعروس للملك دون أن يبعث الملك بأميرة مصرية بالمقابل كان يعزز من وضع الملك وعلوه على كل الملوك ويبدو أن الملوك الأجانب قد تفهموا ذلك وقبلوه ، أما الملك البابلي كاداشمان[٣] – انليل فقد حاول اختبار متانة وقوة ذلك العرف المصري، وكتب إلى امنحوتب الثالث يطلب منه ابنته كزوجة له وأتت الإجابة حاسمة: " **لم يحدث من بداية الزمن أن أعطيت ابنة ملك مصري كزوجة لأي ملك أجنبي** " وأصر كاداشمان – انليل على طلبه في رسالة تالية : EA 4 " **أنت الملك بإمكانك أن تفعل ما تشاء** "

1 - Samuel A. B . Mercer , op. cit, vol 1 , P 9 - 11 .

٢ – جباغ (قابلو)، ص ١٣ .

٣ – برايس (تريفور)، ص ١٧٩ .

لجأ كاداشمان – انليل إلى وسيلة أخرى عندما بقي الملك مصرّاً على صلابته، لذلك، قال للملك إنه بإمكانه تلبية طلبه، وفي الوقت نفسه يظل محافظاً على ذلك التقليد المصري الأصيل بأن يرسل إليه فتاة جميلة من مصر أي ليست من بنات الملك، وعرض ذلك قائلاً في رسالة :"**لا بد أن هناك في مصر من لديه بنات جميلات صالحات للزواج فلماذا لا ترسل لي أية فتاة جميلة على أنها إحدى بناتك ؟ ومن الذي يجرؤ على القول : إنها ليست ابنة الملك ؟** " .[١]

ومع ذلك لم يوافق الملك المصري على ذلك. فليس هذا هو السبب الرئيسي في امتناع ملوك مصر عن إعطاء بناتهم كزوجات لملوك أجانب، كان كل الأمر يتعلق بصورة الملك، فإذا وافق على إرسال فتاة مصرية على أنها ابنة الملك على مخالفٍ للواقع، فإن ما سيعرف بين الناس هو أن الملك خرج على التقليد الراسخ، وقام بالإقدام على ما لم يقبله ملك آخر، فلم يكن أي ملك أجنبي مهما كانت مكانته يستحق شرف الزواج من أميرة مصرية وإن حدث ذلك فإنه يعزز مكانة ذلك الملك في أعين نظرائه من الملوك الأجانب، على حين تنتقص فيه هيبة ومكانة ملك مصر. لذلك لم يعطِ الملك ذلك الاقتراح أدنى اهتمام.

ومن هذا تتبين لنا أهمية إيفاد ملك مصر مبعوثاً لمعاينة العروس التي يطلبها ليساهم في التأكد من أصالتها ، فالخدعة التي طلب كاداشمان[٢] – انليل من الملك مصر مشاركته فيها لم تكن نادرة الحدوث، وهذا ما يفتح بين أيدينا أبواب التساؤل والفضول لمعرفة مدى ارتباط الملك بابنة ملك آخر وهو على يقين من أصالتها.

---

1 - Samuel A. B . Mercer , op. cit , vol 1 , P 13 .

٢ – برايس (تريفور)، ص ١٨٠.

٢–اقتصادياً

الذهب وأهميته في الشرق الأدنى القديم

كان للذهب شأن كبير في تاريخ مصر الاقتصادي والسياسي في العصور القديمة، ودوره في دعم العلاقات الخارجية أكبر من أهميته في دعم الرخاء الداخلي. وكان دائماً أكثر وفرة من الفضة لتوفر مناطق تعدينه بالصحراء الشرقية والنوبة، ورغم زيادة الطلب على الذهب إلا أنه لم يكن في متناول طبقات الناس خارج دائرة البلاط الملكي، فلم يكن متوفراً للاستخدامات الشخصية إلا إذا أمكن اختلاسه أو سرقته، كما فعل لصوص المقابر في أواخر عهد الدولة الحديثة، وكانت هناك طريقة أكثر غموضاً وهي غشه عن طريق خلطه بالنحاس، وكل الورش الرسمية كانت ولا شك معرضة لعمليتي سرقة الذهب وغشه [١].

شكل الذهب أول ثروة معدنية لعبت دوراً أساسياً في نمو الدولة وقوتها، واستخدم في إظهار إرادة العظمة لدى ملوك مصر وكرمزٍ للخلود.

وقد أعطيت للذهب قيمة من الآلهة والملوك والنساء، ذلك أن رع إله الشمس وملك الآلهة وسيد الكون كان من الذهب ، كما استخدم الذهب لأغراض عديدة فقد كان يستخدم على سبيل الإعانات "المنح والهدايا" التي تعطى للحكام الشرقيين أملاً في أن يتمكنوا من المحافظة على السلام في مناطقهم، وكان يسك على شكل خواتم وحلقات أو سبائك مختلفة الأحجام والأوزان، ويقوم مقام الفضة والنحاس ومقام العملة النقدية. وإلى جانب ندرة الذهب وقيمته، كان ينظر إليه بعين الاعتبار والتقدير لجماله وفتنته، فقد كان مطمعاً يطمع فيه بسبب بريقه الخلاب الذي يضاهي بريق الشمس، وعلاوة على ذلك كله فإن الذهب "خالد دائم البقاء " لا يمكن أن يعتريه صدأ أو يحل فيه فناء، لذلك فقد اكتسب قيمة رمزية غامضة أبعد مدى من قيمته الحقيقية. حيث كان ينظر إليه على أنه جوهر الآلهة الأزليين .

---

١ – ت. ج . جيمز ، الحياة أيام الفراعنة ، ترجمة أحمد زهير أمين ، مراجعة محمود ماهر طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ١٤٨ – ١٤٩.

٢ – هلال (عاطف)، كتاب الموارد المعدنية وآفاق تنميتها حتى عام ٢٠٢٠ م، المكتبة الاكاديمية ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص ٨٩– ٩٠ .

٣ – رايفشتال (اليزابيث)، ص ٧٧ – ٧٨.

شكل وجود الذهب بكثرة في مصر سلاحاً بيد الملوك المصريين، وهو ما كان يجبر الملوك الآخرين على أن يأتوا إليهم صاغرين. بل كان يجعلهم طوع بنانهم. فالذهب ذلك السلاح الذي كانت تزخر به مصر، بينما كان نادراً في البلاد الأخرى، وهو ما جعل الأمراء يتهافتون للحصول عليه [١].

وبسبب أهمية الذهب كمادة مهمة لدول الشرق القديم فقد كانوا حريصين دائماً على الحصول عليه لقاء هداياهم إلى الملك من الجواري والعبيد، والخيول، والمركبات الحربية، والأحجار الكريمة، وكان الحصول على قدر كبير من الذهب يعدّ في نظرهم تعبيراً عن محبة الملك لهم، وخير مثال يظهر ذلك هو ما فعله الملك الميتاني توشراتا.

حيث نرى توشراتا يطلب من امنحوتب في إحدى رسائله إليه EA١٩ أن يعامله بأفضل مما كان يعامل أباه بعشرة أضعاف، وأن يظهر له مزيداً من الحب وبعبارة أخرى، أن يرسل إليه كميات كبيرة من الذهب.

" ليت أخي يجعلني غنياً في نظر بلادي، وليت أخي لا يمرض قلبي لذلك ...تمنيت من أخي تمثالاً لابنتي مسكوباً من الذهب. أنا أعلم أن أخي يحبني من أعماق القلب بدرجة كبيرة جداً جداً، وأعلم أيضاً أن في بلاد أخي ذهباً ....كثيراً.

ومن ناحية ثانية، ليت أخي يقدم ...تمثالا من العاج (وأتمنى أن، اسمع ما يأتي) هذا التمثال المسكوب من الذهب هو تمثال تتو – خبا ابنة تشرتا سيد ميتاني، التي أعطاها لنيموريا سيد مصر زوجة له، وقد صنع نيموريا تمثالاً مسكوباً من الذهب، وقدمه بكل حب لتشرتا " [٢].

يتضح لنا إصرار توشراتا المتكرر على الرغبة بتزويده بذهب أكثر لعزمه الكبير على بناء ضريح لجده أرتاتاما الأول [٣].

كما أن الذهب يعد في تلك الحالة جزءاً من مهر عروس ابنته تادوخيبا، وطلب توشراتا أن يرسل إليه تمثالاً من الذهب على هيئة ابنته العروس التي كانت قد أصبحت زوجة الملك وتمنى بحرارة أن لا يكسر بخاطره ويرفض طلبه، وربما كان سبب طلبه هذا التمثال لفتة عاطفية من الملك الميتاني الذي شعر بوحشة محزنة على ابنته الحبيبة وأراد تذكاراً ملموساً يذكره بها.

أو أنه كان يسعى من وراء ذلك أن يدفع أخاه الملك لزيادة الذهب الذي يرسل إلى ميتاني.

١ – حسن (سليم)، جـ ٥ ، ص ٣٠ .

2 - Samuel A. B . Mercer , , op. cit , P 69 – 71 .

٣ – برايس (تريفور)، ص ١٦٢ .

حرص الملوك خلال طلبهم الذهب، على تجنب إثارة انطباع بأن طلبهم هذا يدفعهم إليه رغبتهم لتخزين المواد الثمينة لذاتها، بل على عكس ذلك، إنما كانوا يطلبونه (أي الذهب) لأغراض محددة، فقد كان من المعروف أن الملوك يحتاجون الذهب لاستخدامه في بناء معبد أو مقبرة أو لصنع تمثال، في حين لم يكن من المقبول اختزانه أو استعماله كشكل من أشكال النقد، فقد كان ذلك يشين الممارسة النبيلة لتبادل الهدايا ويهبط بها إلى حضيض الباعة والتجار .[١]

لم يكن الميتانيون وحدهم من رغبوا في الحصول على الذهب فقد كان الملوك الكاشيون يماثلونهم برغبتهم في الحصول على الذهب لإشباع رغباتهم في بناء القصور والمعابد، فقد كانوا حريصين على بناء المعابد للآلهة المحلية لاستمالة أنصارها إلى جانبهم، وكسبهم ولاءهم، ويبدو أن كداشمان – انليل كان لا يتوانى في كل مناسبة عن طلب الذهب من صهره في مصر، كما تؤكد رسائل العمارنة.

وبسبب أهمية الذهب لدى ملوك الشرق القديم نجدهم يضحون ببناتهم في سبيل الحصول عليه فنرى أن الملك البابلي كاداشمان – انليل الأول اشترط عند إرسال إحدى بناته، لتصبح زوجة للملك أن يرسل إليه الذهب الذي طلبه منه، إلا أنه كان يحاول توضيح رغبته في الحصول على الذهب بعزمه إنهاء أعماله العمرانية، حيث يؤكد على الملك أنه لا يطلب ذلك لذاته، وأنه إذا أزف الموعد النهائي الذي كان مقرراً الانتهاء فيه من التشييد والبناء، لن يكون بحاجة إلى ذلك الذهب EA 4 : .

" **اذا أتممت العمل الذي أشيده، ما حاجتي إلى الذهب ابعث إليّ تسعين ألف كغ من الذهب ولن أقبلها سأعيده إليك إن أرسلته، ولن أعطيك ابنتي زوجة** " .[٣]

وكما كان للذهب دور في توثيق العلاقات بين الدول، فقد كان في بعض الأحيان سبباً للخلاف بين الدول. ويتبين ذلك من خلال الخلاف الذي حصل بين الملك الميتاني توشراتا، فقد أرسل احتجاجاً مريراً إلى امنحوتب الثالث، بعد ما تلقى منه ما كان يفترض أن يكون كمية كبيرة من الذهب النقي وحضر كبار الضيوف فض فتح الهدية، فقد كانت المحتويات ستظهر مكانة الملك الميتاني بين دول الشرق القديم آنذاك، ثم حين تم فتح الهدايا وظهرت أمام الجميع محتوياتها، أطبق الصمت على الجميع من الصدمة، فقد تفاجأ من نوعية الذهب المرسل إليه بقوله EA20: " **فيما يتعلق بالذهب الذي أرسله أخي ... جمعت جميع رجالي ...... يأخي الذهب الذي أرسلته صنف الآن أمام جميعهم**

١ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٧١ – ٧٣ .

٢ – برايس (تريفور)، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

3 - Samuel A. B . Mercer , op. cit , P15

.... جميعهم، لقد كان مختوماً بختم، والذهب ....مملوءاً، فبكوا من الفرح والدهشة كثيراً جداً، وقالوا : أمؤكد أن هذا كله ذهب غير ممكن، كما قالوا: الذهب في بلاد مصر أكثر من التراب. أخوك بالتأكيد يحبك جداً، أي رجل آخر يحبه أخوك لن يعطي له مثل هذه الكمية كل ما يحتاج إليه أكثر من التراب في بلاد مصر، بحيث أن أي شخص يمكن أن يعطي لأي شخص آخر أشياء بقدر ما يكفي حقاً، بل يفوق العدّ والحساب، وأنا قلت: ألا تدعونني أقول لكم، كما أقول دائماً: إن أخي ملك بلاد مصر يحبني كثيراً جداً، سيستوعبني أخي في قلبه، عندما أنزعج من شيء ما، وإلا فليسامحني. ليت الإله تشوب، سيدي، لا يسمح لي – في أي وقت – بأن أشكو من أخي هكذا قلت لأخي كي يعلم أخي" .[١]

تصور هذه الرسالة أنّ الملوك ليسوا من كانوا يعمدون إلى إهانة كبار الملوك بإرسال ذهب مغشوش إليهم غير مقبول، لأن ذلك سيعكس آثاراً سيئة عليهم وعلى متلقى تلك الهدايا، ولكن يبدو أن المختلسين كانوا وراء ذلك [٢] . كانت حوادث الشكوى من الذهب تتكرر دائماً، فإما أن يتّم غش الذهب كما حدث مع الملك توشراتا، أو أن تتعرض الهدايا المحملة بالذهب إلى الاختلاس. ونتبين ذلك من خلال الرسائل التي أرسالها ملك بابل كاداشمان انليل إلى امنحوتب الثالث، والتي أدت إلى نشوب نزاع بينهما، حيث يشتكي كاداشمان انليل بأن مبعوثيه إلى الملك المصري قد عادوا خاليي الوفاض دون هدايا من الملك لأخيه الملك. ورد امنحوتب قائلاً EA 1 :

" **ليس صحيحاً ما تقول هل حدث قبل ذلك لمرة واحدة أن أتى رسلك إليّ دون أن يتلقوا الفضة والذهب والزيوت والأردية الرقيقة بكميات لا نظير لها في أي بلد آخر؟ رسلك لا تذكر لك الحقيقة. أفواههم نطقت بالكذب قبل ذلك لأبيك والآن لك** "

ثم أضاف بفظاظة: "**سواء أعطيتهم أي شيء أو لم أعطهم، سيظلون يبلغونك أكاذيب و لذلك قررت ألا أعطيهم شيئاً بعد ذلك** " [٣] . وهكذا انهمر الذهب على البلدان الأجنبية وكأنه شيء اعتيادي لا قيمة له، يستخدم علانية لابتياع الولاء بصورة غير مباشرة، وكذلك كمهور تدفع للعرائس من بنات الأمراء الأجانب [٤] .

١ – إسماعيل (فاروق)، ص ١٣٠ – ١٣١ .

٢ – برايس (تريفور)، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

3 - Samuel A. B . Mercer , op. cit , P 7

٤ – رايفشتال(إليزابيث)، ص ١٦٧ – ١٦٨.

ثالثاً انعكاسات سياسة امنحوتب الثالث على العلاقات مع بلاد الرافدين

رافق استتباب الأمن في أنحاء الدولة تدفق الجزية والهدايا إلى خزائن الملك التي امتلأت بالذهب والفضة. وبما أن الملك كان محباً للترف والبذخ انغمس فيها، وأدت هذه الحياة به طبعاً إلى الانصراف عن نشاطه العسكري، ومال إلى حياة النعيم الذي توفر له، وركن إلى الهدوء الذي آثره على الخروج بجيشه لتفقد أحوال سورية، وكذلك أقبل رجال الحاشية على الاتجاهات نفسها التي أقبل عليها ملكهم. وهو ما أضعف من شأن مصر، وأثر في سمعتها في الخارج. وكان لذلك أثره السيء[١] .

تبدلت ظروف الشرق السياسية، حيث شهدت السنوات الأخيرة من عهد امنحوتب الثالث حالة جديدة تمثلت في إهمال أوضاع سورية، وازدياد استغلال ثرواتها، وعبث المبعوثين والمفتشين المصريين وأخذوا يتصرفون وفق أهوائهم ومصالحهم الفردية، وعدم اكتراث البلاط بالشكاوى وطلبات النظر في مسألة الولاء لمصر، واستغلت ذلك قوتان.

<u>قوة داخلية</u> تتمثل في جماعات (الخابيرو)* التي كانت تنتشر في المناطق الساحلية وتعتمد على الارتزاق والنهب في معيشتها.

<u>وقوة خارجية</u> تتمثل في الحثيين الذين كانوا يراقبون الأوضاع، وينتظرون الوقت المناسب لغزو المناطق الشمالية، وقد تم لهم ذلك بشكل محدود في أواخر عهده[٢] .

انعكس استهتار امنحوتب الثالث بالشؤون الخارجية في أواخر حياته، وانغماسه في الملذات واللهو وترك تقاليد آبائه، و إيثاره السلام وعدم الخروج من حين لآخر إلى أطراف دولته لطمأنه الموالين لها، وللضرب على أيدي الخارجين عليها، والحد من أطماع الدول المتربصة بها على الأوضاع في سورية، فافتقد الشعب في سورية صلاته الشخصية بها وبدأ يئن تحت وطأة دسائس أصحاب المطامع في الداخل وفي الخارج. حيث أخذ الحثيون يعبثون بالحدود السورية والميتانية ويغرون ضعاف النفوس في البلدين بالعمل لصالحهم. وساعدهم على ذلك وصول الملك الحثي شوبيلوليوما إلى العرش الحثي

---

١ – هبو (أحمد إرحيم)، ص ٢١٤ .

*– الخابيرو: تعني هذه الكلمة المتآلفون أما في العبرية والسريانية تعني الصديق، ويرى بعض العلماء أن الخابيرو هم العبرانيون لكن هذه النظرية لا يدعمها علم اللغة، والسائد أن الخابيرو كانوا طبقة اجتماعية دنيا، نشاطها الرئيسي أمور الحرب لذلك اعتمد عليهم الحثيون وأدخلوهم في صفوف جيشهم بصفة مرتزقة، انظر:عبودي (هنري.س)، المرجع السابق، ص ٣٨٠.

٢ – إسماعيل(فاروق)، ص ٣٤ .

والذي يعتبر أشهر الملوك الحثيين. إذ دخلت المملكة الحثية في عهده مرحلةً جديدةً من القوة والعظمة، كما أنهم استغلوا ضعف قبضة الإدارة المصرية في الأراضي السورية بإغراء بعض أمرائها بالإغارة على جيرانهم، فتوالت صرخات الاستغاثة من الأمراء الموالين لامنحوتب، وكانت إذا وجدت الاستجابة مرة، فإنها لم تجد إلا الإهمال مرات، ولم يقدّر امنحوتب خطورة هذه الأحوال تقديرها الصحيح، واستمر يظن بنفسه السيادة، واستمر يتلقى رسائل التكريم من أمراء بابل والميتان، وكان شر ما أعماه عن تبين حقيقة الأوضاع هو بعض أمراء كنعان إذ مهروا في النفاق واستمروا يضللونه ويضللون ولده امنحوتب الرابع من بعده، ويسرفون في إظهار الود والطاعة لمصر وملكها، ويسرفون في الوقت نفسه في إضمار الحقد لهما، وكان هذا دافعاً لدولة الحثيين أن تبذر بذور الثورة والاضطرابات بين حكام الأقاليم السورية . أدرك الملك الحثي شوبيلوليوما أنه لن يستطيع تحقيق أغراضه في غربي آسيا (سوريا فلسطين فينيقيا) مادام النفوذ المصري قوياً، ومادام أمراء تلك المناطق على ولائهم لملك مصر، ومن ثم فقد أخذ يؤلب الأمراء ليشقوا عصا الطاعة على الملك المصري، فاستجاب لدعوة شوبيلوليوما الملك "ايتوجاما" أمير قادش، الذي بسط نفوذه على سهل سوريا الشمالي وهزم الأمراء الموالين لمصر، ثم "عبدي عشرتا" أمير الأموريين، الذي تمكن من بسط نفوذه عنوة على حساب جيرانه، فاحتل عرقة وقطنه وحماة ونى في الداخل، ثم احتل أرواد، وهاجم سيميرا على الساحل.

كتب "أكزي" أمير قطنة لامنحوتب الثالث ينبئه بأن قطنة ورجالها قد أخذهم ملك خاتي وأمير الأموريين، وفي رسالة ثالثة يخبر الملك المصري بأن جيوش الحثيين قد توغلت في منطقة نفوذه في وادي الأورنت واستولت على تمثال للمعبود "آمون رع" المنقوش عليه اسم الملك امنحوتب الثالث، ثم أحرقت المدينة عند عودتها [٢] .

كما أنّ ملك منطقة نوخاشي (شمالي حلب) المدعو حدد نيراري أرسل إلى امنحوتب الثالث خطاباً يستشيره فيه لحماية مصر من هجمات الحثيين الذين غزوا بلاده معلناً ولاءه للملك وكان من قام بهذه الأعمال هو عبدي عشيرتا وابنه عزيرو، فقد تولوا حركة ثورية كبيرة زحفت شمالاً واستولت على قطنا ونوخاشي من الجنوب ودمرت البلاد التي مرت بها، كما هددا منطقة أوبى وأخبر كل من (أكزي) حاكم قطنة و(رب عدى) حاكم بيبلوس ملك مصر بهذه الخيانة وأرسل أكزي خطابا إلى امنحوتب الثالث يطلب مساعدته :

---

١ – صالح (عبد العزيز)، جـ ١، ص ٣٢١ – ٣٢٢.

٢ – مهران (محمد بيومي)، بلاد الشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ١٢٩ – ١٣٠.

"**كما أن دمشق الواقعة في مقاطعة أوبى تبتهل إلى قدميك لتساعدها، كذلك قطنا تتضرع إلى قدميك لتشملها بعنايتك وحمايتك** "

كانت الحالة أخطر مما تصورها الملك، فهو لم يتأكد من خبر زحف الحثيين لأنه على أثر هذا النبأ أرسل أكزى خطاباً إلى امنحوتب الثالث :[١] .

"**بقدر محبتي لك أيها الملك إن ملوك نوخاشي ونى وسينزار تحبك أيضاً، كيف لا وهم خدم جلالتك** "

وعلى الرغم من ذلك لم يزحف امنحوتب الثالث بجنوده شخصياً إلى تلك الجهات بل اكتفى بإرسال جنوده، وقد تمكنت هذه القوة من إخضاع الثوار بمساعدة أهالي البلاد، لكنها لم تتمكن من مكافحة الحثيين بجهة بلاد الرافدين جنوباً، وكان لغياب الملك عن سوريا دور أساسي في ذلك، بالإضافة إلى أن الخابيرو أغاروا على سوريا وفلسطين، وبالتالي أصبح وضع الإمبراطورية المصرية في خطر .

مات امنحوتب الثالث وكانت نيران الثورة قد علا لهيبها في مناطق النفوذ المصرية في سوريا وكان حقاً على امنحوتب الرابع عند توليه العرش أن يسارع إلى الضرب على أيدي هؤلاء الثوار لإعادة الهيبة المصرية إلى قلوبهم، ولكنه كان شابا مغرماً بالمناقشات الفلسفية الدينية أكثر من الأمور الحربية السياسية[٣] .

---

١ – برستد (جيمس هنري)، ص ٢٣٣ .

٢ – المرجع نفسه ص ٢٣٤ .

٣ – أديب (سمير)، ص ١١١.

رابعاً نتائج العلاقات المصرية مع دول الشرق القديم

نتجت عن العلاقة التي ربطت مصر بالدولة الحورية الميتانية آثار هامة سواء في عهد تحوتمس الرابع أو في عهد امنحوتب الثالث.

تركت سياسة تحوتمس الرابع انعكاساً على الأوضاع في مصر أدى إلى تغييرات جذرية شملت نواحي عديدة من جوانب الحياة المصرية، فشهدتْ تغييراً كبيراً في التقاليد الفنية، وهو ما أدى إلى تغيير في بعض القواعد، فنجد أن الرخاء الكبير الذي أوصلته الغزوات على آسيا قد أوجد نوعاً من الترف لم يعرفه أهل وادي النيل من قبل، كما اتسعت آفاق المصريين المادية والفكرية واستحبوا حياة السلام، وانتشرت حضارتهم في البلاد المجاورة وتطورت علاقات تقاربهم اللغوي والثقافي والفني مع جيرانهم، وأخذت تلك البساطة التي يتميز بها الطابع الفني، تفقد تأثيرها في الأفكار الأجنبية التي جاءت من الشرق، ونلاحظ في هذه الفترة أن الفن أخذ يتأثر بالطابع الشرقي وظهرت تعبيرات الرقة في المناظر التي تمثل النساء أو الرجال في فن النحت والرسم، وكانت مصر مليئة في ذلك الوقت بالأجانب، حيث كان يعيش فيها مئات من الأمراء السوريين الصغار كرهائن أو كمتلقين للعلم والثقافة في المدارس المصرية قبل أن يعودوا إلى بلادهم وقد تأثروا بالحضارة المصرية وأثروا بتفكيرهم وأذواقهم في المجتمع المصري .[١]

كذلك تغلغلت الثقافة الرافدية في مصر بسبب السياسة السلمية التي اتبعها الملك تحوتمس الرابع، إذ أدخل إلى مصر عبادة المعبودة عشتار لتصبح جزءاً من التقاليد الدينية المصرية، يتضح ذلك من خلال تحوتمس الرابع ذاته إذ يقول عن عربته الحربية " **إنه شجاع وجريء على ظهر الحصان مثل عشتار**"، كما ظهرت في لوحة طيبة رسوم للملك وهو يتعبد للمعبودة عشتار .[٢]

أما بالنسبة لامنحوتب الثالث فقد بلغت مصر في عهده مبلغاً لم تبلغه من قبل حيث استطاعت مصر خلال عهده أن تمد حدودها وتوسع مناطق نفوذها من صولب في النوبة حتى المناطق الساحلية إلى أوغاريت المركز التجاري المهم، أما المناطق الداخلية في وادي العاصي فكانت حدوداً في منطقة سهل حمص شمالي قادش وشرقي أراضي مملكة أمورو .[٣]

---

١ – السيد (رمضان)، ص ٩٥ .

2 - Giveon, R , op . cit , p 59 .
3 - David & Cine , Eric, op.cit, p 11- 12

أدت سياسة امنحوتب الثالث الذي فضل السلم على الحرب إلى ازدهار الاقتصاد وخاصة التجارة. التي تطورت وازدهرت إلى درجة كبيرة، فبلغت التجارة في عهد هذا الملك درجة رفيعة لم تصل إليها من قبل، وصار نهر النيل مملوءاً بخيرات العالم الواردة إلى مصر، فكانت هناك البضائع السورية الثمينة والبخور والأخشاب العطرية القادمة من البلاد الشرقية والأسلحة والأواني الفينيقية، وقد أشارت المصادر المصرية إلى هذه المنتجات بأسمائها وبالخط الهيروغليفي، ولعل أولى بوادر قيام المراكز الفينيقية خارج سورية القديمة كانت خلال عصر السيطرة المصرية، إذ انتشرت الجاليات الفينيقية في معظم أنحاء الدلتا، وكان تجار فينيقية هم من تولى التجارة بين مصر والساحل الإيجي* .[1]

ومن آثار التطور والتبادل بين مصر والدول الأخرى انتشار المصنوعات المصرية فعم استعمالها في قصور ملوك كنوسوس ورودوس وقبرص حيث عثر في بلاد اليونان على قطع وأواني خزفية مطلية بالزجاج ومنقوش عليها اسم امنحوتب الثالث وزوجته تي.

كما وصبغت الصناعات اليونانية بالصبغة المصرية بدرجة كبيرة فظهر على المصنوعات اليونانية المعدنية ذوق مصري، فكثيراً ما كانت تُرى على المصنوعات اليونانية رسوم حيوانية مختلفة .

انعكس ذلك بأن تسابقت الأمم إلى اكتساب عطف مصر ومحبتها، ويعتبر هذا أول مظهر سياسي دولي عام في تاريخ الممالك القديمة. وصار قصر الملك مركزا للتخاطب مع كبار حكام هذا العصر، والدليل على ذلك " رسائل العمارنة " التي تم تبادلها بين حكام الأمم المجاورة وملك مصر .[3]

رافق هذا الازدهار تدفق الكثير من الذهب والفضة على خزائن مصر، ودفع الثراء والرفاهية في التحسن الواضح في مستوى رفاهية الملوك وأبناء الشعب. ومنذ عصر امنحوتب الثالث كانت حياة الرفاهية والنعيم والمتعة والدعة نمط الحياة في القصور الملكية، وكذلك حفلات الطرب والرقص التي لم تعد قاصرة على الملوك، بل عمت كافة طبقات الشعب .[4]

---

1 - Breasted, J. H, op. cit , 1915, p 247.

*– بحر إيجه : يعرف كذلك باسم الأرخبيل، ويقع بين اليونان وكريت استوطن الفينيقيون جزر الأرخبيل ولاسيما رودوس ووميلوس وكريت، ويرجع استعمار فينيقية لجزر بحر إيجه إلى حوالي القرن الثاني عشر ق.م، انظر : عبودي (هنري . س)، ص ١٧٥ – ١٧٧.

٢ – برستد (جيمس هنري)، ص ٢٢٣ .

٣ – أديب (سمير)، ص ١١١.

٤ – موسى (أحمد رشاد)، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، الهيئة العامة للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢١٠ .

ظهر الازدهار في حياتهم الاجتماعية من خلال تغيّر شكل ملبسهم فبعد ما كان الناس في مصر يرتدون رداءً قصيراً يستر ما بين السرة والركبتين أصبحوا يرتدون ملابس طويلة جيدة النسيج، ثمينة واسعة الأكمام، أما الأقدام فبعد ما كانت دائما عارية أصبحت الآن تلبس الخف ذا الأطراف المدببة . ترتب على ذلك نتائج طيبة في مصر وأخرى غير مستحبة، كاتساع آفاقهم المادية والفكرية، والقضاء على حدة النزاعات بينهم وبين جيرانهم، واتسع انتشار حضارتهم بين سوريا وبلاد النهرين.

لكن المنتجات المصرية لم تكن كافية حينذاك كي تدفع إلى تغيير واضح في الفن والثقافة في بلاد النهرين. على حين كان الموقف في البلاد السورية مختلفاً، إذ نتيجة تبعيتها سياسياً لمصر نشط تبادلها التجاري مع الإمبراطورية المصرية، وكان الموظفون المصريون المقيمون في سوريا يصطحبون الأشياء اللازمة لاستعمالهم الشخصي، بما في ذلك أروع المبتكرات في الصناعة المصرية، وفي الوقت نفسه يتلقى السوريون عبر التجارة كميات كبيرة من مختلف المصنوعات المصرية بما في ذلك الأواني المصرية والمجوهرات المصنوعة من المعادن الثمينة [٢] .

ازدادت أعداد المصريين في سورية، كما استقبلت مصر المزيد من أفواج من أهل سوريا بصدر رحب واستحبت مصنوعاتهم وفنونهم، ونفعتهم وانتفعت بهم، كما واستضافت معبودتهم ومعبودات بلاد النهرين في معابدها، ولكن هذا الاستمتاع بالغنى أوشك أن يوقع بهم حين استناموا إلى النعيم .

---

١ – برستد (جيمس هنري)، ص ٢٢٥ .

٢ – شتيندورف (ك . سيل)، ص ١٣٤ – ١٣٥.

٣ – صالح (عبد العزيز)، جـ١، ص ٣٢٠.

الفصل الثالث

العلاقات المصرية الرافدية بين عامي (١٣٦٧ - ١٣٠٠ ق.م)

أولاً: أوضاع مصر في عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون)

١- مصر في عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون)

أ – تولي أمنحوتب الرابع (أخناتون) حكم مصر

ب – ثورة أمنحوتب الرابع (أخناتون) الدينية

٢ – علاقات مصر الخارجية زمن امنحوتب الرابع (أخناتون)

ثانياً : نتائج سياسة امنحوتب الرابع (أخناتون)على العلاقات مع بلاد الرافدين

١-الآثار الدينية

٢-الآثار الاقتصادية

٣-الآثار الفنية

٤-الآثار السياسية

الفصل الثالث العلاقات المصرية الرافدية بين عامي (١٣٦٧ – ١٣٠٠ ق.م)

أولاً: أوضاع مصر في عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون)

١ – مصر في عهد امنحوتب الرابع (أخناتون)

أ – تولي أمنحوتب الرابع (أخناتون) حكم مصر

خلف امنحوتب الرابع (١٣٦٧ – ١٣٥٠ ق.م) والده امنحوتب الثالث في الحكم، وله من العمر خمسة عشر عاماً ، وكان قد نشأ في كنف والده امنحوتب الثالث وأمه الملكة تي، وكان والده قد عيَّن الحكيم يويا والد الملكة تي مستشاراً ومشرفاً على تربية ابنه، وتمّ إرساله ليتلقى تعاليم الإله رع في (أون) (هليوبوليس)* معبد أجداده الذين حمل كل منهم اسم رع، وكان آخرهم (تحوتمس الرابع)، وكان امنحوتب الشاب مرهف الحس شديد الذكاء، وفيلسوفاً سديد الرأي ذا عقل راجح ونفس صافية، كان يمقت الكذب وينشد الصدق في كل شيء [٢] ، يميل إلى معرفة الحقيقة في أرقى مظاهرها وأبرزها فيما سماه "الماعت " وقصد به "الحقيقة، الصدق، العدالة" ، لم يكن أمنحوتب الرابع (أخناتون) فيلسوفاً متعبداً فقط بل كان أديباً حكيماً وفناناً وموسيقياً محباً للنحت والتصوير [٤] .

يثير كثير من الباحثين مشكلة الاشتراك في الحكم بين امنحوتب الثالث وولده امنحوتب الرابع، فهناك فريق من العلماء يرى أن هناك حكما مشتركاً بين الأب وابنه استمر بضع سنوات، ويقدّرون ذلك بفترة قد تصل إلى اثنتي عشرة سنة، بينما يميل فريق آخر إلى إنكار هذا الحكم

---

١ – سيف الدين (ابراهيم نمير و آخرون)، ص ٩٢ .

*– هليوبوليس : اسم أطلقه الإغريق على أول عواصم مصر، ويرجح المؤرخون نشأتها إلى ما قبل عام ٢٤٢٠ ق.م،ونجد ما بقي من آثارها في المكان المعرف باسم عين شمس أما اسمها القديم " أون " وهو يعني البرج الذي كان الكهان يرصدون منه الشمس والنجوم والكواكب ، انظر : أديب (سمير)، ص ٨٣٨ .

٢ – كريم (سيد)،أخناتون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧م، ص ٥ .

٣ – أبو بكر (عبد المنعم)، أخناتون ، القاهرة ، ١٩٦١، ص ٣٨.

٤ - كريم (سيد)، ص ٢٤ .

المشترك ولا يراه إلا وهماً، ولكن ليس هناك دليل يدعمه ، وليس هناك ما يستبعد فكْرة وجود الحكم لمشترك بين امنحوتب الثالث وامنحوتب الرابع فقد ثبت قيام عدة حالات من الحكم المشترك في الأسرة الثامنة عشرة، فليس ثمة ما يمنع قيام حكم مشترك بين امنحوتب الثالث وولده امنحوتب الرابع، وبين هذ الأخير وسمنخ كارع. ومما سبق يمكن الأخذ بفكرة المشاركة في الحكم بين امنحوتب الثالث وولده أمنحوتب الرابع .[٢]

غير أنّ خطابات توشراتا الموجهة إلى الملكة تي، حيث يذكر فيها أن الملك الجديد لم يصل العرش إلا بعد وفاة والده تثبت عدم مشاركة الابن أباه في الحكم، حيث يذكر في الرسالةEA26.

" **والآن قد قلت لكيليا: قل لسيدك : كان ميموريا زوجي يكن المحبة لأبيك، ولم يوقف البعثة التي كان اعتاد أن يرسلها بشكل مستمر، والآن، أنت أيضاً يجب أن لا تنسى حبك لميموريا أخيك، بل زوده واحتفظ به لنبخوريا، يجب أن تظل ترسل قافلة السعادة بشكل مستمر، لا توقفها** " .

ونرى الأمر مؤكَّداً بوضوح أكبر في خطاب ورد إلى الملك الجديد من الحاكم الحثي شوبيلوليوما، ومن ثم فإن الاشتراك في الحكم الذي طالما أشير إليه ليس إلا وهماً .[٤]

كان أمنحوتب الرابع (أخناتون) قد تزوج من فتاة عرفت باسم نفرتيتي وكانت قد اشتهرت بجمالها الأخاذ وجاذبيتها الفائقة، ولم يعتمد الأثريون على هوية جنسيتها، فمنهم من يعتقد أنها مصرية، ومنهم من يرى أنها ميتانية.

وليس هناك تاريخ مؤكد لزواج نفرتيتي من امنحوتب الرابع ويرجح أن يكون ذلك في نهاية عامه الأول، أو بداية العام الثاني من حكمه في طيبة. ورزقت منه نفرتيتي بست بنات، ثلاث منهن في طيبة هن "مريت آتون " و " مكت أتون " و " عنخ أن أس با آتون " وعندما هجر الملك طيبة إلى عاصمته الجديدة تل العمارنة في العام السادس من حكمه أنجبت له ثلاث بنات أخريات هن "نفرنفرو آتون تاشرى " و " نفر نفرو رع "،" ستب أن رع " وكانت نفرتيتي قد نالت الكثير من الألقاب منها :" **سيدة الشمال والجنوب، سيدة الأرضين، سيدة جميع النساء جميلة الوجه، سيدة السعادة التي تسعد الملك في المنزل، والتي يسعد الإنسان عند سماع صوتها، زائدة الجمال ... إلخ** " وفي العام

1 - The Cambridge ancient history , op. cit, vol 2, part 2 , P 49 .

٢ – ألدريد (سير)، أخناتون، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٢ م، ص ٩٧ .

3 - Samuel A. B . Mercer ,op . cit , P 151 .

٤ – جاردنر (ألن)، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

السادس من حكم امنحوتب الرابع أضيف إلى اسم نفرتيتي اسم آخر، وضع داخل الخرطوش هو " نفرنفرو آتون " أي " جميلة جمال آتون ". من المؤكد أن نفرتيتي طبقاً لصورها وألقابها كانت متفوقة على نساء عصرها في الجمال وفي الرشاقة .[١]

١ – فياض (محمد)، المرأة المصرية القديمة ، دار الشروق ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٧٦ – ١٧٧.

ب - ثورة أمنحوتب الرابع (أخناتون) الدينية

كانت أحوال مصر مستقرة في بداية حكم أمنحوتب الرابع (أخناتون) لذلك بدأ يفكر في دينه الجديد والدعوة إلى إله واحد يكمن في قرص الشمس أطلق عليه آتون الذي تتدلى منه أشعة تنتهي في أيدي بعلامة على شكل الحياة (عنخ) تمنحها للملك والملكة، وكان لتمتّعه بشخصية مختلفة عن شخصية الملوك الذين خلفوه في الحكم، فقد اعتمدوا على الحروب في التوسع والسيطرة على المناطق المجاورة، أما أمنحوتب الرابع (أخناتون) فقد كان مرهف الإحساس يفضل السلام وينشده في كل نواحي حياته، لذلك رفض فكرة التوسع من خلال الحروب وإراقة الدماء، فحاول أن يوسع نفوذه وسيطرته عن طريق توحيد جميع الشعوب بدين واحد يربطهم بإله واحد هو آتون، وإلى جانب ذلك كان لاستبداد وقوة كهنة آمون دور في ذلك، فقد بدأ نفوذهم يتزايد منذ أيام تحوتمس الثالث الذي أعاد الفضل بكل ما حققه من انتصارات إلى آمون رع، وهذا ما جعل كهنة آمون رع يتمتعون بمكانة في الإمبراطورية المصرية، وتدل المعابد الضخمة التي أقيمت له على ذلك مثل معابد الكرنك، والمعبد الذي أقيم له في الأقصر، فسرعان ما بدأ كهان آمون يتطلعون إلى السيطرة على مقاليد الأمور في الدولة، فانصرفت جهودهم لتوطيد سلطانهم، وتكديس الثروات أولاً، ومن ثم عملوا على إزاحة نفوذ الأرباب المحلية بإدماجهم في آمون أو في ابتلاعه لهم [١]، ذلك أن المصريين آمنوا بعقيدة أن الفضل في انتصاراتهم، يرجع إلى إلهين هما: الإله الملك الذي قاد الجيوش، والإله الذي بارك تلك الحروب، ومن ثم فقد كان على هذه الجيوش أن تدفع ما عليها من دَيْن لآمون بعد أن يتم لها النصر على العدو، لأنه قد رعاها وحماها من الخطر . وقد أدى ذلك بمرور الوقت[٢]، إلى زيادة ثروة آمون زيادة كبيرة، فقد كان نصر الجيش في أية معركة من المعارك، يعني زيادة ثروة آمون، وهكذا كلما ازدادت مصر توسّعاً عظم شأن آمون وكهنته، وازداد ثراؤه . ومع ازدياد قوة آمون كان[٣] من الطبيعي أن تزداد سلطة كهنته وأصبحوا ذوي نفوذ سياسي كبير، حتى بلغوا من ذلك ما لم يبلغه أمثالهم في العالم إذ نالوا نصيباً من الكنوز، والمعابد بأوقافها من الأراضي في الأقاليم المستولى عليها، هذا فضلاً عن

---

١ – مهران (محمد بيومي)، جـ ٤ ، ص ٦٩ .

٢ – المرجع نفسه، جـ ٤، ص ٧٤ .

٣ – حسن (سليم)، جـ ٥، ص ١٦١ .

عدد من الأسرى لأعمال السخرة لديهم. وطغت شهرة آمون فعمت البلاد بحيث لم يبق لأرباب الأقاليم شيء من القوة، إلا في بلاطه وتحت رايته .[١]

أخذ كهنة آمون يسيطرون على كل شيء في مصر، فلم يتناسب مع أطماعهم وجود إله آخر في مصر ينافسه في قوته وجبروته. فاستطاعوا أن يحققوا بغيتهم بأن جعلوا جميع الآلهة متضَّمنة في إلههم. فأصبح "آمون" هو : (آمون – رع) و (آمون – خنوم) و (آمون مين) ، ومع ازدياد نفوذ[٢] الكهنة أخذوا يتدخلون في أمور الدولة الدنيوية، وأصبحوا يشكلون خطراً على الحكم، لذلك صمم الملك أن يضعف نفوذهم بتجريدهم من القاعدة الاقتصادية التي كانوا يعتمدون عليها. ولجأ في الصراع معهم للاعتماد على الطبقة الوسطى من الموظفين. لكن ذلك الصراع السياسي اكتسب طابعاً آخر دينياً، تمثل بإجراء إصلاح ديني، حيث أمر امنحوتب الرابع بإبطال عبادة آمون ومصادرة الأملاك التابعة لمعابده في طيبة، وبملاحقة كهنته. فخسر هؤلاء ثروتهم وبالتالي سيطرتهم. وكان أمنحوتب الرابع (أخناتون) قد أولى كل اهتمامه الدعوة لعبادة آتون واختاره إلهاً له، لنفسه وعكف على عبادته واتخذ لنفسه لقب " الخادم الأول للإله رع حور آخت الذي يهنأ في الأفق باسمه النور (شو) الموجود في آتون "، ليبقى وحده من يقوم بخدمة الإله آتون.

ذكر اسم آتون أولاً ككل الآلهة المصرية بدون الخرطوش، ثم ظهرت مرحلة ثانية هي الأولى من نوعها، وهي وضع الاسم الكامل لآتون داخل خرطوش تماماً مثل أسماء الملوك المصريين أي عومل آتون كملك مصري .[٣]

لم يكن امنحوتب الرابع متعصباً للإله آتون في البداية، بل كان يحترم كافة المعبودات، لكنه كان يميل إلى تلك التي تتصل بعبادة الشمس مثل "رع"*و "آتوم"* أي أنه لم يكن موجداً لهذه الديانة، لكنه تميز بأنه رمز إلى معبده بصورة في هيئة قرص الشمس الذي تتدلى منه أشعة تنتهي بأيدي تهب رمز

---

1 – Saunerons , Serge ,Les prétres de l áncien Egyept , Paris , 1957 , p 180 .

٢ – أبو بكر (عبد المنعم) ، ص ٦١ .

٣ – أديب (سمير) ، ص ١٨٠– ١٨١ .

*– رع : يمثل الإله رع الشمس في قوتها، ويعني اسمه ببساطة الشمس، وقد وحد منذ عصر مبكر جداً مع آتوم، وقد روت الأساطير أن آتوم قد خلق رع، وهناك من اعتقد أن رع قد خلق من المياه الأزلية المحيطة بزهرة اللوتس، وانه اتخذ زوجة له هي (رعت) "عظيمة في السحر"، انظر : أديب (سمير)،٤٤٧ .

*– آتوم : وهو المعبود الرئيسي لمدينة هليوبوليس، مثله المصريون على هيئة آدمي يحمل فوق رأسه قرص الشمس ويعني اسمه التام والكامل، انظر : أديب (سمير)، ص ٣٣ .

الحياة إشارة إلى أن القوة الكامنة في الشمس تعطي الحياة للكائنات جميعها ، وسرعان ما أعلن [١] أمنحوتب الرابع أن العبادة يجب أن تتجه إلى عبادة آتون. وأن آتون ما هو إلا (رع) يتألق في أفقه، باعتباره النور الذي في الكوكب آتون، وهدف امنحوتب الرابع من ذلك أمور ثلاثة.

- أن يحدد رأس عقيدته الدينية الجديدة.
- وأن لا يفاجئ الناس بأسماء جديدة لم يألفوها.
- وأن يوحي إليهم بأنه لا يطلب منهم غير العودة إلى معبود الفطرة معبود أجدادهم الأولين رع، وهو نفسه آتون، وربط بينه وبين آية النهار المعجزة المستحبة في كوكبه [٢] .

وأوجس كهنة آمون خيفة منه، على الرغم من بساطة هذا الاستهلال الذي بدأ امنحوتب الرابع دعوته به، فلقد رأوا أن يافعاً مثله يتزعم مذهباً في الدين، ويفتي بالرأي فيه، خليق بأن يأتي على يديه تغيير كبير فأضمروا له العداء وجافوه [٣] . أخذ الكهنة يحيكون المؤامرات والدسائس من أجل القضاء عليه وعلى دينه الجديد، فلم يمنعه هذا من الاستمرار بما بدأه، بل أعلنها حرباً على آمون وكهنته وهكذا بدأت الأمور بين الملك وكهان آمون تسير من سيء إلى أسوا [٤] .

أظهر امنحوتب الرابع نضجاً سياسياً كبيراً، خصوصاً عندما أصدر قرارات هامة تحرم الكاهن الأعظم للإله آمون من التصرف بإدارة أملاك الإله الدينية، وكان القصد من ذلك تجريده من النفوذ السياسي الكبير الذي كان يتمتع به منذ عهود طويلة [٥] ، وفي العام السادس غير امنحوتب (آمون راضي) اسمه إلى أخناتون وهو يعني(المفيد لآتون). وأصبح أمر إنكار الإله القديم والإيمان بالإله الجديد شيئاً رسمياً، لأن الملك كان رمزاً لسيادة الدولة [٦] .

بلغت الأزمة ذروتها في العام السادس من حكم الملك، وذلك عندما أنكر على الكهان ربهم آمون وتنكر لهم. فأطاح بآثار معبودهم وحطم أصنامهم وأخذ باسمه يمحوه أينما وجد حتى في رسائل الود والسياسة التي كانت ترد على قصر أبيه من ملوك الشرق [٧] .

---

١ – عصفور (محمد أبو المحاسن) ، ص ١٧٩ .

٢ – صالح (عبد العزيز) ، ص ٣٠٩ .

٣ - مهران (محمد بيومي)، جـ ٣ ، ص ١٦٩ .

٤ – أديب (سمير)، ص ١٨١ .

5 - Vandier , Jacques , la religion égyptienne , Paris ,1944, P 141 .

٦ – ولسن (جون) ، الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، مكتبة النهضة العربية، د. ت ، ص ٣٤٨ .

٧ – بدوي (أحمد)، موكب الشمس ، جـ ٢، مطبعة لجنة التأليف، ط٢ ،القاهرة ، ١٩٥٥م، ص ٥٧٠ .

مضى أمنحوتب الرابع (أخناتون) في تنفيذ مخططه، فأمر الحكومة بوضع يدها على أملاك الكهنة جميعاً بما فيها كهنة آمون، ومنعهم من التدخل في عبادة المعبودات على اختلافها. ومحو جميع أسماء هذه المعبودات من جميع الآثار الموجودة وقتئذ، وقد نفذت هذه الإجراءات، وبالأخص ضد آمون فمحي اسم هذ المعبود من كل شيء، من المقابر الملكية القديمة وجميع التماثيل التي نصبها ملوك الإمبراطورية أيام مجدها وعزتها حول الكرنك وداخله، ثم محا تماثيل أجداده ووالده وكل ماله علاقة بآمون دون مراعاة لكرامتهم ولا النظر إلى منزلتهم السابقة، ثم محا اسم والده امنحوتب الثالث من معابد طيبة كلها لاشتماله على اسم آمون. لئلا يظهر اسم هذا المعبود في المعابد، وبلغ من حقده على آمون أن أمر بإزالة اسمه من كل ما يقع تحت يده من الآثار ، ولما تبين لأخناتون أن خطْوته السابقة على الرغم من أهميتها لم تكن كافية للقضاء على نفوذ الكاهن الأعظم، فقد خطط للتخلص نهائيا من سطوة الخضوع للكاهن الأعظم بأن أعلن القطيعة مع الديانة القديمة، و دعا إلى عقيدة جديدة. ومنذ ذلك الوقت بدأ يكرس كل وقته وجهده لتفسيرها ونشرها بين الناس كأنه نبي مرسل. ولقد وجد كل الدعم والمساندة من قبل كهنة (هليوبوليس) الذين اعتبروه رسولاً للإله رع أثناء حركة العمارنة .[٢]

ويبدو أن عقيدة أخناتون كانت تقرب بين الأفكار الدينية المصرية والأفكار الدينية السائدة في سوريا، حيث كان يعبد الشمس في معظم المناطق تحت اسم "اوهون" أو "آدون" بمعنى "السيد"، لذلك ساد الاعتقاد بأن هناك تأثيراً سورياً في هذه الديانة، وبأن الملك أراد من اعتناقها أن يتمكن من توحيد مناطق النفوذ المصرية في سورية من خلال هدف ديني واحد .[٣]

اختلفت عبادة الشمس هذه عن عبادة آمون بعدة سمات، منها أنها كانت عبادة عامة يمكن أن يشترك فيها العالم، كما وجعل أخناتون من نفسه كبيراً لكهنتها. ولم يكن يدخل النساء في خدمتها .[٤]

اختلفت تعاليم الدين الجديد عن التعاليم القديمة في العبادة، ففي سنوات أخناتون المبكرة كان الإله يصور على الآثار على هيئة آدمي له رأس صقر، ثم لم تلبث أن حرمت الديانة الجديدة تصوير الإله بشكل بشري فكانت العبادة توجه نحو الأشعة المرئية المنطلقة من محيط قرص الشمس على هيئة

١ – برستد (جيمس هنري)، ص ٢٤٢ .

2 - Vandier , Jacques , op . cit , P 141- 142 .

٣ – السيد (رمضان)، ص ١٠٩ .

٤ – عصفور (محمد أبو المحاسن)، ص ١٧٩ .

أشعة طويلة تنتهي بأيدٍ بشرية، غالباً ما تقدم إلى أنف الملك وإلى أعضاء أسرته الرمز الهيروغليفي للحياة (عنخ)، كانت القرابين تقدم من الطعام، ويحرق البخور للإله تحت السماء المفتوحة .

كان أخناتون يتعبد آمون في ضوء الشمس الكامل وليس في حجرات مغلقة مظلمة كما كانت الحال من قبل [٢] .

أيقن أخناتون في العام السادس من حكمه (١٣٤٧ ق.م) أن طيبة لم تعد تصلح لبذر تعاليمه الجديدة، كما أنّ جوّها مليء بالمؤامرات وبالأفكار المسممة حيث ينشرها كهان آمون فتقيد نشر دعوته الجديدة، فهاجر بأهله وبأتباعه إلى الأرض التي وصفها بأنها أرض بكر لم يدنسها شرك العبادة، ولم يعبد فيها من قبل إله أو إلهة، وهي تتوسط أرض مصر، فأقام بها وسماها (أخيتاتون) بمعنى (أفق آتون) أو (مشرق آتون) [٣] .

كان أول أغراض بناء العاصمة الجديدة "أخت أتون" وهي المدينة المعروفة اليوم باسم (تل العمارنة) أن تكون مركز البلاط ومركزاً للحكم. فيكون فيها بمعزل عن الخطر الذي يحيط به في طيبة وبذلك يضمن لنفسه مكاناً آمناً وحصيناً يبذر فيه بذور عقيدته الجديدة. ولقد اختار لمدينته أرضاً تقع على الضفة الغربية للنيل، يتوسط موقعها بين (طيبة وهليوبوليس)، وقد أشرف

على أعمال "آخت آتون " اللواء " با آتون محب "* الذي أطلق عليه " المشرف على أعمال آخت آتون " ويدل هذا اللقب على طبيعة الأعمال الإنشائية التي أشرف عليها هذا الضابط، ففي عهد العمارنة كانت الألقاب تدل على الوظيفة الحقيقية لصاحب اللقب، ولم تكن مجرد ألقاب شرفية .

احتفل أخناتون ونفرتيتي بوضع حجر الأساس لمعبد المدينة احتفالاً عظيماً سجله على إحدى لوحات أحجار الأساس التي أقامها في حرم مدينته، وقد ورد في النص المدون على تلك اللوحة ما يلي : " **السنة السادسة الشهر الرابع من الفصل الثاني من اليوم الثالث عشر، أمر جلالته بصنعة في مدينته وقد زار جلالته الموقع في عربته العظيمة المصنوعة من الذهب مثل (آتون) عندما يشرق**

١– شتيندورف (ك . سيل)، ص ٢١٢ .

٢ – جاردنر (ألن)، ص ٢٥٦ .

٣ – مهران (محمد بيومي)، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ٥ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٧ ، ص ٤٥ .

*– با آتون محب : وهو من الموظفين في عهد أخناتون وحمل العديد من الألقاب منها المشرف على جنود رب الأرضين، ومدير بيت رب الأرضين، انظر: سليم (حسن)، جـ ٥ ، ص ٤١٧ .

٤ – قدري (أحمد)، ص ١٥٣ .

في الأفق ويملأ الأرضيين بجماله ونور شعاع وذلك لما بدأ السير في طريقه إلى (أخت آتون) عندما قام جلالته بأول جولة فيها ليؤسس أثراً خالداً (لآتون) حسب أمره معطي الحياة أبد الأبدين، ويقوم بتشييد هيكله المقدس في وسطها في المكان الذي اختاره الإله بنفسه وحدد موقعه في الأرض، وقد أمر جلالته أن تقدم القرابين عظيمة من الخير والجعة والثيران والعجول والماشية والطيور والخمر والذهب والبخور، وكل الأزهار الجميلة، ففي هذا اليوم تم إرساء حجر الأساس لمدينة (أخت آتون) (لآتون الحي) على عرشه في السماء وليمنح ابنه أمنحوتب الرابع (أخناتون) في الأرض الرضا والحب " .[١]

أقام أخناتون لنفسه قصراً في حي المدينة الشمالي، وعلى مقربة من شاطئ النيل، ومما يلفت النظر في هذا القصر الضخم هو حجرة العمد التي يبلغ عرضها ٤٢٨ قدما وطولها ٢٣٤ قدما مما يجعل قاعات القصور الملكية الأخرى تتضاءل بجانبها، هذا إذا ما قارناها بمساحة القصر الكلية التي تبلغ ١٤٠٠ قدم طولا و ٥٠٠ عرضا وهذه القاعة تضم ٥٤٢ عمودا، وكانت تلك القاعة في بهائها تمثل غابة مزدحمة الأشجار، وزينت بنقوش غاية في الفخامة والروعة[٢] ، وربما كانت هذه القاعة هي قاعة الاستقبال الكبرى التي يسمح بدخولها في مناسبات رسمية ودولية للمبعوثين الأجانب وخدم الأمراء بحضور الملك ومستشاريه وكبار رجاله، وقد وصف قصر أخناتون بأنه جنة إله على الأرض ينعم فيها أخناتون بهدوء بعيداً عن متاعب طيبة وفتنتها .[٣]

كان الذين صحبوا أخناتون إلى العمارنة هم الذين اختاروا أن يتبعوا الملك، لأن مستقبل حياتهم في وظائفهم كان يتوقف على الولاء له، أو كانوا من مؤيدي الثورة، وهكذا كان الملك محاطاً إما برجال بلاط مخلصين ولهم مثل تفكيره، وإما متملقين متزلفين، ولم يكن من بينهم جميعاً من يعارض آراءه الثورية، وظل طيلة حكمه حراً في تخصيص نفسه لتطبيق الماعت في الديانة، وفي الفن وفي الحياة الاجتماعية وفي غير ذلك، وفي خلال هذه السنوات كان مهتماً بتقديم حركته الثورية أكثر من احتفاظه بالكيان السياسي والاقتصادي للبلاد .[٤]

---

١ – كريم (سيد)، ص ٩ .

٢ – حسن (سليم)، جـ ٥ ، ص ٢٨٩ .

٣ – دافي (سافيتري)، أخناتون اله الشمس، ترجمة شوقي داود، معرض الشوف الدائم للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٩٥ .

٤ – ولسن (جون)، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ .

كانت لثورة أخناتون أسباب عدة أدت إلى فشلها وانهيارها أخيراً منها. أن أخناتون قد اعتقد أنه يستطع أن يحافظ على سلطانه في سوريا العليا، عن طريق ربط تلك الشعوب المختلفة بعقيدة آتون، إذ كان يفكر في وحدة الشعوب المختلفة عن طريق توجيهها نحو عقيدة واحدة، هي عقيدة آتون، حيث كان الملك يؤمن أنه قادر على توحيد هذه الشعوب فيسود السلام فيها بدلاً من الحرب [١]. غير أن الديانة الجديدة تفتقر إلى الشعبية في المجتمع المصري، ذلك أن المعتقدات المحلية في الأقاليم كانت لها فاعليتها الشعبية، وكان من الضروري توفير الوقت اللازم لأحداث التغير في الفكر الديني عند العامة من الناس، الأمر الذي لم يتوفر للآتونية سواء على أيام الداعية أو بعد مماته [٢]. وانعدم تقريبا الأثر الذي تركه هذا الإصلاح على جموع الشعب وذلك لعاملين.

أولهما سرعة اعتكاف البلاط الملكي بأمنحوتب الرابع (أخناتون)، فلم تتح الفرصة للشعب لكي يقف على الطقوس الجديدة، إذا استثنينا منشآت الكرنك.

أما **الثاني** منهما فأشد عمقاً، وهو تعارض هذه العبادة مع المكونات الهيكلية للمجتمع، إذ ظلت الجماهير مرتبطة بالقواعد الدينية التقليدية وأثبتت التنقيبات الأثرية اكتّشاف العديد من الأشياء المكرسة للآلهة الأخرى في مدينة (أخيتاتون) بما في ذلك تماثيل صغيرة لـ (بتاح)* وتمائم عين(حورس)*

١ – علي (رمضان عبده)، ص ١٧٤ .

٢ – مهران (محمد بيومي)، جـ ٥، ص ٤٠٢ .

٣ – غريمال (نيقولا)، ص ٢٩٢ .

*– بتاح : وهو الإله الرئيس في مدينة منف وهو من أوائل الآلهة التي ظهرت في هئية بشرية منذ ما قبل بداية الأسرات، وقد رفعه كهنة منف إلى مرتبة الإله الخالق، انظر : سمير (أديب)، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ص ٢٢٥.

*– حورس : وهو يمثل إله السماء، كان رمزه الصقر وظل بعض الوقت إله الفضاء، متخذاً الشمس والقمر عينيه وأحيانا آخر صار هو الشمس و لاسيما باسم (رع حور آختى) له معبد في نخن (البصيلية مركز إدفو) عاصمة مصر العليا فيما قبل التوحيد، ثم أصبح الإله الحامي لحكام الصعيد المنتصرين على الدلتا، ذلك لأن القوم إنما كانوا يرون أنه بتأييد حورس ومؤازراته استطاع ملك الصعيد "نعرمر" أن يطلق الوحدة لمصر بعد انتصاره على الدلتا، وأن يؤسس الأسرة المصرية الأولى، بوزنر (جورج)، معجم الحضارة المصرية القديمة، ص ١٠٣ .

(آوزيريس)* و(إيزيس)* مما يدل على أنه حتى في مدينة (آتون) لم يهجر الناس العاديون الآلهة والمعتقدات التقليدية. واستمر وجود تعدد الآلهة في عقول الغالبية العظمى من المصريين وقلوبهم .[1]
أما العامل الأساسي الذي أدى إلى فشل عقيدة آتون أنها جاءت في غير وقتها المناسب، فيبدو أن أخناتون قد سبق بفكره الزمن الذي عاش فيه وفاجأ عصره بأفكار جديدة، ولم يكن الفكر المصري قد وصل بعد في هذا العصر إلى مرحلة كافية من النضوج تهيئ الأذهان لقبول فكرة التوحيد المطلقة، كما أعلنها أخناتون في بعض أناشيده، وربما لو تأخر ظهور أخناتون عن ذلك لتغير مصير عقيدته، ومن ناحية أخرى فقد يكون العنف الذي صاحب إعلان حركته، وكذلك العنف المضاد لها بعد وفاته. هو السبب في وأد أي فكرة توحيدية حقيقية تتجاهل الآلهة التي اضطهادها أخناتون .[2]

*– أوز يريس: كان من أكثر الآلهة الشعبية في مصر بسبب مظهره السلمي وخلقه الرضي ونعمه الوفيرة على البشرية، ثم ميتته العنيفة وبعثه، لذلك لم يقدسه المصريون فحسب، بل غزا أفئدة الكثيرين من شعوب البحر المتوسط وخاصة بلاد الإغريق والرومان، انظر : سمير (أديب)، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ص ٢٠٩ .
*– إيزيس : وتعني (كرسي العرش) وكان أصلها في الدلتا ظهرت كمعبودة محلية بمدينة إيزيوم عاصمة الإقليم الثاني عشر وكانت إلهة سماوية وعرفت كزوجة ل أوز يريس، ورمزت للإخلاص العظيم للزوج والرعاية الكاملة للأبن، وأصبحت في نظر المصريين المثل الأعلى للأم الحنون والزوجة الوفية لالتجائها إلى السحر للعثور على جثة زوجها الشهيد، وإعادة الحياة إليه، فضلاً عن الدفاع عن ابنها، انظر : سمير (أديب) ، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ص ٢١٨ .

١ – ناتوفيتس (سميسون)، مصر أصل الشجرة ، جـ ٢، ترجمة أحمد محمود، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٢١١ .

٢ – سيد (عبد المنعم عبد الحليم)، حضارة مصر الفرعونية، جـ ٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤

٢– علاقات أمنحوتب الرابع (أخناتون) مع دول الشرق القديم

عمل امنحوتب الرابع على استمرار علاقة الصداقة كما كانت أيام والده وأجداده مع ملوك بلاد النهرين، ويظهر ذلك من خلال المراسلات التي تم تبادلها بين امنحوتب الرابع (أخناتون) وملوك آشور وبابل وميتاني، فكتب ملك آشور إلى امنحوتب الرابع في رسالة EA 15 : " **إلى امنحوتب أخي أقول : أنا آشور أوباليط ملك آشور وأخوك، أدعو بالخير لك ولأهلك وبلادك** " .[١]

كان الملك الآشوري (آشور أوباليط) قد حاول أن يقيم حلفاً مع مصر، عندما رأى أن الحثيين استمالوا تياراً ضمن الأسرة الحاكمة في ميتاني الضعيفة، مما قد يمنع جهوده الاستقلالية، فأرسل وفداً إلى وادي النيل لتحقيق هذا الهدف. وقد ورد في احدى رسائل " آشور أوباليط " إلى ملك مصر أمنحوتب الرابع (أخناتون) EA 15 " **ابعثُ هذا الرسول لزيارتك وزيارة بلادك، لم يكتب آبائي، أكتب لك أنا اليوم، أرسل لك هدية سلام عربة خشبية جميلة، حصانين، خرزة بهيئة البلح من حجر اللازورد، لا تؤخر رسولي الذي أرسل إليك للزيارة، ليطلع، ويَعد، ليطلع على رأيك ورأي بلادك، وليعد (مباشرة)** " فهذه إشارة صريحة من الملك الآشوري للتعاون بينه وبين ملك مصر تمهيداً لعقد اتفاقية عسكرية يقف كل منهما بجانب الآخر في حال اعتداء دولة أجنبية على أي منهما. وقد عنى الآشوريون المملكتين " الحثية" و" الكاشية "، وقد غضب الكاشيون من قيام الآشوريين بهذه الخطوات الديبلوماسية، حيث عدّوا أنفسهم ورثة البابليين الشرعيين، لذلك حاولوا فرض سيطرتهم على آشور .

وبالرغم من عدم استجابة امنحوتب الرابع (أخناتون) لعقد تحالف مع آشور فقد حرص على استمرار الصلة معها، فأرسل بالذهب إليها، لكن يتضح أن كمية الذهب لم تكن كافية بنظر ملك آشور حيث يشتكي من قلة الذهب في رسالته EA 16

"لقد ابتهجت جداً، عندما رأيت رسلك، سيقيمون بالتأكيد عندي، ويكونون موضع اهتمام، أرسل إليك هدية سلام عربة ملكية تبدو كأنها مجهزة لي، وحصانين أبيضين، كأنهما مجهزين لي، وعربة غير مجهزة، وختما من اللازورد، أهكذا تكون هدية ملك عظيم؟ الذهب في بلادك تراب، وهو يجمع جمعاً. لماذا تبخل به؟ لقد تعهدت أن ابني قصراً جديداً فأرسل إلي ذهباً بقدر ما يلزم لتزيينه ولاحتياجاته. عندما كتب "آشور – نادان – أخي" أبي إلى بلاد مصر، أرسلوا عشرين حملاً من

1 - Samuel A. B . Mercer , op . cit , P 57

٢ – سليمان (توفيق)، ص ٣٢٠ .

الذهب، عندما كتب ملك خاني جلبات إلى أبيك إلى بلاد مصر، أرسلوا له عشرين حملاً من الذهب، أنا مساو لملك خاني جلبات، وترسل لي فقط .....من الذهب، وهو لا يكفي لنفقات ذهاب وعودة رسلي، إن كان هدفك تحقيق صداقة حسنة، فأرسل إلي ذهباً كثيراً وهذا بيتك فاكتب إلي عما تحتاج إليه، ليأخذوه إليك" [١] .

كما كتب ملك بابل "بورنابورياش" إلى امنحوتب الرابع عندما تولى العرش، للتعبير عن رغبته في إحياء العلاقات بين المملكتين في الرسالة EA 6 .

" كما في السابق حيث كنت أنت وأبي متصادقين مع بعضكما، الآن أنا وأنت لنكن متصادقين مع بعضنا أيضاً، ولا تقال بيننا كلمة معادية أبداً" [٢] .

حرص ملوك الشرق القديم على الاستمرار في طلب الذهب خلال عهد امنحوتب الثالث واستمر الحال كذلك في عهد امنحوتب الرابع، فأرسل الملك الكاشي بورنا – بورياش إلى الملك المصري امنحوتب الرابع. رسالة يطلب منه فيها ذهباً كثيراً لينفذ بناء المعبد الذي بدأ بتشييده. ويعاتبه لاستقباله الوفد الآشوري لأنه اعتبر ذلك عملاً غير ودي، طالما أن سلفه الملك الكاشي كوريجالزو رفض أن يتحالف مع الكنعانيين في فلسطين ضد الملك المصري السابق عندما عرضوا عليه هذا الأمر آنذاك وذكر ذلك ضمن رسائل العمارنة EA 9. فقد اعتبرهم الملك الكاشي بورنا – بورياش الثاني الآشوريين من أتباعه، فقد كان الكاشيون يخشون من تعاظم القوة الآشورية بدليل رجائهم الملك المصري بأن لا يعقد معهم أية معاهدة أو أن يصل معهم إلى أي اتفاق، غير أن الملك المصري لم يعر ذلك أي اهتمام و لم يعلق عليه في رسالته إلى الملك الكاشي ،" **إلى نيخوريا، ملك مصر**[٣] **هكذا يتكلم أخوك بورنا – بورياش ملك كارادونياش إني بخير، عساك وبيتك ونساؤك وأطفالك وبلادك وشيوخك وأحصنتك وعرباتك في أحسن حال : عندما كان والدي ووالدك في علاقة صداقة جيدة بينهما، تبادلا إرسال الهدايا والأشياء الجميلة، التي تمناها كل منهما، ولم يمنع أحدهما شيئاً عن الآخر، وقد أرسل لي أخي حتى الآن ٢ مينا من الذهب هدية، ولما كان الذهب متوفراً عندك بكميات كبيرة، أرسل لي كما كان يرسل والدك. لماذا لم ترسل سوى ٢ مينا من الذهب؟ إني مصمم على القيام بأعمال كثيرة**

١ – فاروق (إسماعيل)، ص ١١٧ – ١١٨ .

2 - Samuel A. B . Mercer , op . ci , P 19

٣ – سليمان (توفيق)، ص ٢٥٩ .

متنوعة في المعبد، وبدأت بتنفيذها، أبعث لي ذهباً كثيراً، وكتب لي بما تحتاجه من بلادي ليرسل إليك.

وفي عهد أبي كوريجالزو كتب إليه جميع الكنعانيين قائلين : " سنستوطن كل حدود البلاد.... وسننهض نود التحالف معك"، أما والدي فقد كتب إليهم : " ابتعدوا عن فكرة التحالف معي، فإذا نهضتم ضد ملك مصر، أخي، واتصلتم بآخر فلن أوافقكم، بل إني سأدمركم لأنه (ملك مصر) متحالف معي، وبسبب والدك لم يسمع والدي كلامهم، والآن لم أرسل إليك أتباعي الآشوريين كما ادعوا. ولماذا قدموا إذن إلى بلاد؟ فإذا كنت تحترمني وتحبني، لا تعقد معهم أية اتفاقية، لكي يعود الرسل بدون نتيجة، أرسلهم صفر اليدين. وها أنا أرسل إليك ٣ مينا من حجر اللازورد وخمسة ألجمة لأحصنة خمس عربات خشبية " [١] .

ولم تكن هذه الرسائل الوحيدة إذ استمر تبادل الرسائل بين الطرفين، فهناك رسائل أخرى أرسلت من قبل ملك بابل لامنحوتب الرابع يعاتبه فيها على عدم اهتمامه بمرضه، ولكن الرسول المصري برر له ذلك ببعد المسافة بين البلدين في الرسالة EA 7.

يقول : " **لقد جاء إلي رسول أخي وقد انحرفت صحتي بعد حضوره عندي ولم يسأل عني أخي في كل المدة التي مرضتها، ولهذا استأتُ من أخي وقلت لماذا لم يبعث إلي رسولاً ولم يظهر اهتماماً بي. ولكن رسول أخي أجاب على ذلك بأن مصر ليست قريبة حتى يسمع أخوك بمرضك، ويرسل من يسأل عن أخبارك، وسألت بعد ذلك رسولي فقال لي بأنها مرحلة طويلة جداً، ومنذ سمعت بذلك لم يبقَ في نفسي استياء من أخي " [٢] .**

وتوثقت العلاقات أكثر فأكثر بين مصر وبابل عندما تزوج امنحوتب الرابع من أميرة بابلية تدعى "مياتي" ابنة الملك الكاشي بورنا بورياش، حيث يصف موكب العروس، وأنه لم يكن هناك من عربات كافية ومناسبة للموكب الذي سينقلها إلى مصر، حضرت الأميرة البابلية ولم نعد نسمع عنها شيئاً بعد ذلك، وهو زواج يتضح فيه أيضاً الجانب الاقتصادي إلى جانب الناحية السياسية لأن الهدايا التي كان الملك البابلي يرسلها مع رسوله أو مع العروس وخاصة العربات والجياد فإنه في مقابلها كان ينتظر أن

١ – سليمان (توفيق)، ص ٢٥٧.

2 - Samuel A. B . Mercer ,op . cit , P 21 – 23 .

يغدق عليه الملك المصري الهدايا الكثيرة ولعل أهمها الذهب، كمهر للعروس، حيث يرد ذكر ذلك في الرسالة EA11 .[١]

" خامشي رسولك وميخوتي الترجمان عرفتهما على ابنتي، فسكبا الزيت على رأس ابنتي، أما فيما يتعلق بالذي سيأخذها إليك، فمن سيأخذها إليك؟ مع خايا خمس عربات فقط أيأخذها إليك في خمس عربات فقط؟ الآن، هل أسمح أن تنقل إليك من بيتي هكذا؟ الملوك المجاورون لي سيقولون ابنة الملك العظيم نقلوها إلى بلاد مصر، في خمس عربات فقط .

خايا كبير رجالك الذي أرسلته إلي، معه عربات وقوات قليلة العدد. أرسل إلي عربات وقوات كثيرة، كي يأخذ خايا الأميرة لك. لا ترسل كبيراً آخر. الأميرة التي سكب على رأسها الزيت يجب أن لا تؤخر عندي، أرسلهم بسرعة ليأخذوها. وإن كنت سترسل هذه السنة، عربات وقوات، فلينطلق رسول إلي، بأقصى سرعة، ويعلمني بالقرار"

يتابع بورنا بورياش كلامه بأنه يرغب بالذهب كمهر للعروس فيشتهر أمره بين الملوك المجاورين له " **بعد أن أرسل أبوك ذهباً كثيراً إلى كوريجالزو. ماذا كان أكثر وفرة من هدية كوريجالزو؟ ماذا كان ينقص في قصر أبي؟ لأن الملوك المجاورين سمعوا بذلك، قالوا الذهب كثير حقاً بين الملكين أخوة، صداقة، سلام وعلاقات حسنة لقد كان القصر مميزاً بالحجارة، مميزاً بالفضة، مميزاً بالذهب " كما ذكر بورنا بورياش بعض الهدايا التي أرسلها إلى ابنته " أرسل إليك هدية سلام عشر قطع من اللازورد، وإلى سيدة قصرك بيتك أرسل عشرين جعلاً من اللازورد" .**[٢]

أما ما يخص علاقة امنحوتب الرابع مع ميتاني فقد استمرت على المنوال ذاته، فما إن تولى امنحوتب الرابع عرش مصر حتى كتب له ملك ميتاني رسالة يطلب فيها منه أن تستمر أواصر الصداقة والمهادنة بينهما، حيث كتب معزياً :" **حينما مات والدك بكيت يوم علمت بوفاته وسقطت مريضاً وأشرفت على الهلاك، ولكن عندما علمت بأن أكبر أنجال الملك امنحوتب والملكة تي قد جلس على العرش قلت الآن لم يمت امنحوتب " .**[٣]

فقد رأى ملك ميتاني أن كيان بلاده يتوقف على بقاء العلاقات الودية بينه وبين مصر، لذلك أكد للملك المصري من جديد اعتماد بلاده على مصر، وحبه له إذ قال: " إن خاني جلبات ومصر بلد واحد ".

١ – سعد الله (محمد علي)، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .

٢ – فاروق (إسماعيل)، ص ٩٥ – ٩٦ .

٣ – فخري (أحمد)، ص ٨٢ – ٨٥

وكانت الملكة تي على علم بالعلاقات التي كانت بين البلدين، فضلاً عما كان لها من نفوذ على ابنها. ولاشك أن أمنحوتب الرابع (أخناتون) حافظ على علاقة الود بينه وبين ملك ميتاني فعمل على إرسال الهدايا إلى ميتاني، ولكنه من جهة أخرى لم يرسل إليه الذهب الوفير الذي كان يأمل فيه فبدلاً من تمثال الذهب المرصع باللازورد الذي وعد به والده من قبل، أرسل تمثالاً من الخشب المذهب وحسب، مما أدى إلى استياء توشراتا لأنه لم يرسل ما كان أبوه قد جهزه قبل وفاته، فأرسل رسالة يذكره بكرم أبيه امنحوتب الثالث وعمق العلاقات الودية بينهما حيث يرد ذكر في الرسالة EA 27 .[١]

" كان أبوك قد عرض على رسلي كميات كبيرة من الذهب لا حدود لها، إني سوف أرسلها إلى أخي، فانظروا إليها بأعينكم، وقد رآها رسلي بأعينهم حقاً، والآن يا أخي، إنك لم ترسل إلي التماثيل المجسمة التي كان أبوك سيرسلها، بل أرسلت إلي واحداً خشبياً مطلياً، كما لم ترسل إلي الأشياء التي كان أبوك سيرسلها إلي. بل قللت الهدايا كثيراً، الآن ليت أخي يعطيني التماثيل المسبوكة بالذهب، التي كنت قد طلبتها من أبيك وليته لا يمنعها عني، وفي بلاد أخي الذهب تراب فلماذا صارت التماثيل تزعج قلب أخي ولا يعطيها لي كما كان أبوك يعطي لي " .[٢]

ومن ذلك يتضح أن الصلات السياسية بين مصر وجارتها في الشرق الأدنى القديم كانت قائمة على قواعد رصينة، وكانت لغة المراسلات الرسمية هي اللغة الأكادية وكانت تعقد معاهدات صداقة بين مصر وتلك البلاد يؤكدها إرسال الهدايا مع رسل من الجانبين، وعقد أواصر المصاهرات، إذ أن ملوك بابل وآشور وميتاني كانوا على حدود أملاك مصر في سورية، ففضل المصريون أن يكونوا على صفاء معهم .[٣]

١ – حسن (سليم)، جـ ٥ ، ص ٣٦٦ – ٣٦٧ .

٢ – فاروق (إسماعيل)، ص ١٨٨ – ١٨٩ .

٣ – فخري (أحمد)، ص ٨٢ – ٨٥ .

ثانياً نتائج سياسة أمنحوتب الرابع (أخناتون) على العلاقات مع بلاد الرافدين

١-الآثار الدينية

لم يلقَ الإصلاح الديني صدىً كبيراً في البلاد. ولم يستطع الملك تحطيم قوة الأمراء والكهنة المعتمدين على استغلال التقاليد القديمة على مدى القرون، رغم أنه ناضل بثبات من أجل تحقيق هدفه ، فكانت النتيجة المباشرة لكل ذلك هي إعادة عبادة آمون والآلهة القديمة، حيث عمل خلفاؤه من بعده على البحث عن حل وسط مع كهنة آمون، فنجد خليفته توت عنخ آمون ومن خلال البيان الذي أصدره عن إعادة عبادة الآلهة إيضاحاً شائعاً للحالة الفعلية والدينية لقادة رجال الحكم بعدما اختفى أخناتون، وقد أشار الملك الجديد إلى نفسه في هذا البيان بقوله : " **إنه الحاكم الطيب الذي قام بأعمال عظيمة والد كل الآلهة (يعني آمون) والذي أصلح له كل ما كان مخربا حتى صار آثارا خالدة، ومحيت من أجله الخطيئة في الأرضين وبذلك دامت العدالة بمعنى (ماعت) وجعل الظلم شيئاً تمقته البلاد كما كان الحال في البداية** " ، وهكذا عادت الأمور إلى سيرتها[٢] الأولى، غير أن الخطوة الأولى تمت على يد (حورمحب) الذي قاد حملة رهيبة ضد الآتونية ، وذلك بمساعدة كهنة طيبة[٣]، وبذلك انتصرت العقيدة القديمة على آتون، وكرس هذا الانتصار من خلال استهداف أخناتون وإلهه في صورهما فعمل على اضطهادهم، في كل كتابة ورد فيها اسميهما، وصبت اللعنة على عاصمته التي بقيت طي الكتمان لولا الاكتشافات الأثرية . فتم تخريب العاصمة بالكامل[٤] كي ينسى الناس أنها كانت مبنية أصلا، وانتزع جسد أخناتون من ضريحه، وأعيد دفنه في وادي الملوك قرب مدينة طيبة، ومحي اسم أخناتون من الآثار التذكارية ومن تابوته، وفعل كهنة آمون ذلك كي يتم نسيان روحه وتجرد من الصلوات المعتادة، ومن التقديمات المتعارف عليها[٥] .

---

١ – نعيم (فرح)، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر ، دمشق، ١٩٧٥، ص ٨٤ .

٢ – برستد (جيمس هنري) ، فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٣٣٠ – ٣٣١ .

٣ – مهران (محمد بيومي)، جـ ٥ ، ص ٤٠٤ .

٤ – إيمار (آندريه و جانين ابوابيه)، الشرق واليونان القديمة، ترجمة فريد، ج.داغر، فؤاد، م.أوريحان، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨١، ص ٩٩ .

٥ – دافي (سافيتري)، ص ٢٧٦ .

انتهت الحركة العظيمة بخاتمة لم تكن لتستطيع أن تفر منها، فقد دمر الحقد كل ما كان يذكر، وبعد ذلك بعشرات السنين كان يتجنب ذكر امنحوتب الرابع الذي توارى لوقت طويل، ولم يعد الحديث عنه إلا بذكر لقب مجرم العمارنة [١].

قرر كهنة آمون الفرحون بالنصر أن يمحوا كل أثر من آثار أخناتون إلى الأبد، فأعادوا بناء معابدهم المدمرة، ونظموا حياتهم الدينية من جديد بطقوس عبادتهم القديمة، وأعلنوا اللعنة على أخناتون في كل مكان وصلت سلطتهم إليه، كذلك صاغوا ترتيلة ملؤوها بالحقد والكراهية لأخناتون وإلهه ، فقد كان أنصار آمون ينشدون في ابتهاج : " **الويل لمن يمسك، لقد أسست مدينتك خير تأسيس، ولكن ذلك الذي حاول المساس بك قضي عليه، الخزي لمن يسيء إليك في أي بلد كان، إن شمس من لا يعرفك قد غربت، أما من يعرفك فيضيء، إنّ معبد من مسّك في ظلام وأما الأرض كلها ففي النور**" ، وهكذا عادت عبادة آمون[٣] فأصبح إله السلالة المالكة، واستعاد ووطد سيطرته على مصر وعلى الحكومة، فعرفت عبادته ازدهارا كبيرا لم تعرفه قبل الثورة، وجمع كهنته ثروة طائلة، وتمتعوا بسلطة نافذة، ولم يضع حداً لهذا الازدهار وهذه الثروة وهذه السلطة سوى الفوضى والاحتلال الأجنبي في نهاية المطاف [٤].

حاول حور محب وخلفاؤه من ملوك الأسرة التاسعة عشرة أن يعوضوا آمون بطريقةٍ مبالغ فيها عن الخسائر التي لحقت بآمون ومدينته إبان عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون)، فأقاموا له تلك المباني الضخمة التي لم يستطع أي بلد أو عصر آخر أن يشيد ما يماثلها، وهكذا أدت الأحداث إلى عودة آمون وكهانه إلى سابق عهدهم قبل عصر أمنحوتب الرابع (أخناتون)، بل لقد أصبحوا أقوى مما كانوا في أي وقت مضى [٥].

١ – أدولف (أرمان) ، ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري ، مطبعة الحلبي ، د.ت ، ص ١٤٩.

٢ – دافي (سافيتري)، ص ٢٨٦ .

٣ – أدولف (أرمان)، ص ١٤٩ .

٤ – إيمار (آندريه و جانين ابوابيه)، ص٩٩ .

٥ – مهران (محمد بيومي)، جـ ٥ ، ص ٤٠٥ .

٢–الآثار الاقتصادية

تركت حركة أمنحوتب الرابع (أخناتون) أثرها الواضح في المجال الاقتصادي، فقد أغلق أخناتون بعض المعابد أو حدَّ على الأقل من نشاطها ، وكانت المعابد مركز الحيٰاة الاقتصادية المصرية، فأوقع إغلاقها الفوضى في اقتصاديات الأقاليم المحلية .[٢]

خلّف تحويل عائدات المعابد المختلفة إلى إدارة معبد العمارنة نظاما بالغ المركزية، أدى إلى تفاقم الفوضى الاقتصادية، ولا بد أن مشروع أخناتون الضخم لبناء المعابد في الكرنك أولاً ثم العمارنة ومنف، وفي أماكن أخرى، بالإضافة إلى بناء مدينة أخيتاتون بالكامل ومقابرها الخمسة والعشرين المنحوتة في الصخور، إلى جانب القرابين التي تتسم بالإسراف والمقدمة إلى آتون في معابده قد استنزفت الاقتصاد المصري ، كذلك إدارة القطر أثناء حّكم أمنحوتب الرابع(أخناتون) كانت مهملة تحت إشراف حكام الأقاليم، لذلك اعتراها السوء. وعظمت فيها عوامل الفساد التي تحصل في مثل هذه الظروف، وقد كانت البلاد الشرقية أكثر الأقاليم وقوعاً به، والسبب في ذلك أن الموظفين أمنوا إشراف رؤسائهم الشديد عليهم باستعمال نفوذهم في ابتزاز الأموال من الفقراء ظلما وعدوانا، فانتشرت الرشوة وعمت الخيانة بأنواعها كل أنظمة الحكومة المتباينة ، ولقد تأثرت الإمبراطورية جُراء فقدها مواردها ونتج عنه مصاعب مالية وسياسية، فقد كان كثير من الكهنة المتذمرين يكظمون غيضهم في صدورهم وعملوا على مزج سخطهم بسخط طوائف بأسرها من الباعة وأصحاب الحرف، كالخبازين الذين لم يعودوا يكسبون رزقهم من فطائر الشعائر، وكالصناع الذين لم يعد في مقدورهم بيع تعاويذ الآلهة القديمة عند أبواب المعابد، وكالحفارين الذين أصبح ما صنعوه من تماثيل للإله أوزيريس مكدساً تحت التربة المتراكمة في المعامل، وكصانعي شواهد القبور المزخرفة الزاهية المنقولة من كتاب الموتى، وكرجال الكهان المسرحيين والممثلين الذين صاروا يطردون من تلك الأماكن المقدسة في الأيام التي اعتادوا فيها أن يمثلوا المأساة الأوزيرية .[٥]

---

١ – غريمال (نيقولا)، ص ٢٩٣ .

٢ – مهران (محمد بيومي)، جـ ٥ ، ص ٤٠٢ .

٣ – نايوفيتس (سميسون)، ص ٢٢٥.

٤ – برستد (جيمس هنري)، ٢٧٠ .

٥ – برستد (جيمس هنري)، ص ٣٢٨ .

٣–الآثار الفنية

كان أمنحوتب الرابع (أخناتون) يملك حساً فنياً رفيعاً فعند ارتقائه العرش جمع حوله ذوي الميول الفنية من الفنانين الصغار أو الأقل خبرة. وبهذه الطريقة زودت الحركة الفنية الجديدة بما تحتاج إليه من تشجيع ومن فرص النمو والتعبير عن الذات ، لم يحدث كما حدث في[١] عصر أمنحوتب الرابع (أخناتون) من تغيير في كل المظاهر الحضارية، فلم تنصب التغييرات فقط على المعتقدات الدينية، بل تعدتها إلى الأسلوب والقواعد الفنية التي ترسبت في تقاليد شعب عريق مثل الشعب المصري، كما لم يحدث قط أن استطاع إنسان التأثير على القواعد الأساسية للفن دون أن يكون هو نفسه فناناً، بمثل ما أثر أمنحوتب الرابع (اخناتون) على الفن المصري. إذ أحدثت ثورته تغيراً في فنون العمارة والنحت والتصوير، فقد كسر جمود القواعد الصارمة التي ظلت تحكم الفن المصري القديم، ووضع محلها ابتكارات جديدة تعبر عن الاتجاهات الواقعية، والرؤية الفنية التي تمجد فكرة "الحياة الحقيقية" وهي جوهر الفلسفة الآتونية ، فلم يكن الانقلاب الذي أحدثه أمنحوتب الرابع (أخناتون) قاصراً على إحياء عقيدة التوحيد باسم آتون، وإنما تخطت حركته كل القواعد فأحدثت انقلاباً عظيماً في الفن المصري أيضاً، لأن الفن كان جزءاً من منهاجه، وخرج الفنانون على تقاليد القديم الموروثة منذ زمن .

دراسة فن العمارنة يجب أن تسبقها محاولة لفهم العناصر الحقيقية التي أثرت في أسلوبها وهي العناصر التي تستطيع أن نجملها في النقاط الثلاثة الآتية، أسلوب الحياة المستمد من الحقيقة البحتة. التعبير بخطوط لينة متناسقة تكسب الصورة جمالاً وطراوة، وإصرار الفنان على إدخال عنصر المشاعر على صورته . تركت " الآتونية " في الفنون والآداب بصمات أكثر عمقاً، واستمر تأثيرها إلى حد ما مدة أطول. ففي مجال الأدب لم تحدث تغييرات جذرية إذ تعليم الفنون الأدبية التقليدية بقي كما هو، ولكن الديانة الجديدة سمحت بانتشار متزايد من روح الحرية التي عمت الأعمال المعاصرة وبرزت على وجه الخصوص في مجال الشعر كالأناشيد والترانيم الإلهية والملكية .[٥] فحاولوا أن يخلصوها من ركام التقاليد وقيود التراث القديم، التي لا تلائم دعوة التحرر والاعتراف بالواقع، فتخلصوا

---

١ – شتيندورف (ك . سيل)، ص ٢١٤

٢ – السويفي (مختار)، ص ٢١٤

٣ – حسن (سليم)، جـ ٥ ، ص ٣٢٨ .

٤ – أبو بكر (عبد المنعم)، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

٥ – غريمال (نيقولا)، ص ٢٩٣ .

من أساليب الأدب القديمة، وغلبوا عليه لغة الحديث المقبولة .أما فن النحت فقد اتخذ من قانون الصدق في التعبير الذي يعبّر عنه بالفن التأثيري الواقعي الذي يراعي فيه أن يصدر عن الحقيقة بدرجة فائقة عن الحد، فالفنان يصور الأشخاص كما يراهم بالعين المجردة أي إخراج الصورة الآدمية بمعناها الصحيح مجرده من كل قيد. فتعبر الصورة أو التمثال عن كيان الشخص وشخصيته، كذلك التعبير عن الحركة وخاصة في الصور من واقع الطبيعة الحية، وحركتها الدائمة التي تعبر عن الحياة [1]، إنّ الفن الآتوني في عهد[2] أخناتون يمثل الحقيقة التي عاش فيها الملك، فتماثيله الموجودة في المتحف المصري تظهر (الماعت) (أي الحقيقة) بطريقة مبالغ فيها، فهي تظهر الملك بجسده الضعيف ووجهه النحيل ذي التقاطيع الرقيقة وعينيه المتأملتين وفخذيه المتكورتين، بمعنى آخر تظهر الملك بشكله الذي يمثله في الواقع وليس بذلك الإطار الذي يظهر الفرد في أحسن صورة، وهو الفن الذي كان متبعاً قبل عهده . لذلك مثَّل أخناتون ونفرتيتي[3] والأميرات ورجال البلاط لا كما يجب أن يكونوا في الاحتفالات العظيمة ملزمين بارتداء الملابس الرسمية التقليدية، بل مثلوا كما يعيشون بطبيعتهم، مما جعلنا نراهم في مواقف وأوضاع طبيعية ليس فيها من جلال الملك وتقاليده شيء، فيشاهد "أخناتون" وهو يداعب أطفاله ، ولم يسمح أي ملك آخر[4] قبل أمنحوتب الرابع (أخناتون) بتسجيل هذا القدر من صور الحياة العائلية داخل بيته . وأعجب الثمرات التي أنتجها[5] لنا فن العمارنة الرؤوس التي تمثل الصور الآدمية والتماثيل الصغيرة لهذا العصر، وهي في معظمها للأسرة المالكة، منها عدد كبير لأخناتون نفسه، ومعظمها مصنوع من الحجر الجيري الأبيض، وهناك تماثيل صغيرة لنفرتيتي وبناتها، وصور لبعض رجال البلاط، من بينها رأسان للكاهن آى ولزوجته تي، علما بأن أعجب قطعتين في كل هذه المجموعة هما الرأسان اللذان يمثلان نفرتيتي أحدهما من الحجر الجيري الملون وله شهرة واسعة، ويعترف الجميع بأنها من أروع الأمثلة في العالم، وإنها لجديرة بتلك الشهرة التي نالتها، ولا بد أن نفرتيتي كانت تفوق نساء عصرها جمالا ورشاقة، وهذا التمثال النصفي للملكة

١ – صالح (عبد العزيز)، ص ١١٢ .
٢ – كريم (سيد)، ص٢٥ – ٢٦
٣ – أديب (سمير)، ص ١٨٢ .
٤ – كريم (سيد)، ص ٢٦ .
٥ – سامسون (جوليا)، نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد، ط٢، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، ص ٦٠ .

[١]

نفرتيتي قطعة أخرى في دقة التصوير ورشاقة ملامحه التي تدل على التفكير . وهو من الأعمال الفنية النادرة التي تتضمن من عناصر وأسباب التأثير الجمالي مالا تتضمنه التحف الفنية الأخرى المعروفة في تاريخ الفن الإنساني القديم منه والحديث، فالتوازن الدقيق بين رأس الملكة وتاجها ورقبتها وكتفها، والتأثير الفني الغامر الذي يشع ويفيض من التمثال عملا من الأعمال الفنية المعبرة، بل الناطقة بوصف الملكة صاحبة التمثال، بل ويكاد يجعلنا نظن أن الملكة مازالت حيَّة وتوشك أن تتحرك أو تلتفت يمنة أو يسرة ، وفي كثير من الأحيان يمكّن القول بأن العمارنة جعلت الفن فناً، فرغم كل تقاليدها وقواعدها فقد حطمت المفهوم المصري القديم القائل بأنه لا بد للفن باستمرار أن يصور جوهراً أضفى عليه طابع الكمال، وليس الواقع بما فيه من قبح وجمال، وربما كانت تلك هي المرة الأولى التي يطلق فيها الفنان بعض الشيء للعاطفة والشعور الفردي، والتأويل بدل من الالتزامات الجماعية، ولم يكن للصورة والفنانين تلك الأبعاد من قبل، وإن ما ندعوه الآن فناً جُعِل فناً لأول مرة في عصر العمارنة ، وهكذا كان للفنون في عهّد أمنحوتب الرابع (أخناتون) من الصفات المميزة ما تختلف به عنها في العهود السابقة، وإذا كان لها ما ينم عنها في عهد أمنحوتب الثالث فهي لم تبلغ غاياتها إلا في عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون)، وليس هناك من شك في أن أخناتون قد دفع فنانيه إلى تمثيله على النحو البادي في صوره وتماثيله، بما كان يشيد به حبه للحقيقة، وكما كان الفن القديم يتحفظ بالأوضاع والموضوعات الموروثة، في خدمة العقائد القديمة، كان لابد للدعوة الدينية الجديدة من فن جديد يحقق أغراضها ويتمشى مع مبادئها، ويؤثر الصدق والصراحة، ويشيد بمظاهر الطبيعة . وبانتهاء عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون) أفل نجم الثورة العامة التي سادت الدين والفن، وبدأت فلول فلسفة ومبادئ تلك الثورة تتوارى وتتلاشى أمام هجمة رجعية مضادة، عملت حثيثاً على عودة الفن المصري إلى قواعده الكلاسيكية التقليدية المثالية .[٥]

١ – حسن (سليم)، جـ ٥، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .
٢ – سامسون (جوليا)، ص ٣٦ – ٣٧ .
٣ – نايوفيتس (سميسون)، ص ٢٠٧ .
٤ – زرقاني (إبراهيم)، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، د. ت ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ .
٥ – وليم . هـ .. بيك، فن الرسم عند قدماء المصريين، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ٢٨ .

٤– الآثار السياسية

تولى أمنحوتب الرابع (أخناتون) الحكم في وقت كانت مصر فيه بأمس الحاجة إلى حاكم قوي يستطيع أن يخرج إلى أطراف دولته لطمأنه الموالين له، والحد من أطماع خاتي وآشور الذين حرضوا حكام الولايات للعمل لصالحهم ، حيث أخذت مناطق النفوذ المصرية في سورية تزداد سوءاً وخاصة لأن الحثيين كانوا قد كونوا مملكة قوية عملت على ضم الولايات السورية إلى ممتلكاتها ونجحت في إخضاعها لسلطانها الواحدة تلو الأخرى، كما أن مدناً في فينيقيا وفلسطين بدأت تستقل عن مصر ونشبت الحروب والمنازعات فيما بينها ولم يبقَ على الولاء لمصر إلا بعض الولايات الضعيفة التي أخذت تستنجد بالملك وأرسلت له عديداً من الرسائل ليعمل على حمايتها [٢] ، ولم يكن أمنحوتب الرابع (أخناتون) هو المسؤول الرئيسي عن سوء الأوضاع في الشرق الأدنى فقد بدأ الخلل منذ أيام امنحوتب الثالث حيث تشير رسائل العمارنة عن بداية المتاعب التي ثارت في وجه مصر في نهاية عهده، وفي رسالة من حاكم قطنا يستنجد بالملك لأن المناطق الموجودة حول دمشق قد تمردت بسبب العناصر الأمورية وذلك بتحريض من الحثيين ، لكن موت امنحوتب الثالث[٣] كان مؤذنا بتغيير أمورٍ كان لا بد لها أن تتغير، وكانت الإمبراطورية المصرية هشة لا تستطيع أن تقاوم تيار الحوادث، ومهما كان حكم المصريين على سورية ونهارينا هيناً رقيقاً، فإنه كان نيراً على رقاب موالي مصر، ويسعون إلى التخفيف منه، وكانوا قد تطلعوا إلى تلك الفرصة التي طالما ترقبوا وطمعوا في انتهازها، وكان كل شيء يتوقف على مدى ما يستطيع ملك مصر أن يكونه، فإن كان من طراز تحوتمس الثالث فقد ضمن تفوقاً وسيطرة على العالم . ولكن امنحوتب الرابع لم يُكن ذلك الحاكم القوي، فقد كان ملكاً خيالياً فيلسوفاً، لا يهوى الحروب، و لكننا في الوقت نفسه لا يمكننا أن ننكر بأن امنحوتب الرابع كان شجاعاً في بعض الأمور، كإقدامه على الإصلاح من خلال حركته الدينية، ولكن إن نظرنا إليه من زاوية أخرى، فنجد أن عظمته كانت لسوء الحظ من لون غير الذي كانت ترتجيه منه كخليفة لأبيه، في ظل هذه الظروف التي كانت تمر بها مصر، فبدلاً من أن يحشد الملك الجديد الجيوش ويرسلها إلى

١ – سعد الله (محمد علي)، ص ٢٦٧ .
٢ – عصفور (محمد أبو المحاسن)، ص ١٨١ .
٣ – سعد الله (محمد علي)، ص ٢٦٧ .
٤ – ابراهيم (نجيب ميخائيل)، جـ ١ ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

الولايات التي كانت في أشد الحاجة إليها، انغمس في الأمور الدينية والفلسفية، معتقداً أن دعوته يمكن أن تربط بين مصر وجيرانها بروابط وثيقة أوثق من كل ما جربه أسلافه من روابط القوة والسياسة [١].

كان على رأس الطامعين في السيطرة على مناطق النفوذ المصرية في سورية ونهارينا الملك الحثي شوبيلوليوما، فرغم أنه حاول إظهار بعض مظاهر الود والصداقة مع أخناتون من خلال بعض الرسائل التي أرسلها له لعقد صلات بين البلدين فإن أخناتون لم يبدِ أية ردةِ فعل حيال ذلك، ولا غرابة في ذلك فقد كان أخناتون على يقين من أن الحثيين أعداؤه الألداء هم أقوى من الإمبراطورية المصرية على حدود سوريا الشمالية، ولا يحتمل أن يكون أخناتون قادراً على مقاومة التيار الحثي الشديد المتدفق لبلاد سورية من آسيا الصغرى ، وقد أثبت الواقع صحة مخاوف أخناتون، ذلك لأن ملك خاتي كان يحرض أمراء وسط سوريا وشمالها لزعزعة النفوذ المصري، وتحققت أغراضه عندما استجاب له "ايتوجاما" أمير قادش الذي بسط نفوذه على سهل سورية الشمالي وهزم الأمراء التابعين لمصر، أما مناطق وسط سوريا وشرقها، فإنّ أمراءها انقسموا إلى قسمين منهم من بقي على ولائه لمصر، وآخرين استفادوا من الصراع بين القوى وظلوا مستقلي الرأي. ومن النوع الأول رب عدي أمير جبيل الذي كان يشرف على منطقة تمتد من الساحل إلى الداخل حول ميناء جبيل، ولقد ظل يرسل توسلاته المستمرة والتي بلغ عددها نحو سبعة وستين أو ثمانية وستين رسالة إلى الملك امنحوتب الثالث وابنه أمنحوتب الرابع (أخناتون)، يطلب فيها العون ضد "عبدى عشرتا" ، الذي كان حاكماً على أمورو[٣]، ويشرف على جزء كبير من حوض العاصي، واتبع سياسة بسط النفوذ على حساب جيرانه، في الوقت الذي تفيض رسائله إلى الملك نفاقاً وتملقاً، فلا يتأثر الملك بما يسمعه عنه. وعندما خلف "عزيرو" أباه "عبد عشرتا" فإنه اتبع سياسة والده نفسها، بإرسال الرسائل إلى أمنحوتب الرابع (أخناتون) مليئة بعبارات الود والولاء مدعياً أنه يستولي على المدن ليحميها من الحثيين وأنه يخرب بعضها حتى لا يستفيدوا منها ، لقد كان عزيرو محنكاً في تصرفاته الدبلوماسية، لذلك عرف كيف يرضي الجانبين الحثي والمصري، وكيف يستفيد من توسيع رقعة مملكته على حساب الممالك الأخرى. لذلك عمل على توحيد مناطق سورية في دولة واحدة قوية قادرة على أن تقف على قدم مساواة مع المملكتين القويتين المتصارعتين

١ – برستد (جيمس هنري)، ص ٢٣٥ .

٢ – المرجع نفسه ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

٣– سعد الله (محمد علي)، ص ٢٦٨ .

٤ – ترايفور (برايس)، ص ٢٥٤ .

الإمبراطورية المصرية في الجنوب والحثية في الشمال ، ومن أجل انتزاع مدن سورية الموالية لمصر كان عليه الانضمام إلى حليف قوي يكون إلى جانبه، فعمل على التقرب من الحثيين والتعاون معهم. ووجد حليفاً آخر له هو " ايتوجاما " ملك قادش [٢].

هاجم عزيرو بالاتفاق مع الحثيين مدن ساحل السوري مبتدئاً بمدينة "نيا"* فاحتلها وقتل ملكها. وخاف سكان مدينة "تونيب" فسارع مجلس شيوخها للانعقاد وقرروا طلب النجدة من الملك المصري أمنحوتب الرابع (أخناتون) ضد عزيرو وأرسلوا الوفود إلى بلاط الملك وزودوهم بالرسائل، التي طلبوا فيها النجدة لإنقاذ المدينة ، وقد تم ذكر ذلك في رسالة[٣] العمارنة EA 59 .

" إلى سيدنا ملك مصر، يتكلم عبيدك سكان تونيب، علك بخير نلقي أنفسنا على قدميك. سيدنا، تتكلم تونيب عبدتك من هو الذي تجرأ فيما مضى على تدميرها ؟ دون أن يهب ماناخبيرا لتحطيمه. أننا نحن أيضاً أتباع ملك والآن أرسلنا طوال عشرين عاما إلى سيدنا الملك ووفودنا تجلس عند سيدنا الملك والآن نرجو سيدنا الملك بأن يرسل ابن اكي – تيشوب فليتفضل سيدنا الملك بإرساله.

آه يا سيدنا، لقد استرجع ملك مصر ابن اكي – تيشوب، فلماذا استرجعه الملك وهو في الطريق؟ والآن سيعلم عزيرو وضع عبيدك اليائسين في البلاد الحثية واذا استرجع (ملك مصر) اتباعه وعرباته فسيفعل عزيرو بنا، كما فعل بمدينة ني، واذا كنا نشكو أمرنا، فسيكون هناك (أيضا) ما يدفعه للشكوى بسبب الأفعال التي سيقوم بها عزيرو معنا، لأنه سينهض ضد سيدنا ".

واذا احتل عزيرو سومو (سميرا)، عندها سيفعل عزيرو بنا كما يحلو له في دار سيدنا، الملك، ولذلك يجد نفسه مضطرا للشكوى [٤].

"والآن تذرف تونيب، مدينتك الدموع. وتنهار دموعها، ولا من مساعدة لنا. وبعثنا رسائل طوال عشرين عاماً إلى الملك، سيدنا ملك مصر، دون أن تصلنا من سيدنا كلمة واحدة، ولا كلمة واحدة" [٥].

---

١ – سليمان (توفيق)، ص ٣٧١ .

٢ – ترايفور (برايس)، ص ٢٦٤ .

*– نيا : نشأت في منطقة سهل الغاب (وادي العاصي)، مركزها موقع قلعة المضيق، انظر : فاروق (إسماعيل)، ص ٥٤ .

٣ – سليمان (توفيق)، ص ٣٧١ .

٤ – المرجع نفسه، ص ٣٧٢ .

٥ – ترايفور (برايس)، ص ٢٦٢ .

كان أهل تونيب محقين في قلقهم ذلك لأن عزيرو صمم على احتلالها، وعلم كذلك ملك جبيل بأمر عزيرو، وأرسل يطلب النجدة من الملك في رسائل متتابعة ضد عزيرو ولكنه انتظر وصول المساعدة دون جدوى. وكل ما فعله الملك بأن أرسل الوفود لتقصي الحقائق في المدينة بدلاً من أن يقود جيشه بنفسه، لكن عزيرو لم يهتم بالوفود، واستمر يحتل الجزء بعد الآخر من أراضي الممالك الموالية للملك المصري. لكنه لا يهمل توطيد العلاقة مع الملك فيسارع بدوره أيضاً إلى إرسال الرسائل إلى الملك المصري يدعي براءته مما ينسب إليه وأن ما كتبه بعض أمراء سورية ليس إلا بدافع الوشاية والحقد عليه، لأنه وحده المخلص للملك ولا علاقة له بكل ما يحدث في سورية [١]، ويقول عزيرو رسالته EA : 159

"إلى الملك الكبير، سيدي، إلهي، شمسي، يتكلم عبدك عزيرو : سبع مرات في سبع مرات استلقي على قدميك، سيدي، إلهي، شمسي. يا سيدي أنا عبدك، وعندما سأذهب إلى حضرة الملك، سيدي، سأنطق بجميع كلماتي أمام سيدي، أيها السيد لا تسمع للأعداء، إذ لا هم لهم إلا الوشاية بي في حضرة الملك، أنا عبدك إلى الأبد " [٢] .

هدأت هذه الرسالة من الملك بدليل أنه لم يتخذ أي إجراء ضد عزيرو بالرغم من أن كل الدلائل تؤكد صدق ما جاء في رسائل تونيب وبعدها رسائل ملك جبيل، وبعد ذلك أصبح عزيرو هو الموجه الفعلي لأمراء النصف الشمالي من سورية، لذلك كان هؤلاء يظهرون الولاء لملك مصر أثناء وجود القوات والوفود المصرية في سورية وكانت هذه الوفود والقوات التي يحسن عزيرو استقبالها تقتنع بالحجج التي يتذرع بها، ثم تقنع هي بدورها الملك بذلك، لكن الحقيقة كانت عكس ذلك إذ لم تكد الوفود والقوات تعود إلى مصر، حتى يتابع عزيرو تنفيذ خططه وطموحاته من جديد [٣]، ونتيجة ذلك تمكن من بسط نفوذه على حساب جيرانه فاحتل عرقه وقطنه في الداخل [٤]، توالت الرسائل على أمنحُوتب الرابع (أخناتون) شاكية "عزيرو" وسياسته الرامية إلى تقويض نفوذ مصر وممتلكاتها، ومن ضمن هذه الرسائل، رسالة "رب عدي" أمير جبيل المخلص لمصر الذي أرسل رسالة إلى الملك يتساءل كيف ينفذ تعليماته ويحمي نفسه ويحمي مدينة الملك ويتحسر على الماضي حيث كانت مصر ترسل حملاتها لتأديب العصاة والملك نفسه يقود هذه الحملات، ويحذر الملك من هجوم "عزيرو" على أراضيه أكثر

---

١ – سليمان (توفيق)، ص ٣٧٣ .

2 - Samuel A. B . Mercer , op . cit , P 513 – 515 .

٣ – سليمان (توفيق)، ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .

٤ - أديب (سمير)، ص ١٩٦ .

من مرة مما أدى إلى أن يهجر المزارعون أراضيهم، وحاول عزيرو أن يستميله إليه مثلما فعل مع غيره ، حيث ذكر في رسالة أرسلها إلى أمنحوتب الرابع (أخناتون) " **أحتل عزيرو كل مدني لم يعد تحت سيطرتي إلا جوبلا لا تنسى خادمك المخلص إذا قدم بقواته إلى جوبلا سيستولون عليها، وبالفعل حرض عزيرو كل المدن حتى يستولي عليها فأين أنا من كل ذلك** " .[٢]

كان عزيرو قادراً على أن يحيط القوات المصرية بالتشويش والفوضى، لدرجة لم تعد معها قادرة على معرفة الموالين للملك من غير الموالين له من أمراء سورية. والدليل أن القوات التي أرسلها حاكم مصر في جبال الجليل بقيادة المدعو "بيخو" لنجدة ملك جبيل، ذهبت جهودها سدى، وجلبت الدمار على ملك جبيل، وذلك عندما قامت بالقضاء على ما تبقى من فرق الجيش لملك جبيل لأنها لم تتمكن من معرفة الأعداء الحقيقيين لملك جبيل والملك المصري وبين الموالين لهما .[٣]

تابع عزيرو زحفه نحو الجنوب وحاصر جبيل لمدة ثلاثة أعوام فصمد ملكها وأهلها هذه المدة ونفذ صبر أهاليها وانهارت مقاومتهم ونهضوا ضد رب عدى، الذي هرب إلى بيروت وانتظر وصول المساعدة من الملك ثم عاد إلى جبيل، وحاول أن يدخلها ولكنه فشل في ذلك لأن أخاه (إيلى رابح) اغتنم فرصة هربه إلى بيروت واستولى على السلطة وسلم أطفاله إلى عزيرو ،[٤] وبعد ان احتل عزيرو مدينة جبيل زحف جنوباً إلى بيروت غير أن رب عدى استطاع أن يعود ثانية إلى جبيل وأن يستعيد سلطته لفترة من الزمن دون مساعدة من ملك مصر، بدليل أنه عاد وطلب المساعدة من جديد من الملك المصري، لكنه انتظر المساعدة دون جدوى. وطلبت منه أسرته شق عصا الطاعة على الملك والانضمام إلى عزيرو، لكنه رفض وأصر على طلب المساعدة[٥] ، وقد ذكر ذلك في إحدى رسائله للملك EA 136 : "**شعب جوبلا، وأهل بيتي، وزوجتي، يكررون على الدوام : "انضم إلى ابن عبدى عشيرتا ودعنا نعش في سلام، إلا أنني رفضت ذلك ولم أعرهم انتباهاً** " ،[٦] لكن عزيرو والحثيين عادوا وهاجموا جبيل من جديد وعندها اختار رب – عدى الموت على الانضمام إلى عزيرو، وبمقتله

١ – سعد الله (محمد علي)، ص ٢٦٩.
٢ – ترايفور (برايس)، ص ٢٦٤ .
٣ – سليمان (توفيق)، ص ٣٧٥ – ٣٧٦ .
٤ – ترايفور (برايس)، ص ٢٦٥ .
٥ – سليمان (توفيق)، ص ٣٧٦ .
6 - Samuel A. B . Mercer , op. cit , P 449

انتهى وجود آخر أمير في النصف الشمالي من سورية مؤيد للملك، وبذلك انفصل جزء النصف الشمالي من بلاد الشام عن السلطة المصرية .[1]

استطاع عزيرو أن يستميل أمير صيدا واستولى على أولازا وأرداتا (قرب زغرتا) وظل يرسل خطاباته المخادعة إلى أمنحوتب الرابع (أخناتون) يظهر له ولاءه فيها، ويدعي أنه استولى على المدن ليحميها من الحثيين، وأنه يخرب بعضها حتى لا يستفيدوا منها .[2]

أما إلى الجنوب في فلسطين لم يكن الموقف أفضل من ذلك فقد انتهزوا فرصة الضعف المصري لنيل الاستقلال أو لتوسيع ممتلكاتهم الخاصة، فتعرضت المنطقة لاضطرابات من أحد الأمراء وهو "لابايا"حاكم "سيشم" الذي تعاون مع الخابيرو وسمح لهم بالدخول إلى مدينته وصاروا مصدر إزعاج على غيرهم من الولاة المتمسكين بالولاء لمصر ، أمثال "عبدي خيبا" أمير القدس لكن لابايا كتب إلى أمنحوتب الرابع (أخناتون) يتنصل من كل ما نسب إليه، والملك لم يصدقه فأرسل حملة بقيادة "بنخام" لضرب العصاة، ولم يستطع بنخام أن يقبض على لابايا، الذي اغتيل أثناء فراره وتولى من بعده ابنه الذي سار على نهج والده في النفاق على الملك مما جعل "عبدى خيبا" أمير القدس في احدى رسائله يكتب إلى أمنحوتب الرابع (أخناتون) متسائلاً عن عدم إرسال القوات لتأديب العصاة في أملاكه ، حيث ذكر في إحدى رسائله EA 290 " **كل أراضي الملك قد انفصلت .. الخابيرو ينهبون كل أراضي الملك، إذا لم تأت القوات في هذه السنة بالذات فإن كل أراضي الملك سوف تضيع** " ، وهكذا اضطربت أمور فلسطين أمام عيني الملك الذي أدرك الخطر المحدق بالإمبراطورية واستجاب لنداءات ولاته المخلصين فأرسل إلى فلسطين أكثر من نجدة غير أن هذه النجدات لم تحسم الموقف، فكانت الاضطرابات سرعان ما تتجدد مرة أخرى بعد عودة الحامية المصرية ويبدأ الولاة التابعون لمصر بالشكوى من الخابيرو، وبالرغم من ذلك فإن الانهيار في فلسطين لم يكن تاماً كما كان في سوريا الشمالية، بل إن نفوذ مصر في فلسطين ظل باقياً أيام أمنحوتب الرابع (أخناتون) في أجزاء كثيرة من فلسطين .[6]

---

١ – سليمان (توفيق)، ص ٣٧٧ .

٢ – صالح (عبد العزيز)، جـ ١، ص ٣٢٤ .

٣ – سعد الله (محمد علي)، ص ٢٧٠ .

٤ – أديب (سمير)، ص ١٣٦.

5 - Samuel A. B . Mercer , op. cit , P 725.

٦ – صالح (عبد العزيز)، ص 324.

وعلى الرغم من أن عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون) يوصف بالاتجاهات السلمية والتهوين في الأنشطة العسكرية، لكن رسائل العمارنة تثبت وجود بعض الوحدات والبعثات العسكرية في مناطق مختلفة في بعض الأقاليم الآسيوية. كذلك أثبتت المدونات المصرية أن عملية تجنيد الجنود وتكوين الوحدات العسكرية لم تنقطع واستمرت قائمة في معظم الأقاليم المصرية، ومنها الوجود العسكري المكثف بالأقاليم السورية، يتبين لنا عدم صحة الرأي الذي يقول به البعض، من أن أمنحوتب الرابع (أخناتون) وضباطه العسكريين قد أقلعوا عن التفكير في شؤون الأقاليم التابعة للإمبراطورية المصرية، ولكن الحقيقة أن أمنحوتب الرابع (أخناتون) قد انهمك بالفعل في نشر دعوته وتدعيم عقيدة "التوحيد" التي آمن بها، وقد استغرق ذلك كل جهده الفكري، بحيث لم يتبين حقيقة التغييرات الخطيرة التي حدثت بمنطقة الشرق الأدنى القديم في أثناء عصره، فقد ظهرت إلى الوجود إمبراطورية الحثيين على حدود المناطق المتاخمة للأقاليم الآسيوية التابعة للإمبراطورية ، بالإضافة إلى ذلك فقد كان[1] أمنحوتب الرابع (أخناتون) قد أحيط به مجموعة من رجال حاشيته غير المصريين الذين خدعوه عن حقيقة مجريات الأمور في الخارج، وتواطؤوا مع مخادعيه فيها وكان منهم رجل يدعي توتو*، راسله عزيرو ذات مرة قائلاً له EA 164: " **لا أستطيع أن أنحرف عن كلمات سيدي وربي وشمسي، ولا أحيد عن كلمات سيدي توتو ....، فأنا أخشى مولاي الملك وأخاف توتو** ... " وتوفي أمنحوتب الرابع (أخناتون) وظلت سياسة مصر ضعيفة متدهورة في عهد خلفاء أخناتون الأقربين سمنخ كارع وتوت عنخ آمون وآى ولم يجد جديد إلا في عهد حور محب .[2]

---

١ – قدري (أحمد)، ص ١٥٠.

*– توتو : موظف مهم لدى البلاط الملكي المصري، وربما كان مسؤولاً عن المراسلات مع بلاد أمورو، انظر : فاروق (إسماعيل) ، ص ٤٢٨.

٢ – صالح (عبد العزيز)، جـ ١، ص ٣٢٥ .

الفصل الرابع

العلاقات المصرية الرافدية بين عامي ١٣٧٠ – ١٢٠٠ ق.م

أولاً سقوط الدولة الحورية – الميتانية

ثانياً قيام الدولة الآشورية الوسطى

ثالثاً الصراع الحثي المصري

رابعاً أثر التحالف الحثي المصري على العلاقات مع بلاد الرافدين

خامساً غزو شعوب البحر ونهاية الدولة الحثية

الفصل الرابع العلاقات المصرية الرفدية بين عامي ١٣٧٠ – ١٢٠٠ ق.م

أولاً سقوط الدولة الحورية – الميتانية

استمرت العلاقات الطيبة التي ربطت ميتاني ومصر لفترة طويلة مستمرة حتى عهد امنحوتب الثالث، لكن ما أن توفي خلفه ابنه امنحوتب الرابع (أخناتون) الذي ساءت في عهده العلاقات بين ميتاني ومصر، وانعكس ذلك في عدم استقرار ما كان يمثل حسن العلاقات، ويعبر عن صلة القربى، فانتهى إرسال الذهب المصري، وتوقف المبعوثون وأبعد المندوبون الخاصون في الجانبين، حتى وصلت الأمور إلى انقطاع العلاقات تماماً[1] ، ويرجّح السبب في ذلك لضعف موقف الحوريين أمام الحثيين الذين كانت قوتهم في تصاعد مستمر، يضاف إلى ذلك أن امنحوتب الرابع كان منشغلاً بالإصلاح الديني في مصر وبفكرة الإله الواحد ، وفي هذا الوقت تمكن شوبيلوليوما[2] من تثبيت دعائم السلطة لصالحه وحاول الاستفادة من الصراع القائم على السلطة في مملكة ميتاني، فعمل على تطويق ميتاني استراتيجياً عن طريق جعل كيزوواتنا تحت سيطرته. كما عقد تحالفاً مع أرتاتاما الثاني الذي كان يدعي حق الوراثة، و حظي أرتاتاما بدعم من آشور ساعده على إعلان استقلاله عن توشراتا[3] .

صادف تردي أوضاع الميتانيين ظهور ملك قوي هو "آشور – أوباليط الأول" في بلاد آشور الذي لم يقتصر دهاؤه على تخليص بلاده من النفوذ الميتاني، بل إنه أسهم في إسقاط تلك الدولة وإزالتها من الوجود، منتهزا الأوضاع الدولية، ومستخدماً علاقاته المزدوجة مع المملكتين المتعاديتين، مصر وبلاد الحثيين[4] ، كما تمكنت آشور في عهده من الخلاص من التبعية لمملكة ميتاني، ويتضح ذلك من خلال رسالة الملك الآشوري أشور أوباليط إلى الملك المصري امنحوتب الرابع وفيها يضع نفسه في مرتبة مساوية لملك ميتاني، ويعاتبه على قلة الذهب الذي يرسله إليه، بخلاف ما كان في زمن أبيه، وورد ذكر ذلك ضمن رسائل العمارنة EA16

" قل لنبخوريا، ملك بلاد مصر، أخي : هكذا يقول آشور أوباليط ملك بلاد آشور، أخوك : ليت الوضع يكون بخير لديك، لدى أهلك بيتك، وبلادك.

---

١ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٧٣ .

٢ – مرعي وفرزات (عيد و محمد حرب)، ص ١٦٩ .

3 - Nigel stillman and nigel tallis, op . cit , p 24 .

٤ – باقر (طه)، جـ ١، ص ٥٣٥ – ٥٣٦ .

لقد ابتهجت جداً، عندما رأيت رسلك سيقيمون عندي، ويكونون موضع اهتمام. أهكذا تكون هدية ملك عظيم ؟ الذهب في بلادك تراب، هو يجمعه جمعاً. لماذا تبخل به؟ لقد تعهدت أن ابني قصراً جديداً، فأرسل إلي ذهباً بقدر ما يلزم لتزيينه ولاحتياجاته. عندما كتب – آشور نادن أخي – أبي إلى بلاد مصر، أرسلوا له عشرين حملاً من الذهب. عندما كتب ملك خاني جلبات إلى أبيك، إلى بلاد مصر أرسلوا له عشرين حملاً من الذهب. أنا مساوٍ لملك خاني جلبات، وترسل لي فقط ....من الذهب؟ وهو لا يكفي لنفقات ذهاب وعودة رسلي. إن كان هدفك تحقيق صداقة حسنة، فأرسل إلي ذهباً كثيراً، وهذا بيتك فاكتب إلي عما تحتاج إليه، ليأخذوه إليك" ، وقد رحب امنحوتب الرابع[1] بخلاص آشور من التبعية لميتاني، ربما لأن علاقاته مع ميتاني أصابها بعض البرود.

شكلت آشور مع المناطق الواقعة شمال ميتاني جبهة شمالية – شرقية بالتحالف مع بلاد ألشِ الواقعة شمال ميتاني ضد مملكة توشراتا، وتحالفت هذه الجبهة مع الملك الحثي شوبيلوليوما، عبر شوبيلوليوما بجيشه الفرات وتوجه نحو الغرب واحتل إشوا وجميع المناطق التابعة لميتاني ما بين الفرات والبحر المتوسط ومعها مدينة كركميش، وبعد ذلك تابع الزحف نحو الجنوب حتى لبنان، وبسبب القوة الكبيرة التي مثلها شوبيلوليوما وعدم اهتمام الملك المصري بما يجري اعترف ملك أمورو بسلطة شوبيلوليوما، وترك شوبيلوليوما مهمة إخضاع بقية المناطق السورية لأحد قادته العسكريين المسمى "لوباكي" ولابنه "تيليبينو "، واستطاع قائده لوباكي التغلب على فرق مصرية حاولت استعادة قادش من الحثيين، أما كركميش فسقطت بيد الحثيين، ونصّب ابنه "بياشيلي" ملكاً عليها بينما وضع ابنه تيليبينو ملكاً على حلب، وبعد خسارة ميتاني للأجزاء الواقعة غرب الفرات اغتيل الملك توشرتا من قبل أحد أولاده، وتمكن " شوتارنا الثالث " ابن أرتاتاما الثاني بمساعدة من آشور أن يستولي على ميتاني وعاصمتها واشوكاني، فذهبت كنوز القصر الملكي إلى آشور ، وقد اعتقد أن عمله سوف[2]يجعله مقرباً من الملك الحثي، الأمر الذي يسهل عليه اعتلاء العرش الحوري – الميتاني، ولكن الملك الحثي لم ينصبه ولا ابنه على هذا العرش، وإنما نصّب ابن عدوه وخصمه توشراتا المدعو ماتي وازا [3]، فقد تخوف الملك الحثي من امتداد النفوذ الآشوري حتى منعطف الفرات، فلم يتردد في استغلال أول فرصة مناسبة

---

1 - Samuel A. B . Mercer , op . cit , P 59 – 61 .

٢ – مرعي وفرزات (عيد و محمد حرب)، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

٣ – سليمان (توفيق)، ص ٣١٦ .

لتغيير موقفه السابق ضد التحالف المضاد لميتاني ، وكان هدف شوبيلوليوما من ذلك بأن حاول أن يخرج ميتاني من دائرة النفوذ الآشوري ويدخلها ضمن دائرة النفوذ الحثي، وقدم شوبيلوليوما الدعم له وزوجه بإحدى بناته وقدم له المساعدة العسكرية، وبذلك استطاع ماتي وازا إعادة فتح المدن الهامة من ميتاني، ثم ثبت هذا الوضع الجديد بعقد اتفاقية ما بين شوبيلوليوما وماتي وازا التي تعترف بإمبراطورية ميتاني وعلى رأسها ماتي وازا وهي خاضعة للسيادة الحثية ، ونص الاتفاق على أن يحتفظ الفاتح الحثي بشمالي سورية على أن تكون حدودها الفرات في الشرق ولبنان في الجنوب. أما القسم الباقي من المملكة فقد أصبح تابعاً فيما بعد للملك الآشوري أدد نيراري .[٣]

يروي ماتي وازا كيف حاول شوتارنا ابن أرتاتاما الطامع باعتلاء العرش الحوري – الميتاني أن يقتله :"**.......ولكني فلت من يده فاستغثت بآلهة الشمس شوبيلوليوما، الملك الكبير، ملك بلاد خاتي الملك البطل، حبيب تيشوب، هذه الآلهة التي قادتني على طريق خال من المخاطر ...وعلى نهر ماراشانتيا (الهاليس) ألقيت بنفسي على قدمي الشمس شوبيلوليوما، الملك الكبير ملك بلاد خاتي، الملك البطل وحبيب تيشوب. وما كان من الملك الكبير إلا أن احتضنني بيديه وسر بي سروراً بالغاً واستفسر مني عن كافة أحوال البلاد الميتانية، وعندما سمع عن وضع أحوال البلاد الميتانية تكلم عندئذ الملك الكبير الملك البطل: إذا ما انتصرت على شوتارنا وعلى البلاد الميتانية، فسوف لا أذلك بل سأجعل منك ابنا لي وسأنصبك على عرش أبيك** " ولا شك أن الملك الحثي أدرك الخطر الذي تمثل في قوة شوتارنا هذا، وخاصة إن أصبح على العرش الحوري – الميتاني، ولذلك نصب عليه تابعاً ضعيفاً هو ماتي وازا ابن عدوه، وفضله على الحليف أو ابن الحليف، الذي كان قد أقام علاقات دبلوماسية معه شكلت سبباً مباشراً للحرب بين الحوريين – الميتانيين وبينه ، لكن هذا الوضع تغير بعد[٤] انتشار وباء في الأناضول وقيام حركات تمرد، وموت شوبيلوليوما ثم موت خليفته أرنوواندا الثاني، وأصبحت ميتاني في بداية حكم الملك الحثي مورشيلي الثاني دولة مستقلة عن الحثيين. ويذكر "**أن ميتاني** "**مستعدة للصراع، لا إله لها، حانثة بالقسم**" وهي صفات تشير إلى نقضها المعاهدة التي

١ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٧٧ .

٢ – مرعي وفرزات (عيد و محمد حرب)، ص ١٧٠ – ١٧١ .

٣ – حتي (فيليب)، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، جـ ١ ، ترجمة جورج حداد، دار الثقافة، بيروت، د.ت . ص ١٦٣ .

٤ – سليمان (توفيق)، ص ٣١٦ – ٣١٧ .

عقدها شوبيلوليوما مع ماتي وازا ، من خلال المصادر الآشوٰرية التي تعود لعهد الملك أدد نيراري الأول (١٢٩٥ – ١٢٦٤ ق.م) نعرف أن ملكاً يدعى "شاتو أرا الأول " حكم في خاني جلبات في بداية القرن الثالث قبل الميلاد ويبدو أنه كان خليفة ماتي وازا.[1]

خلف شاتو أرا ابنه واساشاتا الذي حاول الاستعانة بالحثيين ضد تهديدات الآشوريين، لكن الحثيين لم يتمكنوا من مساعدته بسبب صراعهم مع مصر الذي وصل ذروته في معركة قادش عام ١٢٨٥ ق.م، واستغل الآشوريون الصراع الحثي المصري فتمكنوا من مد نفوذهم على حساب مملكة ميتاني، لكن واساشاتا كان قد استطاع أن يعيد نفوذه خاصة بعد أن عقد الحثيون اتفاقاً للسلام مع مصر عام ١٢٧٠ ق.م وكرسوا جهودهم للتملص من العهد من النفوذ الآشوري .[2]

تمكن شتوارا الثاني خليفة واساشاتا أن يثبت وجوده في وجه الملك الآشوري شلمنصر الأول (١٢٦٣ – ١٢٣٤ ق. م)، وذلك بفضل دعم الحثيين له، ويدعي شلمنصر الأول في نقوشه أنه حقق نصراً ساحقاً على ملك خاني جلبات، ولكن معلوماته التي يذكرها عن حملته هذه غير دقيقة، ولا سيما فيما يتعلق بأسماء الأمكنة التي ترد في النص المنقوش، عندما يذكر المدن التي احتلها، والتي يعتقد أنه استنسخها عن نقش كتابي يعود إلى أبيه، أما توكولتي نينورتا الأول (١٢٣٣ – ١١٩٧ ق.م) فيذكر أن الحوريين تمردوا على أبيه، وامتنعوا عن دفع الجزية له، وهو دليل آخر على عدم صحة ادعاءات شلمنصر، وعلى أنه لم يكن موفقاً في حربه ضد خاني جلبات، فقام توكولتي نينورتا بحملة ضد التحالف الحوري الذي كان يضم بلاد ألز (ألشِ) وبلاد أمدانو (المناطق المحيطة بديار بكر) وغيرها، ويبدو أن توكولتي نينورتا حاول تحقيق الهدوء في المناطق الحورية من خلال اتباع سياسة التهجير وتبديل الهوية السكانية فيها .[3]

وكان سقوط ما تبقى من مملكة ميتاني في أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، إذ انهارت الإمبراطورية الحثية نتيجة غزوات شعوب البحر، وبدأت تحركات كبيرة لشعوب عديدة في الأناضول .[4]

١ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٧٩ .

٢ – مرعي وفرزات (عيد و محمد حرب)، ص ١٧١ .

٣ – فيلهلم (جرنوت)، ص ٨١ – ٨٢ .

٤ –مرعي وفرزات (عيد و محمد حرب)، ص ١٧٢ .

ثانياً الدولة الآشورية الوسطى

١ – قيام الدولة الآشورية الوسطى

عرف الآشوريون بأنهم فرع من أقوام الجزيرة العربية القديمة التي كانت تقطن أصلا في شبه الجزيرة العربية، ثم هاجرت منها إلى بوادي الشام وبلاد وادي الرافدين واستقروا في منطقة حوض دجلة الأوسط حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م، حيث تتصف هذه المنطقة بطابعها الجبلي وبكثرة وديانها النهرية، وتشكل جبال كردستان من الشمال وزاغروس من الشرق حدودها الطبيعية، أما من الجنوب والغرب فالحدود مفتوحة نحو بلاد الهلال الخصيب ، فنجد أن الآشوريين اعتمدوا[١] في حياتهم على الصيد وتربية المواشي والزراعة، وأنشؤوا عدداً من المدن كان أكبرها " آشور"، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى إلهها آشور، كما سميت بلادهم ببلاد آشور. وكانت آشور تبعد ٣٥٠ كم إلى الشمال من بابل، وأصبحت عاصمة البلاد في عهد الدولة الآشورية القديمة [٢].

ولم يتمكن الآشوريون من تأسيس دولة لهم إلا في عصر متأخر، ولم تستطع هذه الدولة الحصول على استقلالها قبل الألف الثاني قبل الميلاد، ثم قدر لهذه الدولة بعد ذلك، أن تبلغ مركز الصدارة، فتقوم بدور هام في منطقة الشرق الأدنى القديم [٣].

كانت في البدايات عبارة عن دويلات – مدن يحكمها أمراء محليون، وقد خضعت دويلات المدن الآشورية للسيطرة السومرية ثم الأكادية وأصبح أمراؤها اتباعاً لملوك السومريين والأكاديين، بعد ذلك استقل بعض أمرائهم في العهد الغوتي وخضعوا لملوك سلالة أور الثالث، وفيما بعد ظهر فيهم ملوك أقوياء وأصبحت آشور القديمة في زمنهم دولة مستقلة ذات كيان إلى أن ظهر حمورابي ملك بابل وقضى عليها.

ويقسم المؤرخون تاريخ آشور القديمة إلى ثلاثة عصور متميزة هي

- **الدولة الآشورية القديمة** (٢٠٠٠ – ١٥٢١ ق.م)
- **الدولة الآشورية الوسطى** (١٥٢١ – ٩١١ ق.م)

---

١ – سليمان و الفتيان (عامر واحمد مالك) ، محاضرات في التاريخ القديم، مطابع جامعة الموصل، الموصل، ١٩٧٨، ص١٤٣.

٢ – باقر (طه وآخرون)، تاريخ العراق القديم، جـ ١، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٠م، ص٢٠١.

٣ – اسماعيل (حلمي محروس)، ص ٦٧ .

- **الدولة الآشورية الحديثة** قسم الباحثون الدولة الحديثة إلى إمبراطوريتين هما : الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١ – ٧٤٥ ق.م) والإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٥ – ٦١٢ ق.م) .[١]

امتد عهد الدولة الآشورية الوسطى بين (١٥٢١ – ٩١١ ق.م) وتميزت بحدوث تغيراتها السياسية والعسكرية والاجتماعية والحضارية الهامة، فمن الضعف إلى القوة، ومن التدهور الاقتصادي إلى الانتعاش والرفاهية، ومن الجمود والركود الحضاري إلى الازدهار ومن التبعية والاحتلال إلى السيادة ، وقد عاصرت أحداثاً هامة[٢] من تاريخ الشرق الأدنى القديم، ففي مصر الدولة الحديثة، وفي الأناضول دولة الحثيين، وفي جنوب الرافدين دولة الكاشيين، وفي الشمال ما بين النهرين مملكة الحوريين. وقد واجهت حكام آشور جملة من الصعوبات بتصدّيهم للقوى المجاورة لهم. ومع نمو قوة الدولة الحورية الميتانية دخلت آشور تحت سيطرة الميتانيين، عندما خاض الملك الحوري – الميتاني "شاوشاتار" حرباً ضد مملكة آشور، ودخل عاصمتها آشور ونهب معابدها، ونتيجة للصراع الذي نشب بين المملكة الحورية – الميتانية والمملكة الحثية، كانت الدولة الحورية الميتانية قد ضعفت، وانشغل حليفهم أمنحوتب الرابع (أخناتون) بإصلاحاته الدينية. وفي مقابل ذلك أخذت قوة آشور تنمو، وتعاقب على حكمها العديد من الملوك الآشوريين منهم.

أ- **الملك أريبا أدد الأول (١٣٩٠ – ١٣٦٤ ق.م)**

استطاع تحرير البلاد من هيمنة الدولة الحوية – الميتانية، ولكن حلمه لم يتحقق بالكامل في عهده، فقد توفي وتحقق ذلك في عهد خليفته وابنه آشور أوباليط .[٣]

ب-آشور أوباليط الأول (١٣٦٥ – ١٣٣٠ ق.م)

استلم الحكم بعد وفاة أريبا ابنه "آشور أوباليط " واستطاع استغلال الانقسام الذي حدث في داخل البيت الميتاني المالك، إذ انقسموا إلى فريقين، وقد استعان أحد الفريقين المتنازعين بآشور رغم أنها كانت لا تزال خاضعة لسلطان الميتانيين، ونتيجة للدسائس والمؤامرات التي ظهرت هناك قتل (الملك توشراتا) المعارض للفريق الموالي الذي يوالي الآشوريين، وفر ولده إلى بابل، غير أن ملكها بورنا بورياش،

---

١ – دلو (برهان الدين)، ص ٢٣١ .

٢ – مهران (محمد بيومي)، ص ٣٤٣ .

٣ – إسماعيل (حلمي محروس)، ص ٦٩ .

تمسك بمبدأ الحياد ورفض منحه حق اللجوء السياسي ، ومن الأسباب التي ساعدته[1] على هزيمة الميتانيين أنه عقد اتفاقاً مع الحثيين، فهاجم الميتانيين وقضى على دولتهم حوالي ١٣٧٠ ق.م .

حاول آشور أوباليط أن يقيم حلفاً مع مصر، وبعث وفداً إلى وادي النيل لتحقيق هذا الهدف، وقد غضب الكاشيون من قيام الآشوريين بهذه الخطوات الدبلوماسية ، إلا أن الملك الآشوري حاول[3] استرضاء الملك البابلي بإرسال إحدى بناته إلى بلاط بابل لتتزوج من " بورنا – بورياش الثاني " ويمكن أن تعدّ هذه الحركة ضعفاً سياسياً، أو ينظر إليها من منظور آخر يظهر أن المقصود منها أن يمارس آشور أوباليط الأول نفوذاً ما في بابل عن طريق ابنته، وبالفعل فقد أنجبت ابنة آشور أوباليط "موباليطات – شيروا " ولداً وتسلم العرش البابلي بعد وفاة والده ، وهنا نرى أن تقليد الزواج الذي[4] انتشر بين العائلتين الملكيتين المصرية والكاشية وجد له نظير في بلاد بابل وآشور ، حيث لم يتمكن هذا[5] الملك من الحكم لفترة طويلة، إذ أن طبقة النبلاء الآشوريين ثارت عليه وقتلته، لأنها رأت فيه خطراً على الدولة الكاشية، ونصبت مكانه رجلاً كاشياً اسمه " نازي – بوغاش " إلا أن آشور أوباليط الأول، دخل بابل، بحجة الثأر لحفيده، فقتل نازي – بوغاش، ونصب مكانه ابناً آخر لبورنابورياش الثاني هو كوريغالزو الثاني ، وبذلك لم يدع الآشوريون[6] فرصة تمر إلا واستغلوها للتدخل في الشؤون الداخلية للمملكة الكاشية.

كانت آشور قد تحركت على الصعيدين الدبلوماسي والتجاري الخارجيين، فأقامت علاقات تجارية مع مصر بعد انهيار المملكة الميتانية التي كانت تسيطر على الطريق التجاري الواصل بين بلاد النهرين ومصر سورية. ويبدو أن الملك المصري أدرك خطورة الآشوريين في غرب آسيا .[7]

لذلك أرسل ٢٠ وزنة من الذهب إلى الملك الآشوري "آشور – نادين – اخي "وتم ذكر ذلك ضمن رسائل العمارنة EA 16 وذلك عندما عاتب آشور أوباليط الأول امنحوتب الرابع على قلة الذهب الذي أرسله إليه، بخلاف ما كان في زمن أبيه." **أهكذا تكون هدية ملك عظيم ؟ الذهب في بلادك تراب،**

---

١ – عصفور (محمد أبو المحاسن)، ص ٣٨١ .

٢ – فرح (نعيم)، ص ٤٠ – ٤١ .

٣ – سليمان (توفيق)، ص ٣٢٠ .

٤ – مرعي و عبدالله (عيد وفيصل)، ص ٣٣٠

5 - R.W. Rogers, Op. Cit, Vol.1, P. 418.

٦ – مرعي و عبدالله (عيد وفيصل)، ص ٣٣٠ – ٣٣١

٧ – إسماعيل (فاروق)، ص ١١٧ .

هو يجمعه جمعاً. لماذا تبخل به؟ لقد تعهدت أن ابني قصراً جديداً، فأرسل إلي ذهباً بقدر ما يلزم لتزيينه ولاحتياجاته. عندما كتب – آشور نادن أخي – أبي إلى بلاد مصر، أرسلوا له عشرين حملاً من الذهب " وهذا يدل على اعتراف الإمبراطورية المصرية بالمملكة الآشورية الوسطى كقوة جديدة في منطقة الشرق القديم . وقام آشور أوباليط بأعمال مهمة جعلت المهمة السياسية والعسكرية لخلفائه تتركز على دعم قواهم العسكرية فقاموا بغزو وبضم البلاد التي كانت خاضعة للميتانين و الكاشيين ووصلوا إلى كركميش على الفرات. وقد أجبرهم على ذلك تحين الدولة الحثية الفرصة للقضاء على مملكتهم، وبدءُ المملكة المصرية باستعادة قوتها من جديد في عصر الأسرة التاسعة عشرة، والعبءالذي شكلته المملكة الكاشية فأثقل كاهل الآشوريين، ولم تلبث آشور بعد أن تحررت من الهيمنة الحورية أن دخلت في صراع عنيف من أجل التوسع والسيادة ومن أجل ضمان حرية الآشوريين وبلادهم وكان لخلفاء آشور أوباليط دور بارز في ذلك الصراع، فدخلوا في حروب خارجية، تارة من أجل الدفاع، تارة من أجل التوسع [٢] .

جـ– انليل نيراري الأول (١٣٢٩ – ١٣٠٨ ق.م)

أرسل حملة تأديبية ضد بابل وأبقاها تحت سيطرته، وقام بإصلاحات داخلية، فأصلح القصر الملكي وأقام المنشآت في كل من نينوى و آشور وقد حكم حوالي عشر سنوات [٣] .

د– أدد – نيراري الأول (١٣٠٧ – ١٢٧٥ ق. م)

بدأ بشن حرب ضد الكاشيين، وضمن ولاءها من جديد للدولة الآشورية من جديد، كما أرغمهم على التوقيع على اتفاقية جديدة للحدود، ثم اتجه بقواته عبر إقليم الجزيرة غرباً وغزا المنطقة الممتدة من حران إلى كركميش الواقعة على ضفة نهر الفرات، وسيطر بذلك على الطرق التجارية التي كانت تربط بلاد ما بين النهرين بالأجزاء الغربية من آسيا الصغرى، فأصبح الآشوريون على أبواب سوريا .

هـ – شلمنصر الأول (١٢٧٤ – ١٢٤٥ ق. م)

يعتبر أعظم ملوك الأسرة الحاكمة في آشور، وهو رابع خلفاء آشور أوباليط، استطاع إخضاع منطقة اورارتو الجبلية في إقليم أرمينيا ليحفظ حدود مملكته من توجهاتها صوبها جنوباً، كما أخضع بلاد

---

١ – سليمان (توفيق)، ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

٢ – إسماعيل (حلمي محروس)، ص ٦٩ .

٣ – عبد الحليم (نبيلة محمد)، ص ٢٠٩

٤ – إسماعيل (حلمي محروس)، ص ٧٠ .

الجوتيين، ثم هاجم شاتوارا وهزم ملك "خاني جلبات " ، ويتحدث شلمنصر الأول[١] عن المعركة التي خاضها ضد ملك خاني جلبات وهو من الحوريين ويقول :"**خضت غمار المعركة وأنزلت الهزيمة بهم فقتلت أعداداً لا تحصى من جنوده المندحرين المتناثرين ... استوليت على تسعة من حصونه المنيعة مع عاصمته، وأحلت مائة وثمانين من مدنه إلى خرائب وتلال .. أخضعت بلدهم لسلطتي وأحرقت بقية مدنهم بالنيران** " وقد ترتب على هذه المعركة خسارة الحوريين لآخر معاقلهم، كما أنه خاض حرباً ضد الكاشيين، وألحق بجيشهم الهزيمة، وذلك عندما انقلبوا ضد الآشوريين، ولم يتحرك الحثيون لنجدتهم بسبب رفضهم الوقوف إلى جانبهم ضد الآشوريين من قبل [٢]، كان شلمنصر الأول قد عرف باتباعه سياسة تهجير أعدائه المهزومين إلى مناطق مختلفة بدلاً من ذبحهم [٣]، وقد اتسع نفوذ آشور ولا سيما في المنطقة الجبلية بالإضافة إلى امتدادها إلى الجنوب وإلى الغرب حتى كركميش على الفرات حيث انتصروا على حالف الحثيين مع الآراميين، وعلى الصعيد العمراني فقد بنى العديد من القصور في مدن آشور ونينوى، لكن أهم الأعمال العمرانية التي قام بها هي بناؤه عاصمة جديدة نحو عام ١٢٧٠ ق.م عرفت باسم "كالح" (نمرود حالياً)* [٤].

و- توكولتي نينورتا (١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق. م)

تولى الحكم بعد وفاة والده الذي وصلت الدولة الآشورية في عهده إلى أوج ازدهارها، فقام بمحاربة الكاشيين وهزم الملك الكاشي (كاشتلياش الرابع ١٢٤٢ – ١٢٣٥ ق. م) وفتح بابل ونقل تمثال الإله مردوخ إلى آشور ، وفي عهده أصبحت بابل[٥] جزءاً من المملكة الآشورية، وأطلق على نفسه حينها ملك كاردونياش ملك سومر وأكاد، ملك سيبار وبابل، ملك دلمون ، وشعر الآشوريون بالفخر[٦] لهذا الإنجاز الذي صار موضوع ملحمة آشورية شعرية أطلق عليها "ملحمة توكولتي – نينورتا " التي تلقي

١ – السعدي (حسين) ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم العراق – إيران – آسيا الصغرى، جـ ٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ١٦٦ .

٢ – إسماعيل (حلمي محروس)، ص ٧٠ .

٣ – مرعي وعبدالله (عيد وفيصل)، ص ٣٦٣ .

٤ – عبد الحليم (نبيلة)، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، ص ٢١٠ .

* – كالح : وتعرف باسم (كالحو، كالخو) المعروفة حالياً باسم نمرود، تقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة عند ملتقاه بنهر الزاب الأعلى، وعلى مبعدة ٣٠ كم جنوبي نينوى وعلى بعد ٣٥ كم جنوب شرقي الموصل، والتوارة تنسب إلى من تدعوه "نمرود"، انظر: مهران (محمد بيومي)، ص ٣٢٧.

٥ – دلو (برهان الدين) ، ص ٢٣٣ .

٦ – باقر (طه) ، جـ ١، ص ٥٣٧ .

اللوم كله فيما حدث في بابل على الملك كاشتلياش، بحجة حنثه بوعده، وتآمره ضد آشور، فاستحق لذلك " تخلي الآلهة عن بلده واندحاره " ويتحدث توكولتي نينورتا عن المعارك التي خاضها ضد بابل وسومر وأكاد ويقول :" **أجبرت كاشتلياش ملك كاردونياش على دخول المعركة فحققت هزيمة جيوشه ودحر محاربيه، وفي غمار تلك المعركة أطبقت بيدي على كاشتلياش الملك الكاشي فوطأت على عنقه الملكية مثل الكرسي وهو مكبل وعار أمام الإله آشور " وأخضعت بلاد سومر وأكاد حتى أبعد حدودها لسلطتي فامتدت حدود أرضي إلى البحر الأسفل ذي الشمس المشرقة** "كما حاول توكولتي نينورتا الأول التوسع في شمال سوريا، ولكنه واجه مقاومة عنيفة من جانب الحلف الذي ضم الممالك السورية و الحثية، ولكن الملك الآشوري تصدى لهذا الحلف وهزم قواته، وذكر في إحدى كتاباته أنه قد أسر ٢٨٨٠٠٠ من قوات هذا الحلف، ثم واجه حلفاً آخر في الجهة الشمالية من أراضي آشور، ضم ٢٣ أميراً وألحق الهزيمة بقواته ، وهزم الحثيين واحتل الأراضي الواقعة إلى الشمال من بلاده حتى بحيرة وان في هضبة أرمينيا. وأجبر ما يقارب ثلاثين ألف حثي من منطقة كركميش على الانتقال إلى أراضي آشور ووطنهم هناك ، وكان هدفه من سياسة التهجير[٢] هذه كسر شوكة المقاومة لدى الشعوب المغلوبة ومنعها من التفكير بالثورة على الآشوريين، وهي السياسة التي سار على منوالها الملوك الآشوريين من بعده . كما وحارب العيلاميين وهزمهم وأوقف تقدمهم، وسمى نفسه ملك الجميع ملك الجهات الأربعة وملك سومر وأكاد، كما مد سيطرته على غابات شرقي جبال طوروس ضماناً للأخشاب اللازمة لمشروعاته العمرانية ، ومن الأعمال العمرانية التي قام بها توكولتي نينورتا الأول بناء قصرين جديدين له في آشور، وبنى قلعة دفاعية في زاوية آشور الغربية، أحيطت بسور تخترقه بضع بوابات ، إلا أن أشهر أعمال توكولتي – نينورتا قيامه بنقل العاصمة إلى مدينة جديدة أطلق عليها اسم (كار – توكولتي – نينورتا)* تقع إلى الشمال قليلاً من آشور. ونقلُ العاصمة كان من الأمور التي درج عليها عدد من الملوك الآشوريين لعاملين أساسيين.

---

١ – إسماعيل(حلمي)، ص ٧١ – ٧٢ .

٢ – فرح (نعيم)، ص ٤١ .

٣ – مرعي و عبدالله (عيد وفيصل) ، ص ٣٦٥ .

٤ – السعدي (حسين)، في تاريخ الشرق الأدنى القديم العراق – إيران – آسيا الصغرى، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

٥ – مرعي وعبدالله (عيد وفيصل)، ص ٣٦٦ .

*– كار – توكولتي – نينورتا :أي مدينة أو حصن توكولتي نينورتا، تسمى اليوم تلول (العقير) شمال آشور، على الضفة اليسرى من نهر دجلة، انظر : باقر(طه)، جـ ١، ص ٥٣٨ .

أولهما افتقاد العاصمة القديمة آشور للموقع الاستراتيجي ليتوافق مع وضع الإمبراطورية الجديد.

و**ثانيهما** توقعهم حدوث التوترات بين مواطني المدن والمهجرين إليها وبين الحكومة المركزية في آشور، غير أنّ هذا المجد العسكري لآشور لم يدم طويلاً، فقد سقط توكولتي نينورتا ضحية المؤامرة التي أنهت حياته على يد ابنه "آشور– ناصر – أبلي"، ولم يعرف الكثير عنه وأهمه أنه اغتال أباه ، وتوضح إحدى النصوص ذلك بالقول " **أما توكولتي – نينورتا الذي جلب السوء لبابل فقد ثار عليه آشور – ناصر– إبلي والنبلاء الآشوريون وخلعوه عن العرش وفي كار توكولتي – نينورتا حاصروه في قصره وذبحوه بسيفه** " [٢].

ز– آشور – نادين – أبلي

شكّل حكمه بداية مرحلة ضعف في آشور دامت مدة قرن من الزمن، وهو الابن الثاني لتوكولتي نينورتا الأول، وشهدت آشور بعد موته مرحلة من التدهور نتيجة الانشقاق الداخلي في الأسرة الحاكمة وضغط العيلاميين عليهم بعد أن قضوا على الكاشيين في بابل عام ١١٥٩ ق.م وتسلّم الحكم في بابل حاكم قوي هو نبوخذ نصر الأول الذي شق عصا الطاعة عن آشور وتدخل فيها لدرجة قام بتعيين الملك "نينورتا – توكولتي – آشور من بابل ذاتها.

وقام نينورتا بإعادة تمثال مردوخ الذي كان توكولتي – نينورتا قد أخذه من بابل إلى معبده هناك، للتعبير عن رغبته بإقامة علاقات طيبة مع بابل [٣].

حـ – آشور – ريش – إشي

انتعشت آشور مع وصوله إلى العرش فقام بشن حملة عسكرية ضد قبائل الأخلامو والغوتيين، التي حاولت الدخول إلى بلاد آشور، وتميز عهده بتزايد قوة آشور اتجاه بابل [٤].

ط – تيكلات – بيليصر الأول (١١١٥ – ١٠٧٧ ق. م)

عادت آشور في عهده إلى النهوض من جديد، ويعد من أشهر الملوك الآشوريين الذين اعتلوا العرش الآشوري، حيث تمكن بخبرته وقدرته العسكرية من جعل آشور القوة القائدة في الشرق القديم. ففي نهاية القرن الثامن عشر ق.م، وجدت آشور نفسها أمام تهديد الآراميين من الغرب وخطر قبائل الأوراراتو

---

١ – عبد الحليم (نبيلة محمد)، ص ٢١١ .

٢ – إسماعيل (حلمي محروس)، ص ٧٢ .

٣ – السعدي (حسين)، جـ ٢ ، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

٤ – مرعي و عبدالله (عيد وفيصل)، ص ٣٦٨ – ٣٦٩.

الزاحفة من مواطنها في هضبة أرمينيا باتجاه آشور من الشمال، فتصدى "تيكلات بيليصر الأول" لتلك الأخطار وحارب في جبال أرمينيا أقوام الأورارتو واضطرهم إلى قبول حماية آشور وتسليم أبنائهم كرهائن، ووصل إلى البحر الأسود شمالاً ثم اتجه غرباً نحو آسيا الصغرى وأجبر أهل ميليديا (ملاطية في الأناضول) على دفع الجزية، وفي هذا الوقت كانت موجات شعوب البحر تقترب من سواحل آسيا الصغرى وسورية، فوجه تيكلات – بيليصر الأول هجومه إلى بابل وأخضعها، وغزا سورية فهاجم آرامي (أخلامو) واخترق الفرات إلى كركميش وتابع تقدمه حتى شاطئ البحر المتوسط مقابل جزيرة أرواد، واضطر أمراء سورية إلى دفع الجزية له [١]، كما خاض معارك ضد الآراميين ومواقعهم في غربي الفرات التي كانت تهدد باستمرار طرق المواصلات والتجارة بين سورية وبلاد الرفدين من خلال سيطرتها على بادية الشام، واضطر إلى اجتياز النهر ثمانٍ وعشرين مرة في محاولاته المتكررة لضرب جموع الآراميين حيث كان يصعب القبض عليها ، ويذكر ذلك بقوله " **ثمان[٢] وعشرين مرة عبرت الفرات خلف الأخلامو الآراميين حتى بلاد الحثيين (كركميش)، مرتان في سنة واحدة، من سفوح لبنان ومن تدمر في أمورو ومن عانة في سوخو حتى رابيقو في بلاد بابل ألحقت بهم الهزيمة أخذت غنائمهم وممتلكاتهم إلى مدينتي آشور** "كما أخذ الإتاوة من المدن الفينيقية مثل أرواد وجبيل وصيدا، ووجه ضربة لبلاد بابل في عهد ملك سلالتها الرابعة المسمى "مردوخ نادن آخي" الذي خلف نبوخذ نصر الأول ، وهكذا استطاع تيكلات –[٣] بيليصر الأول إعادة الإمبراطورية إلى الوجود، على نحو أوسع مما كانت عليه سابقاً، فتمكن بعد سنوات خمس من توليه العرش أن يفخر بأنه أخضع ٤٢ شعباً بملوكهم، وحقق فكرة الإمبراطورية الآشورية العالمية [٤].

وانعكس هذا التوسع إيجاباً على الدولة الآشورية حيث استعاد الآشوريون النفوذ التجاري في بلاد الأناضول منذ قضائهم على الدولة الميتانية، وأخذوا يستوردون منها المواد الخام وخاصة المعادن الضرورية لصنع الأسلحة، كما ازدهرت التجارة بعد استيلائهم على شمال سورية، وبُنيت بعضُ الأرصفة على دجلة ليجري فيها تفريغ البضائع المنقولة إلى مدينة آشور، ولا ريب في أنها أخذت الكثير من العالم الحوري – الميتاني، وقد ازداد نفوذ طبقة أشراف الأراضي المحاربين، فكانت تقدم

---

١ – دلو (برهان الدين)، ص ٢٣٤.

٢ – مرعي وفرزات (عيد و محمد حرب)، ص ١٨١.

٣ – باقر (طه)، جـ ١ ، ص ٥٣٩.

٤ – دلو (برهان الدين)، ص ٢٣٥ .

محاربي العربات والخيالة الذين يقودون الملك نفسه، في الوقت الذي ازداد فيه عدد العبيد وطورت أعمال الزراعة وصناعة الأسلحة وتربية المواشي ، عدا عن إنجازات تيكلاث[1] بيليصر الأول في الأمور العسكرية، فقد قام بالعديد من الأعمال العمرانية منها بناء معبد "آشور – أدد " في مدينة آشور، ومعبد عشتار في نينوى، وأدخل بعض النباتات التي لم تكن معروفة من قبل لدى الآشوريين ومنها القطن وسمى الآشوريون شجرة القطن " الشجرة التي تحمل صوفاً " أما أهم أعماله هو نسخ مجموعة من الوثائق القانونية وترتيبها لتنظيم أمور المجتمع، وقد دونت على أربعة عشر لوحاً طينياً، وتقدم هذه القوانين معلومات عن تركيب المجتمع الآشوري الوسيط من خلال معالجتها لقضايا اجتماعية واقتصادية مختلفة ، وبعد وفاة تيكلات بيليصر[2] الأول توالى على العرش ملوك ضعاف، فتدهورت أحوال الدولة، وحدث في القرنين الحادي عشر والعاشر أن تحركت القبائل الآرامية باتجاه الشرق، وهاجمت ممتلكات آشور، ثم توغلت في بلاد ما بين النهرين وخاصة في الجنوب. وكانت هذه القبائل في تصادم مستمر مع الدولة الآشورية وعقبة كأداء دون توسع الآشوريين غرباً وسبباً في إضعافهم، وظهر الكلدانيون على المسرح السياسي لبلاد ما بين النهرين، فتقلّص نفوذ آشور إلى رقعة بلادها الأصلية ، وبالتالي يمكن القول إنّ أهّم أسباب سقوط المملكة الآشورية الوسطى هو اعتمادها على الاحتلال والسيطرة، وعلى إخضاع الشعوب المغلوبة، وفرض الجزى الكبيرة عليها، بالإضافة إلى قسوة الآشوريين في التعامل حتى مع أصدقائهم، فأدت كل هذه العوامل إلى نهاية عصر وبداية عصر جديد في تاريخ بلاد الرافدين .[4]

١ – فرح (نعيم)، ص ٤٣ .

٢ – مرعي و عبدالله (عيد وفيصل)، ص ٣٤٣ – ٣٤٤ .

٣ – دلو (برهان الدين)، ص ٢٣٥ .

٤ – مرعي و عبدالله (عيد وفيصل)، ص ٣٧٦ .

٢ – العلاقات مع الكاشيين

كانت علاقاتُ الملوك الآشوريين والكاشيين تتأرجح بين السلم والحرب دون أن يتمكن أحدهما من فرض سيطرته على الآخر، فهذه العلاقات كانت تتوطد بين الطرفين في بعض الأحيان فتعقد معاهدات صداقة وتثبيت الحدود بينهما، وقد تتطور فتصبح ودية وتصل إلى حد المصاهرة .

كان الملك بوزور– آشور الثالث ملك بلاد آشور وبورنابورياش الأول ملك بابل قد اقسما يمينا وعينا بينهما حدوداً ثابتة.

وذكر الملك كرنداش إنه عقد معاهدة مع ملك آشور المسمى آشور – بيل – نشيشو فقد طالب هذا الملك بمقاطعة في بلاد وادي الرافدين. وهو ما يشير إلى أن آشور كانت تحظى في هذه الحقبة باعتراف الملك الكاشي كمملكة مستقلة بقوله : .[٢]

" كرنداش ملك كاردونياش، وآشور – بيل – نشيشو ملك بلاد آشور، ثبتا بينهما معاهدة وأقسما يميناً أحدهما للآخر فيما يخص الحدود...".

كانت بلاد آشور من مستفيدة من الاضطرابات التي وقعت للميتانيين، حيث كانت آشور محتلة من قبل الميتانيين حقبة من الزمن، غير أن خلافات الأسرة الميتانية الحاكمة حول العرش الميتاني أدت إلى إضعافهم وبالتالي إفساح المجال أمام بلاد آشور لتستعيد استقلالها .[٣]

استطاع الملك الآشوري آشور – أوبالط الأول ١٣٦٥ – ١٣٣٠ ق.م تحرير بلاده من السيطرة الميتانية، وعادت آشور لتصبح قوة فعالة في السياسة الدولية، ويعتبر عهد هذا الملك بداية عصر جديد للدولة الآشورية. حيث كان هذا الملك من أبرز الملوك الآشوريين واكفأهم سياسياً وعسكرياً فقد كان واحدا من الذين أرسوا أسس الدولة الآشورية وسياستها فأقام العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأخرى .[٤]

---

١ – عثمان (عبد العزيز)، جـ ١ ، ص٣٠٤

2 - R.W.Rogers, AHistory of Babylonia and Assyria,Vol.2(New York: 1900),P.5

٣ – ساكز (هاري)، ص٩٧.

٤ – غزالة (هديب حياوي)، ص٢٣.

وتمكن من فرض الاعتراف بمركزه الجديد على الملك الكاشي بورنابورياش الثاني نفسه من خلال سياسة تزوج بموجبها الملك الكاشــي من ابنة آشور – أوبالط، هي موبلطات – شيروا، نتج عن هذا الزواج أن فُتح الباب أمام الملوك الآشوريين للتدخل في الشؤون الداخلية للسلالة الكاشية [١].

وخلف ابن هذا الاتحاد بين الآشوريين والبابليين أباه على عرش بابل، على حين واصل جده آشور– أوباليط حكمه في آشور وقد نظم هذا الملك حملة على قبائل السوتو* وتمكن من هزيمتهم [٢].

عند رجوع الملك كاراخرداش واجه تمرداً قام به الكاشيون، ربما بسبب شعورهم بالغيرة من تزايد النفوذ الآشوري، إذ إن العلاقة الوثيقة مع الآشوريين لم تكن لتحظى باستحسان النبلاء الكاشيين، فأعلنوا التمرد على ملكهم وقتلوه ووضعوا على العرش بدلاً عنه شخصاً يدعى نازيبوكاش [٣].

كان من أصل متواضع، ولا ينتمي إلى العائلة المالكة. وحالما بلغت آشور أنباء هذا التمرد سارع الملك الآشوري آشور– آوباليط للانتقام والثأر لمقتل حفيده، فتوجـه إلى بابل وقتل نازيبوكاش ونصب محله كوريكالزو الثاني وهو حفيد آخر للملك آشور– أوباليط [٤].

تصاعد الصراع السياسي والعسكري ما بين آشور وبلاد بابل في عهد ملكها الطموح كوريكالزو الثاني تمكنه من صد هجوم عيلامي على بابل، فلم يكتف بهذا حيث غزا عيلام وحقق نصراً حاسماً عليهم واستولى على عاصمة البلاد (سوسة) [٥].

خاض كوريكالزو الثاني بعد انتصاره على عيلام الحرب ضد الملك الآشوري انيليل– نراري، واندلاع الحرب بينهما ربما كان بسبب مطالبة العاهل الكاشي بعرش آشور عقب وفاة آشور – أوباليط، وكان نصيب الآشوريين هزيمة شنيعة لحقت بقواتـهم [٦].

أنكرت المصادر الآشورية هذه الهزيمة، لكن حقيقة نشوب المعركة قرب آشور تشير إلى أن

---

1 – R .W. Rogers, Op. Cit, Vol.1, P. 418

*– السوتو : قبائل بدوية كانت تتنقل في مناطق الرعي في أطراف بادية الشام الشمالية، تقوم بنهب القوافل التجارية أحياناً، انظر: إسماعيل (فاروق)، ص ١١٩ .

2 - G.S.Goodspeed, AHistory of the Babylonians and Assyrians. (New York:1902) , P.136

3 - G.S.Goodspeed, Ibid ,P.138

4 - R.W.Rogers, OP.Cit,Vol.1,P.419

5 - R.W.Rogers, Ibid , P.420

٦ – أوتس (جون)، بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م ، ص١٤٠.

البابليين لم يكونوا في موقف الدفاع، فأنهيا الحرب باتفاقيةٍ لتثبيت الحدود بينهما[١].

خلف نازيماروتاش أباه كوريكالزو الثاني بحكم بلاد بابل. وفي عهده تجدد النزاع الآشوري البابلي بين اداد – نراري الأول ونازيماروتاش لكن الملكين عادا واتفقا بعد الحرب بينهما على تثبيت الحدود بين بلديهما. وبعد توقيع هذه المعاهدة أخذت العلاقة الكاشية الآشورية بالتحسن، ويعود سبب هذا التحسن في العلاقة إلى تعاظم القوة السياسية في بلاد عيلام، وتهديدها الحدود الشرقية لبلاد بابل، وإلى كون بلاد بابل لم تعد تشكل خطراً على الدولة الآشورية بعد اعتلاء الملك الآشوري شلمناصر الأول ١٢٧٤–١٢٤٥ ق.م العرش[٢].

خلف الملك الآشوري توكولتي – نينورتا الأول والده شلمانصر الأول وما لبث أن اتجه نحو الجنوب وهاجم المملكة الكاشية، واقتحم أسوار بابل ونهب معابدها ودمرها وفي مقدمتها معبد الإله مردوخ وتم نقل تمثاله إلى العاصمة آشور وكان ذلك بدء نهاية الدولة الكاشية في بابل[٣].

تولى عرش بابل وبتعاقب سريع انيليل – نادن – شومي ١٢٣٤ – ١٢٢٨ ق.م وكادشمان – خربة الثاني ١٢٢٧ – ١٢٢٥ ق.م واداد– شوما – ايدينا ١٢٢٤ – ١٢١٩ق.م، وعلى الرغم من عمل هؤلاء الملوك كتابعين للملك الآشوري في إدارة شؤون البلاد إلا أن روح بابل تمردت ضد السلطة الآشورية، وقاد هذا التمرد اداد –شوما– أوصر ١٢١٨ – ١١٨٩ ق.م وأصبح حاكماً للبلاد[٤].

واجه توكولتي نينورتا تمرد أحد أبنائه وهو آشور – ناصر – بال مع مجموعة من النبلاء فحاصروه في قصره وقاموا بقتله، وتلا ذلك صراع على العرش مما أدى إلى ضعف آشور، وتمكنت بابل من أن تعيد فرض سيطرتها على عديد من المناطق الآشورية، لكن الصراع الكاشي الآشوري تجدد مرة أخرى في عهد الملك الآشوري انيليل – كودوري – أوصر ١١٩٧ – ١١٩٣ ق.م، ومعاصره الملك الكاشي اداد – شوما – أوصر ١٢١٨ – ١١٨٩ ق.م واستطاع مهاجمة آشور وبالكاد تمكن الآشوريون من صد البابليين وإبقائهم خارج الحدود بعد مقتل الملك انيليل–كودوري– أوصر في المعركة[٥].

---

١ – أوتس (جون)، ص١٤٠.

2 - R.W.Rogers, Ibid, P.421.

٣ – إسماعيل (حلمي محروس)، ص ٦٦.

4 - R.W.Rogers, OP.Cit,Vol.1, P.422.

5- S.Smith , Early History of Assyria to 1000 B.C (London: 1928) , P.287

اعتلى العرش الآشوري نينورتا – أبيل – ايكو ١١٩٢ – ١١٨٠ ق.م، واستغل فرصة النزاع على العرش الآشوري للاستيلاء على الحكم، لكن ذلك كان على حساب خسارة البلاد لمكانتها وسلطتها في منطقة بلاد بابل [1].

استطاعت السلالة الكاشية السيطرة على المنطقة لمدة من الزمن حكم في اثنائها الملك ميليشباك ١١٨٨ – ١١٧٤ ق.م، وقد واصل الكاشيون حملاتهم ضد آشور في عهده، وألحقوا الهزيمة بالملك الآشوري نينورتا – ابيل – ايكورو ١١٩٢ – ١١٨٠ ق.م. لكن هذا النجاح لبابل كان ذا طبيعة مؤقتة وقصيرة الأمد، إذ أن القوة الآشورية المضادة سرعان ما بدأت باستعادة عافيتها وتعزيز مكانتها في المنطقة بعد تولي آشور – دان الأول ١١٧٩–١١٣٤ ق.م الحكم الآشوري، وقد تحقق في عهده بعض الانتعاش السياسي، واستعاد المنطقة المتنازع عليها مع الكاشيين بعد حرب خوضه حرباً مع الملك الكاشي زابابا– شوما– ايدينا ، حكم بعدها الملك الكاشي [2] الأخير انيليل – نادين– اخي ١١٥٩ ق.م حقبة قصيرة، ويشير قصر فترات الحكم هذه إلى حالة التناحر والأزمات الداخلية التي عصفت بالبلد . ففي غضون هذه الحقبة أُطيح [3] بهذا الملك عن العرش أيضاً لتنتهي بذلك السلالة الكاشية في بلاد بابل [4].

1- G.S.Goodspeed, Ibid , P.142
2 - R.W.Rogers,OP.Cit , Vol.1, P.423
3- R.W.Rogers, Ibid, P.423
4- G.S.Goodspeed, Ibid, P.142

ثالثاً :الصراع الحثي المصري

كان من آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة حور محب وقد

توفى دون أن ينجب أولاداً ذكوراً، لذلك أراد أن يختار شخصا يخلفه في الحكم، ويبدو أن حور محب قد أعجب و تأثر بالصفات اللافتة للنظر في شخصية قائده **بارع مسسو**، ورأى فيه المقومات التي تجعل منه ولياً محتملاً للعهد، ويحتمل أن يكون قد أنفق أعواما عديدة في تربيته وإعداده لتولي ذلك المنصب العظيم [١].

كان بارع مسسو ضابطاً عسكرياً من أسرة عسكرية، عمل معظم أفرادها في خدمة الجيش المصري، وشغل عدة مناصب عسكرية وإدارية في عهد حور محب منها، قائد سلاح الفرسان، ونائب الملك في إدارة البلاد، ووزير الوجه البحري والوجه القبلي، ورئيس القضاة، المشرف الأعلى على قاعات العدل العظيمة، وكان توليه هذه المناصب كلها قد جعله أهلاً لاختياره، فتولى ملك مصر مؤسساً لأسرة ملكية جديدة هي الأسرة التاسعة عشرة وأطلق على نفسه اسم "رعمسيس الأول" (١٣٠٨– ١٣٠٧ ق.م) ، واعتلى العرش في عام ١٣٠٨[٢] ق.م باسم (رعمسسو من بحتى رع) بمعنى (رع أنجبه ودامت قدرة رع)، وفيما بعد أسقط أداة التعريف (با) من اسمه فأصبح رع مس سو، وهو ما نطلق عليه الآن رعمسيس وأمر بوضع اسمه داخل الخرطوش الملكي، وحكم فترة قصيرة سنة وأربعة شهور، وكان كهلاً فلم يعمر أكثر من عامين استعان فيهما بولده "سيتى" وقلده منصب قائد الجيش، فعمل على تصريف شؤون البلاد، وعهد إليه بالوزارة ورئاسة الشرطة، وبذلك ضمن الحكم لأهله من بعده ، وكان قد عمل على إشاعة[٣] الروح العسكرية في الدولة، واضعاً بذلك أسس عصر جديد في تاريخ مصر العسكري والسياسي والديني، وهو عصر يتميز بالرخاء الاقتصادي والإصلاح الإداري والنهضة الفنية والمعمارية في طول البلاد وعرضها ، وعلى الرغم من أن عصره لم يستمر أكثر من عام، فقد أرسل حملات عسكرية إلى النوبة وإلى مناطق

١ – برايس (تريفور)، ص ٤٧ .

٢ – السويفي (مختار)، ص ١١٦ .

٣ – صالح (عبد العزيز)، جـ ١، ص ٣٢٨ .

٤ – السويفي (مختار)، ص ١١٧.

فلسطين بقيادة ابنه "سيتى"، كما أعاد فتح مناجم الفيروز والنحاس في سيناء، وكان قد اتخذ من طيبة عاصمة رسمية دينية باعتبارها مركز عبادة الإله آمون وكهنته الذين كانوا السند الحقيقي لحكم ملوك هذه الأسرة .[١]

جلس سيتى الأول على عرش البلاد خلفاً لأبيه، وكان قد اشترك معه في الحكم. وقد نشأ نظام المشاركة في الحكم من اهتمام الرعامسة بتجنب الوقوع في مشاكل وراثة العرش التي قضت على الأسرة الثامنة عشرة .[٢]

كان سيتى قد ارتقى العرش بعد أن تخطى سن الأربعين، وكان لتوليه صدى داخلياً وآخر خارجياً، ففي **الداخل** اعتبر عهده بشيراً باستعادة المجد السالف، أما في **الخارج** فرأت بعض العناصر الشمالية فرصة للقضاء على ما بقى لمصر من نفوذ خارجي في شؤون التجارة والسياسة .[٣]

جرى سيتى على سنة حور محب في تشديد العقوبات على المفسدين، وكان اسمه يعنى "المنسوب إلى المعبود ست"، إلا أنه لم يكن معادياً للمعبودات الأخرى. بل على العكس نجد أنه أضاف إلى لقبه اسم معبود آخر هو بتاح ، وأظهر اهتماماً مفرطاً بالمعابد، ليثبت أن رعاية أسرته للدين لا تقل عن عناية الأسر المالكة التي سبقتها إن لم تزد عنها. وأوصى بجمع الأرباب الكبار في كبرى المعابد، التي شيدها ليتألف بذلك قلوب أتباعهم أصحاب المذاهب المختلفة في بلده ، كما أصلح معابد آمون التي[٤] خربتها ثورة أمنحوتب الرابع (أخناتون) الدينية، وأقام مباني جديدة في الكرنك ومنف وعين شمس والدلتا، وكانت هذه المباني تتطلب أموالاً كثيرة، فاتجه إلى استخراج الذهب من مناجمه في الصحراء الشرقية ، وقام بزيارة لمنطقة المناجم[٦] وأمر بتوفير الرعاية للعاملين كما أمر بحفر كثير من الآبار في الصحراء، لمساعدة المسافرين على طرق المناجم.

---

١ – السويفي (مختار)، ص ١١٧.
٢ – غريمال (نيقولا)، ص ٣١٩ .
٣ – صالح (عبد العزيز)، ص ٣٢٨ .
٤ – علي (رمضان عبده)، جـ ٢ ، ص ٢١٦ .
٥ – صالح (عبد العزيز)، ص ٣٢٩ .
٦ – أبو بكر (عبد المنعم)، ص ٥٧ .

مثل منطقة وادي عبادى*، وقد أقام هذا الملك قرية ومعبداً للعبادة للعاملين بهذه المناطق، كما أمن الطريق الصحراوي الذي يبدأ من جنوب إدفو*، ويخترق الصحراء الشرقية حيث توجد مناجم الذهب ، وخير ما يثبت اهتمامه بمناجم الذهب أنّ أقدم وثيقة رسمت عليها خريطة جغرافية تتمثل في إحدى البرديات هي بوردية تورين، فقد رسم فيها موقع منجم الذهب القريب من معبد الرديسية* مع بيان الطرق المختلفة المؤدية إليه [٢] .

اعتبر عصر الأسرة التاسعة عشرة عصر نهضة، بينما رأته العناصر الخارجية فرصة لحرمان مصر مما بقي لها من نفوذ خارجي في عالم التجارة والسياسة. شجعت على هذا عدة عوامل منها، قلة النشاط العسكري لمصر في أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة، وانهيار دولة حلفائها الميتانيين تحت ضربات الحثيين عام ١٣٦٥ ق.م، ثم تفرغهم لتحريض الموالين من أمراء سورية على المصريين، بالإضافة إلى ظهور الهجرات الآرية التي عرفت باسم شعوب البحر.

كان على سيتى الأول مواجهة كل هذه المشاكل بحزم وكفاية، وإعداد الجيش من أجل إعادة الاستقرار إلى أرض مصر التي هددها العدو ، ويرجع لسيتى الفضل في[٣] إعادة هيبة الإمبراطورية المصرية، وكان هم سيتى الأول تأمين الحدود الشرقية والغربية للبلاد، وأخذ يعد العدة لذلك فلقب نفسه بلقب " وحم مسوت" أي عهد تجديد المواليد بما يعني عهد النهضة [٤] .

---

* – وادي عبادى : يبدأ من إدفو وحتى برنيس على البحر الأحمر، طوله حوالي ٢٢٥ كم، انظر : مهران (محمد بيومي)، ص ٢٠١ .

* – إدفو : تقع حالياً بمحافظة أسوان على الضفة الغربية للنيل، كان اسمها المصري القديم "جبع" كانت عاصمة للإقليم الثاني من أقاليم الصعيد وكان الهها الرئيس "حورس"، انظر : أديب (سمير)، ص ٩٣ .

١ – صالح (عبد العزيز)، جـ ١، ص ٣٣٢ .

*– معبد الرديسية : يقع في وادي عبادى الذي يمتد بين إدفو وحتى برنيس على البحر الأحمر، وإلى الشرق من مدينة إدفو حفر الملك سيتى الأول معبده والذي عرف باسم الرديسية وهو اسم اطلقه عليه العالم "كارل رتشارد لبسيوس" لأنه وصل إليه عن طريق قرية الرديسية بمركز إدفو، كما عرف باسم الكنايس لأن المعبد كان أشبه بكنيسة، وكان قد نحت في الصخر ونقشت عليه بعض النقوش التي تدل على استغلال الذهب، انظر : مهران (محمد بيومي)، ص ٢٠١.

٢ – عصفور (محمد أبو المحاسن)، علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى الفتح اليوناني، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٢م ، ص ٩٦.

٣ – صالح (عبد العزيز)، جـ ١، ص ٣٣٢ .

٤ – طبوزادة (زكية يوسف)، ص ١١٧.

بدأ سيتى الأول حملته في السنة الأولى من حكمه، فانطلق من قلعة ثارو (بالقرب من القنطرة) وهي بداية الطريق الحربي من مصر إلى فلسطين، وفي الطريق من ثارو حتى رفح، قام بإعداد حصون وقلاع، وأقام آبار المياه لتأمين سلامة وراحة جيوشه ، ومن رفح تقدم إلى مدينة غزة[1]، وقبل أن يستولي عليها، اضطر إلى القيام بمذبحة كبيرة بين الثائرين من بدو "الشاسو" الذين ظنوا أن مصر قد ضعفت واستكانت فقاموا ببعض أعمال السلب والنهب والإغارة على الحقول لسرقة المحاصيل والمواشي والأغنام، واستولوا على الحصون والحاميات المصرية التي تمتد على طول الطريق البري من الحدود المصرية إلى فلسطين ، وذلك بتحريض من قبل ملك[2] الحثيين مواتللي، فتمكن ستي من استعادة الحاميات وتغلغل في فلسطين، وقضى على المتحالفين مع الحثيين .[3]

وحين وصل سيتي إلى كنعان وجد نفسه أمام حلف خطير من الأمراء الأموريين والآراميين مؤيدين بخيتا، فأرسل فيلق رع للاتجاه إلى بيت شان* وتقدم فيلق آمون صوب حماة، أما فيلق ست فقد سار صوب " ينوعم، ثم سار المصريون شمالاً فدخلوا عكا وصور وتوغلوا في لبنان[4] ، وأمر أميرها بإحضار كميات ضخمة من أخشاب الأرز لمصر ، يبدو أن جيوش الأعداء كانت[5] متفرقة، فلو أنها كانت مجتمعه لشكلت خطراً كبيراً على المصريين، وهو ما أدركه سيتي الأول، فعزم على محاربتهم متفرقين قبل أن يجدوا وقتا لاتصالهم وتنظيم صفوفهم. ونجحت هذه الخطة الجريئة نجاحا تاماً[6] ، ثم جاءته أنباء عن تحركات على حدود مصر الغربية تحت ضغط الهجرات الآرية، فواجهتها الجيوش المصرية وكسرت حدتها[7] ، أما الهم الأكبر لسيتى فقد كان إيقاف أطماع الحثيين في المناطق السورية، بعد أن حاولو استغلال الفراغ الذي نشأ نتيجة سقوط الدولة الحورية الميتانية، لذلك حاول العمل على القضاء على المؤامرات التي كانوا يدبرونها بتحريض أمراء وحكام هذه المناطق لإثارة

1 – Murnane ,W , The road to kadesh , Chicago , 1990 , p 40 .

2 – Spaliger , J , Anthony , War in ancient Egypt , 2005 , p , 188 .

٣ – علي (رمضان عبده)، جـ ٢ ، ص ٢١٧ .

* – بيت شأن : مدينة كنعانية تقع غربي نهر الأردن، اسمها القديم افراتة، فيها آثار متراكمة تعود إلى الألف الرابع ق.م، اسمها الحالي هو تل الحصن بالقرب من بيسان، عبودي (هنري . س)، ص ٢٥١ .

٤ – غريمال (نيقولا)، ص ٣٢١ .

5 – Spalinger ,A, J , the northern wars of seti I an intergration study , jarce , XV , 1978 , P , 31 – 32 .

٦ – دريوتون و فندييه (اتيين وجاك) ، ص ٤٦٨– ٤٦٩.

٧ – صالح (عبد العزيز)، ص ٣٣٢ .

القلاقل ضد مصر وملكها[١] ، خاصة وأن الأوضاع في سوريا كانت قد بدأت تخرج عن السيطرة المصرية بعد النشاط الدبلوماسي للملك شوبيلوليوما ضد هذه الدويلات الصغيرة في شمال سوريا، وأدى فقدان دولة ميتاني كقوة كبرى في الشرق الأدنى إلى تجريد مصر من حليف قوي، في أواخر حكم أمنحوتب الرابع (أخناتون) وتسبب بمزيد من التدهور، فالخسائر التي منيت بها مصر في سورية لا ترجع إلى ظهور الحثيين بقدر ما ترجع إلى عدم الاستقرار الداخلي والتدهور العام للإمبراطورية المصرية، إذ بدأت مظاهره واضحة قرابة نهاية عصر الأسرة التاسعة عشرة[٢] .

سجل سيتى أخبار حملاته العسكرية الثلاث على جدران قاعة الأعمدة الكبرى لمعبد الكرنك، حيث تصور الأولى حربه ضد البدو في شمال سيناء وجنوب فلسطين، وتصور الثانية حربه ضد البدو الليبيين في الغرب، أما الثالثة فتصور حربه ضد مواقع الحثيين في المناطق السورية، وكانت هذه الحملات الحربية الثلاث قد وقعت خلال الشهور الأولى من حكمه، ولذلك كان على سيتى الأول تجهيز جيش قوي يضم أعداداً غفيرة من الضباط والجنود المدربين، وبكميات هائلة من الأسلحة والخيول والعربات الحربية، وبث الروح العالية في الجيش والقدرة القتالية الفائقة، وكذلك الإصرار على النصر، وهذه أهم خطوة لإعادة الإمبراطورية المصرية إلى حدودها السابقة، وهو ما تم في عهده وفي عهد ابنه رعمسيس الثاني. فبعد أن أعاد سيتى الأول بناء القوات المسلحة البرية والبحرية، قام بأحد الأعمال الاستراتيجية العسكرية المصرية. فعمل على إعادة السلطة والسيطرة على جميع الموانئ الواقعة في السواحل الشرقية للبحر المتوسط وجعل منها قواعد حربية لتموين وإمداد الجيش بالجنود والعتاد، لينطلق من خلال إلى داخل الأراضي والأقاليم السورية، كي يعيد لمصر إمبراطوريتها الواسعة التي كانت ممتدة حتى نهر الفرات، وتكملة لهذا الطريق البحري دعم سيتى الأول الطريق البري الذي كان يربط شرق الدلتا بمدينة رفح بفلسطين وهو الطريق الحربي الذي أطلق عليه اسم "طريق حورس العظيم" ليصبح طريقاً ملائماً لمرور الجيش المصري نحو الشرق والشمال، وأنشأ عدداً كبيراً من القلاع والحصون العسكرية، كما حفر عدداً هائلاً من الآبار اللازمة لتموين الجيش[٣] ، وكان لتقدم سيتى الأول في الأراضي السورية أثره الكبير في ازدياد قلق دولة الحثيين، وفي هذا الوقت سيطر الملك الحثي مواتللي على مقاليد الأمور في المملكة الحثية فعمل على أن يعيد حدود الأراضي الحثية كما

١ – السويفي (مختار)، ص ١٢٠ .
٢ – قدري (أحمد)، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .
٣ – السويفي (مختار)، ص١٢٠ – ١٢١ .

كانت زمن الملك شوبيلوليوما، لكن الوضع الدولي لم يفسح المجال ليحقق ما أراد فلم يكن أمامه إلا المواجهة فكان ذلك ، مما أدى إلى صدام بين ألطرفين في العام الثالث من حكمه فتلاقى الجيشان في وادي نهر العاصي شمال قادش، وعلى الرغم من أن نصوص الكرنك تؤكد أن النصر كان من نصيب سيتى حيث نجح في الحصول على العديد من الغنائم والأسرى، وتمكن من إجبار الحثيين على العودة إلى بلادهم وأن "بنتسينا" ملك أمورو قد اعترف بسلطان الملك، لكن هذا النصر لم يكن حاسماً، فسلطته على سهل سوريا الشمالي كانت مؤقتة. إذ وسرعان ما عادت تخضع للنفوذ الحثي من جديد [٢].

ويبدو أن حملة سيتى لم تكن موجهة ضد الحثيين بقدر ما كانت تهدف إلى ضمان أمن مصر، في مواجهة أي خطر محتمل في فلسطين. ففرض السيطرة على الطرق الاستراتيجية والتجارية مع لبنان ، وقد ادعى في النقوش التي دوّن فيها انتصاراته بأنه أخضع أعالي الفرات والمملكة الحثية وقبرص لسلطانه، لكن المرجح أنه نقل كثيراً من أسماء البلدان التي ادعى إخضاعها من نقوش قديمة هي على ما يحتمل نقوش تحوتمس الثالث. وفي النهاية قام بعقد معاهدة مع الحثيين من أجل أن يتفرغ لشؤون البلاد. وربما أن كلاً من مصر والدولة الحثية بدأت تمل من الحروب فعقدوا معاهدة احترم فيها كل من الطرفين حدود الآخر وساد السلام بينهما ، وبذلك تمكن سيتى من اسْترجاع بعض من أمجاد الإمبراطورية المصرية التي كانت عليها أيام أسلافه، فتمكن من إخضاع صور المنفصلة عن مصر أيام أمنحوتب الرابع (أخناتون) ومن توطيد المواصلات البحرية مع سوريا، ثم احتل مجددا شمال فلسطين ومنطقة لبنان. وبنى فيها عدة قلاع وخلق قاعدة لينطلق أبعد نحو الشمال [٥].

أرخ رجال سيتى لحروبه كتابة وتصويراً، وسجلوا مراحلها على بعض جدران الكرنك، وصوروا قتال العربات وتدمير المدن وسوق الأسرى في لوحات كبيرة، كما أظهروا ملكهم يقاتل راكباً وراجلاً، وليس

---

١ – سليمان (توفيق)، ص ٢٧٨ .

3 – Spalinger , A ,J, op . cit , p , 36 .

٣ – قدري (أحمد)، ص ٢٤٢ .

٤ – عصفور (محمد أبو المحاسن)، ص ٩٤ .

٥ – ف . دياكوف ، الحضارات القديمة، جـ ١، ترجمة تسنيم واكيم اليازجي ، دار علاء الدين، ط١، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ١٤٤.

راكباً فقط، وصوروه في المعركة يضغط على عدوين تحت إبطيه أيضاً، ومن حوله أولاده يشاركونه الحرب، وكان كل ذلك جديداً في تاريخ التسجيل الفني للحروب [١] .

خلف سيتى ولده رعمسيس الثاني (١٢٩٠ – ١٢٢٤ ق.م) وذلك بعد فترة من مشاركته في الحكم، وكان من الشخصيات المهمة التي فرضت شهرتها على التاريخ وذلك لأنه ورث عن أبيه عرش دولة قوية ذات ثراء كبير، إضافة إلى أنه شاركه في الحكم بضع سنين فاكتسب خبرة في شؤون السياسة والحرب، وتولى الحكم شاباً تملؤه آمال واسعة كما أنه وجد في رجاله مدنيين وعسكريين، خبرة واسعة مكنته من تحدي أكبر قوة في عصره وهي الدولة الحثية، وامتدّ حكمه فبلغ سبعة وستين عاماً أنجز له رجاله خلالها عدداً من المعابد والقصور والتماثيل. أهّله كل ذلك ليتبوأ المكانة العظمى التي عرف بها كملك عظيم شجاع في تاريخ العالم القديم بأسره [٢] .

ووجد على أحد جدران معبد أبيدوس نص يقول رعمسيس فيه : " **إن الإله عظمني وباركني منذ أن كنت طفلاً إلى أن وليت الحكم لقد أعطاني الحق في إقامة العدل على الأرض واختارني والدي لوراثة حكم الوجهين القبلي والبحري، وأمر بتعييني قائداً على قوات المشاة وقوات الفرسان وأمر بتتويجي أثناء حياته ليشركني معه في الحكم وقال عني : توجهوه كما لو كان ملكاً وضعوا على رأسه التاج الأكبر أريد أن أشاهد جماله وبهاءه وأنا حي** " [٣] .

حاول رعمسيس الثاني استكمال ما بدأه سيتى في التوسع نحو الشمال، وكانت سوريا في ذلك الوقت تحت حكم الحثيين، وهم القوة الوحيدة التي تسبب المتاعب لمصر، إذ تزعموا محاولات استقلال كل من سوريا وبلاد الرافدين وأرمينيا وآشور ، وأوردت الأنباء المصرية ألحربية التابعة للجيش المصري أخباراً تفيد بأن ملك الحثيين يعد جيشاً لمواجهة مصر ، لذلك كان لا بد من أن يتقابل الطرفان، فشنّ هجوماً كبيراً على الحثيين في العام الرابع من حكم رعمسيس، حيث تحرك للقيام بعمل عسكري في سوريا، إذ يشير نص نقش في العام الرابع على نصب تذكاري أقيم عند نهر الكلب بالقرب من بيروت، إلى قيام رعمسيس الثاني بحملة عسكرية، ويبدو أن هذه الحملة كانت استطلاعية لتأمين طرق

١ – صالح (عبد العزيز)، ص ٣٣٢.
٢ – المرجع نفسه، ص ٣٣٣ .
٣ – السويفي (مختار)، ص ١٢٥.
٤ – الأنصاري (ناصر)، المجمل في تاريخ مصر، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٤٠ .
٥ – السويفي (مختار)، ص ١٢٥ .

مواصلاته ، وسارت هذه الحملة بالمصريين من ثارو (القنطرة) إلى أرض كنعان وصور ثم بيبلوس، ثم توغلت شرقاً في بلاد أمورو وفاجأ المهاجمون الأمير "بنتسينا" أمير بلاد أمورو حليف الحثيين فقدم لهم فروض الطاعة والولاء ثم عادوا إلى مصر عبر فينيقيا [٢].

معركة قادش

استغل الملك الحثي "مواتللي" انشغال رعمسيس الثاني بتوطيد نفوذه في نواحي "جبيل" فألف جيشاً كبيراً بالتحالف مع ممالك أجنبية مختلفة فانضم إليه ملوك نهارينا وأرواد وكركميش وقادش وأوغاريت وحلب وأمراء آسيا الصغرى، وذلك للقضاء على النفوذ المصري بسورية ، كانت قد توفرت لرعمسيس[٣] الثاني أسباب عديدة دفعته لتجهيز جيش لملاقاة الحثيين ومنها، أن الحثيين قد بسطوا نفوذهم على كافة المناطق السورية وأصبحت تجارة غرب سورية خاضعة لمراقبتهم، مما دفع ملك قبرص إلى الكتابة لملك مصر يشكو إليه هذا الأمر، فألحق الضرر بمصالح البلاد. وسيطر الحثيون على الثروات الطبيعية في سورية، من أخشاب ومعادن وحبوب ومواد عديدة أخرى كانت متوفرة فيها، وتعد هذه أسباباً اقتصادية. أما العوامل العسكرية الاستراتيجية التي دفعت المصريين إلى اليقظة من جديد والاستعداد لمواجهة تهديد الحثيين خاصة أن الكنعانيين في فلسطين كانوا على استعداد للتعاون مع هؤلاء الحثيين ضد الوجود المصري هناك، وكانوا قد عرضوا على الملك الكاشي التعاون معهم ضد الملك المصري من قبل، فكيف لا يقبلون الآن التعاون مع حليف على استعداد لقبول طلباتهم ، لهذا كان على الملك أن يجهز حملة أكبر من الأولى ليتمكن من مواجهة الحثيين، فانطلق بحملته الثانية ضد الحثيين في العام الخامس من حكمه حيث ذكرت النصوص: " **اتجه جلالته شمالاً على رأس قوات المشاة والمركبات الحربية، وبدأ مسيرته في اليوم التاسع من الشهر الثاني من فصل الصيف من العام الخامس من حكمه دون أدنى معوقات، وتجاوز جلالته حصن "سيلا" وتقدم قوياً جسوراً كأنه الإله مونتو، وارتعدت فرائص أهل البلدان التي مر بها وسعى إليه زعماؤها يقدمون له الجزية،**

١ – قدري (أحمد)، ص ٢٤٢ .

٢ – غريمال (نيقولا)، ص ٣٢٥.

٣ – أحمد (محمود عبد الحميد)، ص ٢٤٣ .

٤ – سليمان (توفيق)، ص ٢٧٩ .

وأحنى العصاة ظهورهم وهم يرتعدون خوفاً من سلطة صاحب الجلالة وتخترق قواته الدروب وكأنها تنتقل عبر طرق مصر" .[١]

أراد "مواتللي" إثبات قوة دولته فاستعد، وبدأ توسعه حتى بلغ نهر الكلب شمالي بيروت، وكان الحثيون قد اتخذوا من مدينة قادش مركزاً لعملياتهم الحربية، لما لها من أهمية استراتيجية، من حيث وقوعها بين ثلاث مساحات مائية وإشرافها على وادي النهر الكبير، وأضافه إلى تحكمها في مدخل وادي البقاع أحد طرق التجارة الرئيسية مع بلاد النهرين ، فهي مفترق للطرق الرئيسية[٢] الفاصلة بين السهول والجبال وتشكل مفتاح الطرق المؤدية من الداخل إلى البحر من كل ذلك تفهم الأسباب التي كانت تدفع ملوك مصر الفاتحين في العهود السابقة إلى الاستيلاء عليها، انحدر الحثيون من آسيا الصغرى، مكتسحين كل الدويلات التي أمامهم، وكان هدفهم الاستيلاء على قادش، لتكون قاعدة أمامية لهم وتحرم ملوك مصر من الانتفاع منها .[٣]

كان المصريين قد سعوا إلى القضاء على قوة الحثيين بهجوم مفاجئ للاستيلاء على قادش، وتدل على ذلك السرعة التي تقدمت بها الجيوش المصرية، حيث وصلت إلى التلال المشرفة على قادش بعد شهر واحد من عبورها حدود مصر الشرقية.

شاركت في معركة قادش نحو عشرين ولاية على الأقل من الولايات والمحميات التابعة للحثيين في مناطق آسيا الصغرى، والقوات التي استخدمت كانت كبيرة العدد، وكلها كان تحت قيادة "مواتللي "، وهو ما يدل على تحضير كلا الجانبين لهذه المعركة. وقدرت المصادر المصرية أن الهجوم الذي شنه سلاح المركبات الحربية لجيش الحثيين قد شاركت فيها ٢٥٠٠ مركبة حربية أما عدد المشاة فيها فكان يتراوح ما بين ١٦ ألفاً و١٨ ألف جندي، أما القوات المصرية فقد بلغت نحو ٢٠ ألف محارب، بالإضافة إلى الوحدات الأخرى التي كانت معسكرة في المراكز العسكرية المصرية في مناطق فلسطين وسوريا، وكذلك كانت القوات المصرية ملازمة مؤخرة الجيش لحمايته من أي غارة أو هجوم يقوم به البدو أثناء تقدم القوات إلى قادش .[٤]

---

١ – غريمال (نيقولا)، ص ٣٢٨ – ٣٢٩.
٢ – صالح (عبد العزيز)، ص ٣٣٥ – ٣٣٦.
٣ – زكي (عبد الرحمن)، ص ٢٠٢ – ٢٠٣.
٤ – قدري (أحمد)، ص ٢٣٤ – ٢٤٤

وكان رعمسيس قد جهز جيشاً كبيراً قسمه إلى أربعة فيالق، سمى كل فيلق منها باسم أحد الأرباب المصريين الكبار، آمون، رع، بتاح، ست، واجتاز الجيش وادي البقاع متجنباً الطريق الساحلي الضيق الذي تعترضه مصبات الأنهار على طول الشاطئ الفينيقي، أما مواتللي فقد تقدم بقواته جنوباً حتى مشارف قادش، كما ذكر" **لقد وصل الحثيون، بعد أن عقدوا حلفاً مع سائر البلدان الممتدة حتى البحر، تصحبهم قوات من بلاد نهرين وأورزاوا و "درونى" و"كشكش" و"ماسا" و"بدسا" و "إيرونا" و "كريسكا " و"لوكيا" و "كيزوادنا" و " قرقميش" و "أوجاريت" و"قدى" و" نوجس" و "موشانيت" وقادش وانتشروا في التلال والوديان كأسراب الجراد**" ، ثم اتجه مواتللي بعد ذلك[1]صوب بلاد أمورو فاحتلها وبذلك جرد رعمسيس الثاني من هذه الأرض، كما وحرمه من المساعدة العسكرية لحليفه "بنتسينا" ملك الأموريين، جمع مواتللي قواته الرئيسية شرق قادش فهي تقع في الزاوية الشمالي لنهر العاصي (الأورنت)، واستخدم هذا النهر كخط دفاع طبيعي، مما أعطى ملك الحثيين ميزة التحرك في الوقت المناسب، ومكنه أيضاً من أخذ المبادرة في اختيار أرض المعركة، وكذلك تحديد موعد بدئها .

وتقدم رعمسيس بجيشه بفيلق آمون حتى بلدة شابتونا*، وانتظر وصول نبأ من عيونه، فواجهته هناك خديعة كلفته وجيشه كثيراً من الجهد والرجال، إذ وفد على معسكره جاسوسان، ادعيا أنهما هربا من جيش الحثيين، وأن ملكهم تراجع عن قادش وعسكر في منطقة حلب كما ذكرت النصوص" **وعندما زحف جلالته باتجاه الشمال وأصبح جلالته جنوب مدينة شابتونا قدم إليه اثنان من الشاسو وقالا لجلالته :" أرسلنا اخوتنا من أكابر القبيلة التابعة للأمير الحثي المهزوم لنقول لجلالته : نرغب أن نكون من اتباع فرعون – له الحياة والفلاح والصحة – نريد أن نهرب من الأمير الحثي المهزوم، وأن الأمير الحثي مهزوم موجود الآن في حلب إلى الشمال من تونيب، إنه يخشى أن يتجه إلى فرعون – له الحياة والفلاح والصحة – نحو الجنوب**" ، انخدع رعمسيس برواية ألرجلين وظنها فرصته، واعتزم الإسراع إلى قادش قبل عودة أعدائه إليها فانطلق بفيلق آمون وترك فيلق رع يلحق به، وخلف جنود الفيلقين الأخرين على مبعدة منه، يسيرون على مهل ليحموا ظهره ويبلغوا ساحة الحرب

---

١ – غريمال (نيقولا)، ص ٣٢٩ .

٢ – قدري (أحمد)، ص ٢٤٥ .

*– شابتونا : اسم لمدينة لم يتم التأكد من مكانها وإن كان يحددها (ربلة حالياً) أنظر :
Vandersleyen, C., op: cit.,p. 526

3 - Spalinger , J , Anthony , War in ancient Egypt , 2005 , p 210 .

في الوقت المناسب، وعندما عبر نهر العاصي أخبره جاسوسان الآخران بالأمر الواقع وهو أن الحثيين تواروا بجيوشهم شرق قادش ليداهموا المصريين على حين غرة بعرباتهم، فشعر رعمسيس بالخطر يوشك أن يحيط بجيشه [١].

تقدم رعمسيس بفيلق آمون إلى الموضع الذي ظن أن أعداءه عسكروا فيه، ولكن الحثيين كانوا قد بدلوا مراكزهم بمهارة، واتجهوا إلى جنوب المدينة وعبروا النهر، وتربصوا بفيلق رع حين اقترب منهم فباغتوه فجأة فشطره فريقين، فريقاً عاد من حيث أتى، وفريقاً أسرع رجاله إلى معسكر الملك واحتموا بفيلقه، وفي غمرة الاضطراب الذي أشاعوه في المعسكر بدخولهم المفاجئ، لحق الأعداء بهم، وتصدى المشاة المصريون لهم وانتزعوا بعضهم من عرباتهم فقاتلوهم بالحراب والسيوف، ولكن العدو كان كثير العدد .

ولم يكن السبب في نجاح الهجوم المباغت الذي شنه الحثيون على قادش عائداً إلى مهارتهم بقدر ما كان نتاج ضعف التخطيط الاستراتيجي للحملة العسكرية المصرية، وعدم كفاءة فرق الاستطلاع وضعف جهاز الاستخبارات العسكرية ، وحتى المعلومات التي انتّزعت من الجاسوسين الحثيين عن المواقع الجديدة الحثية شرقي قادش، جاءت متأخرة فقد أمكن الحصول عليها بعد أن تحركت قوات آمون باتجاه نهر العاصي، وعسكرت على مسافة أمتار إلى الشمال الغربي من قادش حيث تتمركز القوات الحثية. وهو ما جعل الوقت متأخراً حتى يدخل المصريون أية تعديلات على مواقع فرقهم ، وكان على رعمسيس القيام بخطوتين هامتين.

الخطوة الأولى أن يزيد من سرعة سير فرقتيه الأخريين، وهو ما أوكله إلى وزيره إذ أمر وزيره بأن يستعجل فيلق بتاح.

والخطوة الثانية أن ينظم هجوماً مضاداً بفرقة آمون [٥].

وكان رعمسيس قد أدرك أن لا فائدة من البقاء لأمد أطول من هذا فجمع ما تبقى من فرقة آمون واتجه صوب الشمال، وسقط معسكره بيد الحثيين، وهنا أضاع الحثيون الفرصة التي سنحت لهم، ذلك أن الحثيين بدلاً من أن يتأهبوا لمطاردة المصريين المرتدين بصحبة الملك، انصرفوا إلى نهب المعسكر

١ – صالح (عبد العزيز)، ص ٣٣٦ .

2- Goedicke , H , The battle of kadesh areassment , mary land , 1985 , p , 95 – 102.

3 – Spalinger , J, Anthony ,op . cit , p , 213 .

4 – زكي (عبد الرحمن)، ص ٢١٤ .

5 – قدري (أحمد)، ص ٢٤٦.

واستطاع رعمسيس أن يعيد تنظيم فرقتي آمون ورع وأن يعاود الهجوم بهما لقتال الحثيين ، فاستقل عربته ولحق به نفر قليل من القادة واستنصر ربه آمون ودعاه بدعاء الابن لأبيه قائلاً : " **ما هذا والدي آمون، هل من شأن الوالد أن يتخلى عن ولده ؟ هل أتيت أمراً دونك ؟ ألم أمش وأقف تبعاً لقولك وما تعديت أمرك ؟ ...ما أجلّ رب مصر العظيم حين يسمح للأجانب بأن يقتربوا من حماه. ما الذي غير نفسك آمون ؟ وما قيمة هؤلاء الأجانب يا آمون، وهم أشرار يكفرون بالرب؟ أدعوك أبي آمون، وأنا بين أجانب كثيرين لا أعرفهم، وقد تضافرت الأقطار الأجنبية ضدي. وأصبحت وحيداً وما من أحد حولي، وتركني جنودي الكثيرون، ولم يلتفت إلي واحد من خيالتي، وناديتهم فلم يستمع واحد منهم إلى ندائى ..**" [1]، وانقض رعمسيس بحرسه الّقليل على جماعات من أعدائه كانوا بالقرب من نهر العاصي واندفع بين صفوفهم، وكاد أن يضيع بين عرباتهم، فأذهلهم باستماتته واستبساله، حيث ذكر "**عندما علم الملك بذلك انقضّ عليهم حاقداً كأبيه مونتو رب طيبة، وحمل سلاحه وارتدى درعه، وكان مثل بعل في ساعته وذهب بنفسه إلى حصانه المسمى "النصر في طيبا" وانطلق بسرعة خاطفة في مقدمة الجيش وحيدا هناك وتوغل في وسط صفوف الأعداء، صفوف أمير البلاد الحثية المهزوم والبلدان الكثيرة معه، وكان جلالته كـ "سوتخ" وبقوته الجبارة عندما غضب في وسطهم وصرعهم وقذف عظمته بهم على رؤوسهم الواحد بعد الآخر في فيضان نهر العاصي، وانتصرت على جميع البلدان، أنا وحدي، عندما تخلى جيشي عني وعربات القتال ولم يعد أحد منهم يلتفت إلي، أقسم بحب رع وبحظوة أتوم لي أن كل شيء قاله جلالته هنا صحيحاً أمام جيشي وأمام عرباتي الحربية** " [2]، وفجأة أدركته الفرق التي[3]كان قد تركها خلفه فعبرت النهر الكبير ولحقت به، وانصبّ أفرادها على جماعة من الحثيين انشغلوا بنهب المعسكر المصري وشتتوهم، فظنهم الأعداء بدايةً جيش كبير وتخاذلوا أمامهم، وهذا ما شد من عزيمة رعمسيس وشدد هجومه، فلم يجد أعداؤه غير النهر أمامهم فألقوا بنفسهم إليه وغرق بعضهم فيه وكان منهم أمير حلب [4] ، وتتابعت جيوش رعمسيس نحوه فأنبهم على تباطئهم عليه، وعاتب ضباطه، وتوالت هجمات رعمسيس بجيوشه على

---

١ – زكي (عبد الرحمن)، ص ٢١٤ – ٢١٥ .

٢ – صالح (عبد العزيز) ، ص ٣٣٧ .

٣ – سليمان (توفيق)، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

٤ – علي (رمضان عبده)، ج٢ ، ص ٢٢٩ .

أعدائه ست مرات، وكانت السادسة هي الفاصلة، فانسحب الحثيون على أثرها إلى مدينة قادش. وهكذا استطاع الجيش المصري أن يقلب موازين المعركة وساعدته ثلاثة عوامل.

العامل الأول استراتيجي الطابع ذلك أن فرقتي بتاح وست اللتين كانتا تضمان نصف قوة الجيش الضاربة، كانتا لا تزالان في طريقهما نحو أرض المعركة، وفور صول المعلومات عن المواقع الحقيقية للقوات الحثية أرسل رعمسيس الثاني وزيره على عجل إلى الجنوب لتنظيم تدخل هاتين الفرقتين في القتال، وهكذا تبدل ما بدا أنه خسارة، لم يلبث أن ثبت أنه كان ميزة استراتيجية حاسمة ، ومن الواضح أن ملك الحثيين، قد أدرك أنه ليس في موقف يمكنه من استخدام كل قواته الضاربة في هجومه على فرقة رع، لذلك فعندما شاهد الموقف الاستراتيجي لجيش المصري وقواته الاحتياطية في الجنوب، لم يستطع أن يهجم بكل مركباته الحربية، واضطر إلى إبقاء احتياطيه خارج المعركة، واستخدمه في هجومه الثاني، عندما بدأ الهجوم المضاد والمنظم لرعمسيس الثاني على الجناح الشرقي لمركبات الحربية على طول النهر، يأتي بنتائج حاسمة، وبعد الإلقاء بكل القوات الاحتياطية من المركبات الحربية في القتال، ووصول فرقة بتاح إلى ميدان القتال، أدرك مواتللي أنه فقد آخر فرصة في إحراز النصر، لذلك أمر بسحب مركباته إلى مدينة قادش .[٢]

أما **العامل الثاني** فهو وصول التعزيزات من قبل الفينيقيين عبر البحر إلى شاطئ أمورو وصلت إلى ميدان القتال تحت إمرة ضباط مصريين، قادمة من الشمال وشاركت في الهجوم المصري المضاد الذي قاده رعمسيس الثاني بنفسه، وأدى إلى منع المركبات الحربية الحثية من الاستفادة من نصرها المؤقت الذي أحرزته في الهجوم الأول على فرقة رع ، وكان **العامل الثالث** فيتمثل[٣] بطريقة تصرف القيادة المصرية من خلال الملك رعمسيس الثاني وأسهم في تخفيف الهجوم المفاجئ للقوات الحثية، فقد أبدى الملك وقواته بسالة نادرة في اقتحام جيش العدو، بمهاجمة المركبات الحربية الحثية على طول نهر العاصي، بدلاً من مواجهة جيش العدو المحتشد على الضفة الغربية، وهو ما أعطى القوة المقاتلة المصرية في الشمال، وفرقة بتاح في الجنوب، الوقت الكافي للتدخل في المعركة ، وذكرت المصادر المصرية بأن ملكهم أوفد رسولاً إلى رعمسيس يعرض عليه السلم ويستعطفه بعبارات لا تخلو

١ – قدري (أحمد)، ص ٢٤٦.

٢ – قدري (أحمد)، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

3 - Goedicke , H , op .cit , 1985 , p

٤– قدري (أحمد)، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

من ألم ومذلة، ويقول : " ... **هل من الخير أن تبطش بعبيدك، ووجهك الكريم يلحظهم دون أن ترحم ؟ وتذكر ما فعلته بالأمس حيت أتيت فقتلت منا مئات الألوف، أتأتى اليوم ولا تبقى من رجالنا باقية ؟ لا تكن قاسياً في حكمك أيها الملك الهمام، فالسلام خير من الحرب** " [١]، ومال رعمسيس إلى الاستجابة من أجل نفسه التي أجهدتها الحرب، ولصالح جيشه، ورحمة بعدوه، وأراد معرفة رأي رجاله فاستدعى رؤساء جيشه وجمعهم وأسمعهم عرض الحثيين، فأجابوه بصوت واحد " **الصلح خير عظيم جداً، مولانا الحاكم، وليس في السلام من بأس. ومن ذا الذي لا يهاب يوم نقمتك ؟** " وبعد ذلك أذن الملك بالإستجابة إلى طلب العدو، وبسط يديه من أجل السلام وقفل راجعاً مع جنوده في أمان إلى أرض مصر ، وورد ذكر هذه المعركة في القصيدة الشهيرة "بنتاؤور" نسبة إلى كاتبها، وتعد هذه القصيدة أحد أهم نماذج القصص المصرية القديمة ، عدد فيها رعمسيس ما قام فيه من أعمال الفروسية والبطولة، وكيف أنه كاد يقضى عليه لولا ما قدّم الإله آمون من مساعدة كبيرة له في محنته [٤].

ولم يكن ما حققه رعمسيس الثاني نصراً وإنما استطاع إنقاذ جيشه، ودليل على ذلك أن رعمسيس بمجرد أن أعرض عن الحثيين قام مواتللي بعزل "بنتسينا " أمير أمورو، ونصب مكانه "شابيلى" فأقام في سوريا سداً منيعاً للتصدي للهجوم المصري ، لكن وعلى الرغم من أن المصريين لم يحققوا نصراً حاسماً، فإن الحثيين أصبحوا يدركون بأنهم يواجهون طموحات مصرية جديدة، وأدركوا أيضاً أن السياسة المتخاذلة أثناء فترة العمارنة، قد ولت وحلت محلها سياسة ذات طابع هجومي [٦].

سجل أعوان رعمسيس أحداث معركة قادش كتابة وتصويراً على جدران معابد الكرنك والأقصر والرامسيوم* وأبيدوس وأبي سمبل، من أجل الذكرى والتفاخر، وغالوا في تصوير جرأته كما غالوا في

١ – صالح (عبد العزيز)، ص ٣٣٨ .

2- Goedicke , H , loc .cit , p 103 – 104 .

٣ – ريوردا (كارل)، ص ٦١ .

٤ – أبو بكر (عبد المنعم)، ص ٥٨

٥ – غريمال (نيقولا)، ص ٣٣٣ .

6 - Spaliger J . Anthony , War in ancient Egypt , 2005 , p 215 .

*– الرامسيوم : عرف هذا المعبد في اللغة المصرية القديمة باسم "المتحد مع واست" وسماه المؤرخ الإغريقي ديو دورس "أوزيمندياس" وقد أتى هذا الاسم من تحريف اسم التتويج للملك رعمسيس الثاني وهو " وسر – ماعت – رع، والذي ربما كان ينطق "أوسى– ما – رع " أما الاسم الحالي هو الرامسيوم نسبة لرعمسيس الثاني، الذي كان قد بناه لآمون ولنفسه إلى الشمال الغربي من تمثالي ممنون، ولا يزال بالإمكان رؤيته، انظر: بوزنر(جورج)، ص ١٢٧.

تصوير عجز أعدائهم، وكان من الطبيعي أن يسجل الحثيون أخبار المعركة بما يحفظ ماء وجههم، فأنكروا في نصوصهم بأنهم قد طلبوا العفو من رعمسيس وادعوا بأنه قد يئس منهم فنزح عنهم، غير أن رعمسيس وإن لم يطرد الحثيين من شمال سورية، فإنه نجح في القضاء على حدة شوكتهم و أفسد خططهم التوسعية، وأوقف تقدمهم بعد قادش، ثم عاد إلى مصر ليستجمع قواه وينتظر الفرصة لمعاودة الهجوم ، لكن المدن السورية وجدتْ فرصتها للعصيان والخروج من النفوذ المصري بتشجيع من خاتي، مما اضطر الملك إلى الخروج إليها في العام السادس من حكمه حيث أخضع عسقلان، وفي العام التالي وصل إلى شمال فلسطين حيث أخضع عدداً من المدن الثائرة في منطقة الجليل ، ثم عاد في العام العاشر وواصل تقدمه في سوريا كلها وأخضع تونيب وأقام تمثالاً له فيها، ثم اجتاح قطنة ، استمر رعمسيس الثاني يمارس نشاطه العسكري، ولدينا من السنة الثامنة عشرة من حكمه لوحة في بيسان تشير إلى نشاطه المستمر في هذه المنطقة، بالإضافة إلى حملة أخرى في عامه الحادي والعشرين مما يدل على أن هذا النشاط العسكري الدائم قد أعاد لمصر هيبتها تماماً .[٤]

استطاع رعمسيس أن يعزل قادش وأمورو عن الشمال مستغلاً المشكلات المتزايدة التي أحدقت بالحثيين ودفعت بهم إلى التراجع عن سوريا، فتمكن "بنتسينا" من استعادة سلطته بفضل التقدم الذي أحرزته القوات المصرية .[٥]

---

١ – علي (رمضان عبده)، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ .

2 - Breasted , J . H . OP . CIT , p , 134

3 - Spaliger , J . Anthony , op . cit , p , 226 .

٤ – سعد الله (محمد علي)، ص ١١٣ .

٥ – غريمال (نيقولا)، ص ٣٣٤ .

رابعاً أثر التحالف الحثي المصري على العلاقات مع بلاد الرافدين

كان موقف الحثيين قد بدأ يسوء، وتفجرت أزمة داخل الأسرة المالكة عقب وفاة مواتللي فاغتصب العرش ابنه غير الشرعي " أورخى تيشوب" عرش البلاد من عمه "خاتوشيلي" وقام بنفيه إلى "هابكيس" وتربع على عرش البلاد واختار لنفسه لقب مورشيلي الثالث، وترك لملك كركميش مهمة مواجهة المصريين والتصدي لهم، وحاول استرداد هابكيس من عمه لكنه انهزم، فتمت استعادت خاتوشيلي الثالث عرشه، وقام بنفي ابن أخيه إلى شمال سوريا، ثم إلى قبرص في المرة الثانية .[1]

حاول أورخي – تيشوب الهرب إلى الملك الكاشي كاداشمان – تورجو (١٢٩٤ – ١٢٧٨ ق.م) ولذلك تدخل الملك الحثي في الشؤون الداخلية للمملكة الكاشية، فدعم جناحاً في القصر الكاشي معارضاً الملك الكاشي كاداشمان – تورجو، وأظهر دبلوماسية بارعة في إقناع الكاشيين بعدم التعاون مع الآشوريين، لأن القوة الحثية تعادل أربعة أضعاف القوة الآشورية، وبما أنه لم يتوصل إلى النتيجة التي ترضيه، لجأ إلى مخاطبة الكاشيين في رسائله بلغة القوة مما دفع البلاط الكاشي ليجيبه في إحدى الرسائل : "**إنك لا تكتب إلينا كأخ، بل وكأننا عبيدك** " ، كان خاتوشيلي محقاً في[2] خوفه من القوة العسكرية الآشورية الصاعدة وتهديدها للمصالح الحثية، إضافة إلى الوضع الداخلي المتوتر في بلاده بسب إزاحته ابن أخيه أورخي تيشوب عن العرش، فأنصاره ظلوا يترقبون فرصة سانحة ليثأروا من خاتوشيلي، لذلك رأى أن الحكمة تستدعي عقد معاهدة صلح وسلام بينه وبين الملك المصري، وبهذا توصلت الدولتان الكبيرتان في النهاية، إلى ضرورة وضع حد للعمليات الحربية، وعقد معاهدة سلام تحدد العلاقات فيما بينهما[3] ، وبالرغم من عدم تحديد الحدود التي تفصل بين منطقتي النفوذ لكل من الدولتين تحديداً دقيقاً، إلا أن المصادر دلت على أن "أوبى" بالقرب من دمشق، والمناطق على الشاطئ السوري حتى سيميرا احتفظ بها المصريون، في حين استعاد الحثيون قادش. مثلت هذه المعاهدة تحولاً واضحاً في العلاقات المصرية الحثية وفي تاريخ الشرق القديم، حيث قرر خاتوشيلي أن يسلك مسلكاً مغايراً مع مصر شجعته على هذه السياسة عوامل عدة منها[4] ، هزات خارجية صدرت من دولة آشور التي بدأت تتطلع إلى نصيب من السيادة في الشرق، فقد أراد خاتوشيلي أن يستعيد

١ – غريمال (نيقولا)، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ .

٢ – توفيق (سليمان)، ص ٢٩٢.

٣ – قدري (أحمد)، ص ٢٥٠.

٤ – علي (رمضان عبده)، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ .

سيطرة الحثيين على شمال سوريا فتصادم مع هذه القوة الجديدة، حيث استولى ملكها الملك أدد – نيراري على الجزء الأكبر من ميتاني القديمة، ثم استقر على نهر الفرات، ثم بدأ يهدد مناطق النفوذ المصرية من ناحية والإمبراطورية الحثية من ناحية أخرى، ورأى خاتوشيلي أنه من الأفضل بدلاً من أن يقتسم قواته في مواجهة كلتا الإمبراطوريتين، أن يتفاهم مع أحد خصومه مصر الأكثر تفهماً [1] ، كما تعرض الحثيون لهجمات من قبائل الكاسكا* التي انتهزت فرصة غياب خاتوشيلي وبدأت اقتحام الحدود الشمالية للبلاد، وكان لتغيب الملك أثره في إعطاء الفرصة لأعداء خاتوشيلي للعمل ضده والتآمر عليه . بالإضافة إلى هزات أخرى[2] تمثلت في تدفق الهجرات الآرية التي أطلقت عليها النصوص المصرية اسم شعوب البحر، على حوض البحر المتوسط، الأمران كلاهما تخوفت منهما مصر وخشيت تأثيرهما في زيادة اختلال توازن القوى، فقررت اتخاذ خطوة إيجابية لإعادة هذا التوازن ، لذلك أوفد ملك الحثيين خاتوشيلي[3] رسولين إلى مصر فعرضا على الملك مشروع معاهدة تحالف بين مصر وخاتي، حيث ذكر" **في هذا اليوم عندما كان جلالته في مدينة بيت رعمسيس ميري – هعمون يقدم الاحترام لوالده عمون – رع، وهاراختي رب البلدين هيليوبوليس، وعمون الـ رعمسيس ذي القوة الخارقة ابن نوت، كما منحوه احتفالات خالدة وسنوات سلام دائمة أبدية، لأن كل بلد اجنبي طأطأ الرأس تحت نعليه إلى الأبد، وعندها قدم رسول الملك والقائد نائب (فرعون) ..الرسول الملكي ... . أوسر– ماعت – رع سيتيب – عن – رع .. تار – تيشيبو ورسول البلاد الحثية، ... سيلي .. حاملا اللوحة الفضية التي بعث بها أمير البلاد الحثية العظيم خاتوشيلي إلى فرعون – له الحياة والفلاح والصحة طالبا من جلاله أوسر – ماعت – رع سيتيب – عن – رع ابن رع عمسيس – ميري عمون، معطى كوالده يوميا حياة الخلود** " ، وكان المشروع مسجلاً بالخط[4] المسماري على لوحة من الفضة باسم خاتوشيلي، فقبله رعمسيس وكتب رجاله نصاً آخر باللغة

١ – سيف الدين (ابراهيم نمير وآخرون)، ص ١١٠ .

*– الكاسكا : قبائل محاربة في صراع شبه مستمر مع الحثيين وقد قلل الحثيون من مكانتهم، ووصفوهم بـ "رعاة الخنازير ونساجو الكتان"، ويبدو انهم برعوا في زراعة الكروم وتصنيع الخمور، انظر : اسماعيل (فاروق)، ص ٦٩ .

٢ – زايد (عبد الحميد)، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص ٥٠٢ .

٣ – علي (رمضان عبده)، جـ ٢، ص ٢٣٤ .

٤ – سليمان (توفيق)، ص ٢٩٤ .

المصرية على لوح من الفضة أيضاً وبعد اتصالات وقّع الملكان على المعاهدة عام ١٢٧٠ ق.م، وبدأ حين ذلك عهد جديد.

وبعد إجراء المفاوضات العسكرية والسياسية، دوّنت نصوص المعاهدة التي تم الاتفاق عليها على برديات ولوحات فضية، كما نقشت نصوصها على جدران معابد الرامسيوم والكرنك والفنتين ، وتم عقد هذه المعاهدة عام ١٢٧١ ق.م وتضمنت المعاهدة مقدمة تشمل التعريف بكل من الطرفين المتعاقدين رعمسيس الثاني والملك خاتوشيلي وبألقاب كل منهما، ومقر كل منهما أيضاً، وذكر طلب الصلح الذي أبداه الحثيون فيها، وكيفية تجديد المعاهدة، ثم نص يبين رغبة الطرفين في استئناف العلاقات الودية القديمة بين الدولتين، ثم تتوالى فيها بنود المعاهدة التي تضمنت ، تعهد كل من الطرفين بعدم الاعتداء على حدود الآخر، واحترم كل منهما كيان الآخر على قدم المساواة معه، دون أن يدعي أحدهما سيادة على الآخر، وتعهد كل من الطرفين بنجدة الطرف الآخر بعسكره إذا تعرض لاعتداء مسلح على دولته، ولم تتعدّ المعاهدة هذا التحالف الدفاعي الثنائي إلى تحالف هجومي على دولة ثالثة، كما تعهد كل من الطرفين بأن لا يؤوي الخوارج الفارين من بلد الطرف الآخر، وإنما يعيدهم إليه أياً كانت مرتبتهم الاجتماعية سواء أكانوا عظماء أو من العوام بشرط عدم التنكيل بهم [٣] ، وأن الآلهة المصرية والآلهة الحثية شهود على هذه المعاهدة مباركة طرفيها وتنزل اللعنة على من ينقضها .

حققت المعاهدة أغراضها، فساد السلام بين الدولتين، وتم تبادل الرسل بين الملكين، ودلت الألواح المصرية على أن رعمسيس أرسل ما لا يقل عن ثماني عشرة رسالة إلى خاتوشيلي وإلى زوجته تودخيبا، وراسلتهما أمه تويا وزوجته نفرتارى ، نفرتارى إلى بودو – هيبات[٥] زوجة ملك الحثيين وتقول فيها :"**إنني في سلام وإنني أتمنى لك يا أختي السلام** " ، كما أن هناك ما يدل أيضاً[٦] على تنشط حركة التجارة بين الدولتين، بعد دخول المعاهدة مرحلة التنفيذ، فقد ذكر أن "هيشميشارما " ابن ملك الحثيين قد اصطحب في عودته إلى بلاده، بعد زيارته مصر سفناً مليئة بالقمح المصدر إلى خيتا .

---

1 - Sivia Anne Sheafer , Ramses the great , New York , 2009 , p , 92 .

٢ – السويفي (مختار)، ص ١٢٨ .

3- Sivia Anne Sheafer, loc. cit , p , 92

٤ – السويفي (مختار)، ص ١٢٨ .

٥ – صالح (عبد العزيز)، ص ٣٤١ .

٦ – علي (رمضان عبده)، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ .

٧ – قدري (أحمد)، ص ٢٥٠.

ومما يدل على توثيق العلاقات بين مصر و خاتي قصة الأميرة الصغيرة، جاء في هذه القصة أن حما الملك المصري كان قد طلب من صهره أن يرسل تمثال المعبود خسو إله القمر بطيبة، إلى مدينة بختن (على مقربة من الفرات) كي يطرد الأرواح الشريرة التي حلت في ابنته الصغرى، وكان لإله القمر فيما يزعمون قدرة على طرد الشياطين براً وبحراً، وقد أجاب رعمسيس ملتمس صهره وشفيت الأميرة من المرض بفضل التمثال. وعلى الرغم مما اشتملت عليه هذه القصة من أشياء لا يقبلها العقل، فإنها تدل على العلاقات الطيبة التي قامت بين مصر والحثيين .[١]

كان لهذه المعاهدة انعكاسات على بلاد الرافدين فقد استفاد شلمنصر الأول (١٢٧٤ – ١٢٤٥ ق.م) من هذه الظروف الدولية فوصلت قواته إلى كركميش، بينما توصل ابنه توكولتي نينورتا الأول الذي حاول ضم بابل الكاشية إلى مملكته إلى بسط سيطرته مؤقتاً على كل بلاد الرافدين، غير أن هذه المحاولة لم تستمر طويلاً، إذ أعقبت ذلك ثورة أدبية وفنية في بابل أدت إلى إخراج الآشوريين منها. بل وتطورت حتى تمكنت بابل من وضع آشور نفسها تحت حمايتها زمن الملك البابلي أدد شوا أوصر (١٢١٨ – ١١٨٩ ق.م)، وبالتالي أصبحت مصر وبابل أكبر قوتين في الشرق الأدنى القديم في مطلع القرن الثاني عشر ق.م. أما الإمبراطورية الحثية فقد كانت واسعة الأرجاء ولكنها كانت تعاني من أخطار شديدة بدأت تحوم في الحوض الشرقي للمتوسط من قبل ما يعرف باسم "شعوب البحر" .

كان على المصريين مواجهة شعوب البحر التي زادت أعدادها من ناحية الغرب، كانت قبائل المشوش والربو منها، بدأت أخطارها تتفاقم على الحدود الليبية، وكانت هذه القبائل قد هاجمت مصر من الغرب، في عصر سيتى الأول وكادت أن تصل إلى قلب الدلتا لتستقر بأراضيها الخصبة، درء لتكرار ذلك مجدداً بنى رعمسيس الحصون العسكرية الممتدة من غرب الدلتا حتى منطقة العلمين، ليوقع خصومه تحت ضرورة حماية أنفسهم بدلاً من الهجوم، إلا أن هذه الحصون لم تكن أماناً مستديماً للحدود الغربية بوجه هجمات تلك القبائل، وعاد التهديد من جديد في عهد خلفاء رعمسيس ، وهكذا استطاع رعمسيس الثاني من خلال الحملات الناجحة التي قادها أن يعيد الإمبراطورية المصرية إلى حدودها السابقة التي وصلت إليها في عهد تحوتمس الثالث، بل وأضاف إليها مساحات شمالاً وجنوباً،

---

١ – سيف الدين (ابراهيم نمير وآخرون)، ص ١١١.

٢ – مرعي و فرزات (عيد و محمد حرب)، ص ١٧٦ .

٣ – برايس (تريفور)، ص ٤٧ – ٤٨ .

فشملت بلاد النوبة بأكملها ممتدة حتى الشلال الرابع . أراد خاتوشيلي أن يدعم تحالفه[١] من قبل ملك مصر في العام الرابع والثلاثين من حكمه، فزوجه ابنته، تدل على ذلك المراسلات التي جرت بشأن هذا الزواج والتي كانت بين رعمسيس الثاني والملكة الحثية تودخيبا زوجة خاتوشيلي الثالث، فقد كانت لهذه الملكة مكانة عظيمة عند زوجها، لعبت دوراً هاماً في شؤون المملكة، حتى تدخلها ببعض القضايا السياسية ، ومن الرسائل التي تبادلها الطرفان[٢] ما كتبه رعمسيس الثاني إلى تودخيبا حيث قال :" **انظري، الملك العظيم، ملك خاتي، أخي كتب إلي قائلاً : "فليأت أناس من أجل سكب زيت جيد وممتاز على رأس ابنتي، ولتنقل (ولتأخذ) إلى بيت الملك الكبير، ملك مصر**"، ومن خلال الرسالة يتبين أن خاتوشيلي الثالث هو الذي عرض إعطاء ابنته كزوجة للملك المصرين وهذا أمر غير مستبعد، فإن مشكلات خاتوشيلي الثالث، الداخلية منها والخارجية، كانت أصعب من مشكلات رعمسيس الثاني، فلم يتصدّ لمشاكل حقيقية، وبالتالي فإن الملك الحثي كان الأكثر رغبة بتمتين أواصر الصداقة مع المصريين . وهناك رسالة أخرى من رعمسيس[٣] إلى تودخيبا يطمئن الملك المصري نظيره الحثي فيها من أن ابنته سوف تصل بسلام إلى مصر "قولي لأخي ما يلي : " فيما يتعلق برسالتك لي : " **انظر، العروس أنا اعطي ...، أنا أعطيتها، ومهرها أكبر من مهر بنات ملك بابل، أنا أعطيت ابنتي عبيداً وقطعان أغنام وخيولاً وأنا سأرسل ابنتي في هذا العام والتي ستحضر العبيد والقطعان والأغنام والخيول إلى بلاد إيا، فليرسل رجلاً لكي يهتم بهم في بلاد إيا " هكذا كتب أخي**، وأنا أجيب بما يلي : " **فيما يتعلق بهؤلاء العبيد وقطعان الخيول والماشية والأغنام ... أنا كتبت إلى سيتي حاكم مدينة رعمسيس المدينة التي توجد في بلاد أوبي من أجل أن يهتم بهم، وهو الذي سيكون مسؤولاً إلى أن تصل العروس إلى مصر**" ، وروت المصادر المصرية[٤] قصة هذا الزواج من وجهة نظرها فقالت : "**ظل عظيم خاتي يكتب إلى جلالته عاماً بعد عام يسترضيه دون جدوى، ولكنه حين وجد أرضه في حالة عوز شديد بقدرة جلالته، قال لعسكره وأهل بلاطه : ما معنى أن تبور أرضنا ويغضب علينا سوتخ وتحرمنا السماء من فيضها، كأنما قدر علينا أن نفقد كل مالنا وابنتي في المقدمة ؟ علينا أن نقدم فروض الطاعة إلى الرب الطيب حتى يهبنا الحياة والسلام** "، ووصل وفد

---

١ – السويفي (مختار)، ص ١٢٥ .

2 – Spaliger , J , Anthony , op . cit , p , 227 .

٣ – قابلو (جباغ)، ص ٢١ – ٢٢ .

٤ –المرجع نفسه، ص ٢٣ .

الحثيين وملكهم وابنته العروس على رأسهم، فأكرمهم الملك وأشركهم في موائده وجعل العروس من زوجاته وخلع عليها اسم "**مات نفرو رع** " أي الناظرة محاسن الشمس ، وقد حظيت هذه الأميرة الحْثية بمكانة واحترام كبيرين في البلاط المصري، فقد نحت تمثال لها بين التماثيل في عاصمة الملك في تانيس، وصورت مع رعمسيس الثاني في معابد الكرنك وأبي سمبل والفنتين، ولقبت بالزوجة الملكية، والزوجة العظمى، ووضع اسمها داخل خرطوش وتبع ذلك دائماً عبارة ابنة الحاكم العظيم لخيتا ، وهذا يعني أنها حازت مكانة رفيعة كزوجة أجنبية، وربما يرجع ذلك إلى مكانة أبيها ودولته بين دول الشرق القديم، ولكن يلاحظ أنها لم تأخذ لقب "سيدة الأرضين" ربما لأنها لم تكن مصرية، وبالتالي لا يمكنها أن تنقل حق الإرث إلى أولادها . وشهد عصر رعمسيس زوّاجاً ثانياً للملك من أميرة حثية ثانية، فقد عثر على حجر من الجرانيت الأسود بمعبد قفط* ودل جزء منها على زيارة قام بها الأمراء الآسيويون لمصر يحملون الهدايا الكثيرة لرعمسيس الثاني مع ابنة ملك خاتي .[٤]

والنص يبدأ" **رؤساء كل البلاد حاملين جزيتهم، كثير من الذهب، كثير من الفضة، والأحجار الكريمة من كل نوع، كثير جدا من أسرى بلاد كشكش، كثيرا جدا من أسرى، كتابات الملك رعمسيس، كثير جدا من قطعان الماعز، كثير من الماشية الصغيرة أمام ابنته الثانية، رعمسيس الثاني معطى الحياة لمصر للمرة الثانية** "، وطبيعي أن الزواج الأول قد أخذ قدراً كبيراً من الاهتمام، وخاصة فيما يتعلق بتصوير هذا الحدث حيث سجل الزواج الأول فيما لا يقل على ثلاث لوحات زواج، أيضاً فيما يتعلق بالزواج الثاني، فيبدو أنه قد نقش على أكثر من نص، كما كان المهر المقدم من خاتي سواء في الزواج الأول أو الثاني كبيراً جداً، كان هذ الزواج السياسي قد عكس العلاقات الطيبة بين الدولتين والتي تدعمت بعد توقيع المعاهدة في العام الحادي والعشرين من حكم رعمسيس الثاني، كما دل هذا الزواج أيضاً على أن القوى الحثية بدأت فعلا في التضاؤل بمقابل تعاظم قوة آشور التي بدأت تتطلع

---

١ – علي (رمضان عبده)، جـ ٢ ، ص ٢٣٥.

٢ – قابلو (جباغ)، ص ٢٤ .

٣ – سعد الله (محمد علي)، ص ١١٨ .

*– قفط: تقع بلدة قفط على الضفة الشرقية للنيل، وقد ورد اسمها في النصوص المصرية القديمة "كبتيو"، وفي النصوص القبطية "قفط " و"قبط" واسمها الإغريق "كوبتيوس" وكانت لها أهمية اقتصادية لوقوعها على بداية الطرق الموصلة إلى محاجر الصحراء الشرقية ومناجمها، لذا اشتهر معبودها الرئيسي "مين" كحامٍ للقوافل والطرق الصحراوية، انظر: أديب (سمير)، ص ٦٥٨.

٤ – قابلو (جباغ)، ص ٢٥ .

إلى أن يكون لها سيادة بفضل نمو اقتصادها وقوتها الحربية، وكفاءة شخصيات ملوكها، وخاصة أن هذا الزواج قد حدث من جانب واحد. إذ لم يحدث أن زوجت أميرة مصرية إلى أي من أمراء الحثيين، وهذا ما يعكس قوة مصر في تلك الفترة. فقد سعى الجميع من جديد إليها يطلبون صداقتها والارتباط بها وعدّ الزواج وسيلة لذلك، لذا وجدت عدة زيجات سياسية أخرى ضمن حريم رعمسيس الثاني، حيث تزوج من إحدى الأميرات البابليات وهي ابنة كاداشمان انليل الثاني، كما تزوج من أميرة من سوريا الشمالية هي ابنة ملك يسمى زلابي، وربما كان دافع بابل لهذا النوع من الزواج ضمانها حليفاً قوياً، في مواجهة قوة آشور المتزايدة، على حين كان دافع الأمير السوري مادياً .[١]

١ – سعد الله (محمد علي)، ص١١٩ – ١٢١ .

خامساً غزو شعوب البحر وأثره على المنطقة

شعوب البحر هي مجموعة من الشعوب القديمة التي هاجرت عن طريق البحر الأبيض المتوسط، باحثين عن مكان للاستقرار فيه، سواء في مصر أو سورية وفلسطين واستطاعوا الوصول إلى الممالك الواقعة إلى شرق حوض المتوسط فقاموا بتدميرها ومنها الإمبراطورية الحثية التي شهدت الكثير من الهجمات من مختلف القبائل المجاورة لها ، وذلك أثناء حكم تودخاليا الرابع الذي خلف أباه خاتوشيلي الثالث، وكانت عليه مواجهة العديد من الصعوبات عند توليه العرش، ذلك أن مناطق عديدة من الإمبراطورية الحثية بدأت تنفصل عنها، من الجهة الغربية للبلاد على الأخص، فاضطر الحثيون أن يقاتلوا اللوكيين ونهر سيها وميلاواندا وأهياوا (غرب الأناضول)، كما وصعَّد استقرار آشور وتوسعاتها من خطورة الوضع على النفوذ الحثي بالمنطقة، حيث وصلت في عهد شلمنصر الأول إلى الفرات الأعلى قرب مالاتيا إذ بسطت سيطرتها على أغنى مناجم النحاس بالمنطقة.

نجح تودخالياش الرابع في احتواء التقدم الآشوري نحو كركميش، كما قام بغزو قبرص في محاولة منه للحصول على بعض من معدن النحاس تعويضاً لما فقده على يد الزحف الآشوري ، فقد عرفت بأنها أقدم مورد للنحاس، ولعبت دوراً هاماً في المواصلات البحرية بين الشرق والغرب، من مصر وسورية إلى البحر الإيجي، فأدرك الحثيون أهمية الجزيرة في الاتصال البحري التجاري بسورية وعلى الأخص حين تعرض الطرق البرية لهجمات الأعداء. فغزاها، ويبدو أن حكام سورية الموالين له قد عاونوه في تلك الحرب ، ثم عقد تحالفاً مع أمورو كانت أهم بنوده التزام الأخيرة بعدم التعامل مع آشور تجارياً .

٢

عمل تودخالياش الرابع على الاهتمام بإعادة تحصين حدوده الغربية خوفاً من التهديد الذي بات محيطاً بإمبراطوريته من الاتجاه الإيجي والدول الأوربية من خلفه، وحين وفاته عام ١٢٢٠ ق.م، كانت هذه المخاطر قد بدت واضحة، وأصبح مصير الإمبراطورية الحثية المحتوم وزوالها قاب قوسين أو أدنى.

اعتلى عرش خاتي بعد وفاته ملكين انتهت بهما مرحلة عصر الإمبراطورية الحثية، أولهما أرنوانداش الثالث والثاني شوبيلوليوما الثاني.

---

١ – احمد (محمود عبد الحميد)،ص ٢٦٩.

٢ – السعدي (حسين)، جـ ٢ ، ص ٣١٠.

٣ – زايد (عبد الحميد)، ص٥١٧ – ٥١٨.

٤ – السعدي (حسين)، جـ ٢ ، ص ٣١٠ .

١–غزو شعوب البحر على الدولة الحثية

تولى أرنووانداش الحكم بعد وفاة والده تودخالياش وكانت الاضطرابات قد أحاطت بالإمبراطورية الحثية، فاستولى المتحالفون من حكام غرب الأناضول على جزيرة قبرص، وقد استفاد توكولتي نينورتا الأول ملك آشور من تلك الأزمات التي تعرض لها الحثيون، فقام بشن هجوم عليهم وآسر الآلاف منهم حينما تقدم إلى نهر الفرات [١]، وقد عاصر أرنووانداش في مصر الملك مرنبتاح وقد حافظ كل من الملكين على صلات طيبة بالآخر، إذ أن مصر أحست بالضغط من جهة شمالها الغربي، فكان من مصلحتها أن تبقى على وفاق مع الحثيين، لذلك أرسل مرنبتاح في السنة الثانية من حكمه حبوباً إلى الحثيين، حينما تعرض الحثيون، للمجاعات فأنقذتهم مصر بقمحها [٢].

مات أرنووانداش ولم يترك وارثاً لعرشه، وتولى العرش بعده أخوه شوبيلوليوما الثاني، وحاول أن يسيطر على الموقف، وقام بإبرام معاهدة جديدة مع "تالمي تيشوب" ملك كركميش [٣]، كما وجه حملة ناجحة ضد آشور استطاع بها أن يستعيد السيطرة على مناجم النحاس في أيسوا، وعلى الرغم من الأعمال التي قام بها شوبيلوليوما الثاني، إلا إنه لم يستطع إنقاذ الدولة من الانهيار فكانت أعماله مجرد صحوة أخيرة قبل وصول الإمبراطورية الحثية إلى نهايتها المحتومة، أما نهايتها فلم تأتِ من آشور وإنما جاءت على يد شعوب البحر حوالي ١٢٠٠ق.م، حيث دانت لهم الأناضول ثم كليكيا ثم قبرص فشمال سوريا، وأصبحت خاتي شبه متهاوية وكأنها تنتظر أية ضربة تقضي عليها، وقد حدث هذا بالفعل على يد قبائل الكاسكا (جازجا) وجيرانها في الشمال والشرق إذ أنهم أضرموا النار في عاصمة الحثيين [٤].

كانت هذه الشعوب قد تقدمت في موجة كبيرة من البحر المتوسط وعرفت هذه الشعوب في الوثائق المصرية باسم "شعوب البحر" وذكرتهم النصوص المصرية بأنهم" **دبروا مكيدة في جزرهم ولم تستطع البلاد الأخرى التصدي لهم، قاموا بغزو بلاد خاتي وقرقميش وأرزاوا وبعض البلاد الأخرى ...** "

تكونت شعوب البحر من قبائل مختلفة منها، البلست (الفلسطينيون) والثيكل (صقلية) والشكلش و المشواش وغيرهم، وقد أتت تلك العناصر من جزرهم في وسط المتوسط وفي ظروف هذه التحركات

---

١ – زايد (عبد الحميد)، ص ٥١٨.

2 – kubrt , A , op . cit , P , 209 .

٣ – زايد (عبد الحميد)، ص ٥١٨.

٤ – السعدي (حسين)، جـ ٢ ، ص ٣١١ – ٣١٢ .

انهارت طروادة، ثم الإمبراطورية الحثية التي دمرت عاصمتها حاتوشا، وبذلك سقطت الإمبراطورية الحثية التي استمرت قرابة قرنين ونصف قرن من الزمان، بقيت خلالها القوة العظمى في الشرق تسيطر على الطرق الرئيسية لتجارة المواد الخام ، ثم اتجهت إلى كركميش،[1] وبعدها مدن الساحل السوري وبخاصة أوغاريت ، كان الملك المصري مرنبتاح[2] قد أرسل جنوداً لمساعدة أوغاريت للدفاع عن نفسها ضد شعوب البحر .[3]

جاء في الوثائق المصرية عن تلك الجماعات ما يلي " **لم يستطع أحد أن يقف أمامهم من خاتي إلى ما بعدها، حطمت قود، كركميش، أرزاوا، وقبرص** " ، لكن الموجة الأخيرة لهذه الغزوات[4] توقفت عند الحدود المصرية، فقد استطاع رعمسيس الثالث التصدي لها ، وبذلك عملت شعوب البحر[5] باحتلالها مناطق من سورية وفلسطين على نشر الاضطراب في المناطق التي كانت دائماً تسعى للتوسع والانتشار ويعمها الهياج، وبقيت آثاره في البلاد في أواخر القرن الثاني عشر حيث أدى إلى تشكل بيوت حاكمة آرامية عديدة في سورية وبلاد الرافدين .[6]

١ – السعدي (حسين)، جـ ٢ ، ص٣١٢ – ٣١٣

2 - Nigel stillman and nigel tallis , op . cit , p 42 .

٣ – مهران (محمد بيومي)، ص ١٣٤ .

٤ – زايد (عبد الحميد)، ص ٥١٩ .

٥ – مرعي و فرزات (عيد ومحمد حرب)، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

٦ – مرعي و فرزات (عيد ومحمدحرب)، ص ١٧٧ .

الخاتمة

حاولت في هذا البحث إلقاء الضوء على مرحلة من مراحل تاريخ الشرق الأدنى القديم، والتي كانت الأكثر تعقيداً وغموضاً وتداخلاً في أحداثها، من خلال العلاقات الكثيرة التي طرحت في الرسالة، ومن خلال البحث الذي قمنا به توصلنا إلى عدة نقاط منها.

أن سورية كانت محطاً للصراع، لكل من مصر وبلاد الرافدين والدولة الحثية، بسبب موقعها وثرواتها الاقتصادية وخصوصا الأخشاب التي كانت مصر مستوردها الأول، بالإضافة إلى المعادن، كذلك الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للمدن الساحلية في سورية مما جعل منها مطمعاً لهذه الدول، فكان وجودها محوراً أساسياً في الصراع الذي بقي سجالاً بين هذه الأطراف فلم يستطع أي منها أن يفرض سيطرته عليها بشكل كامل.

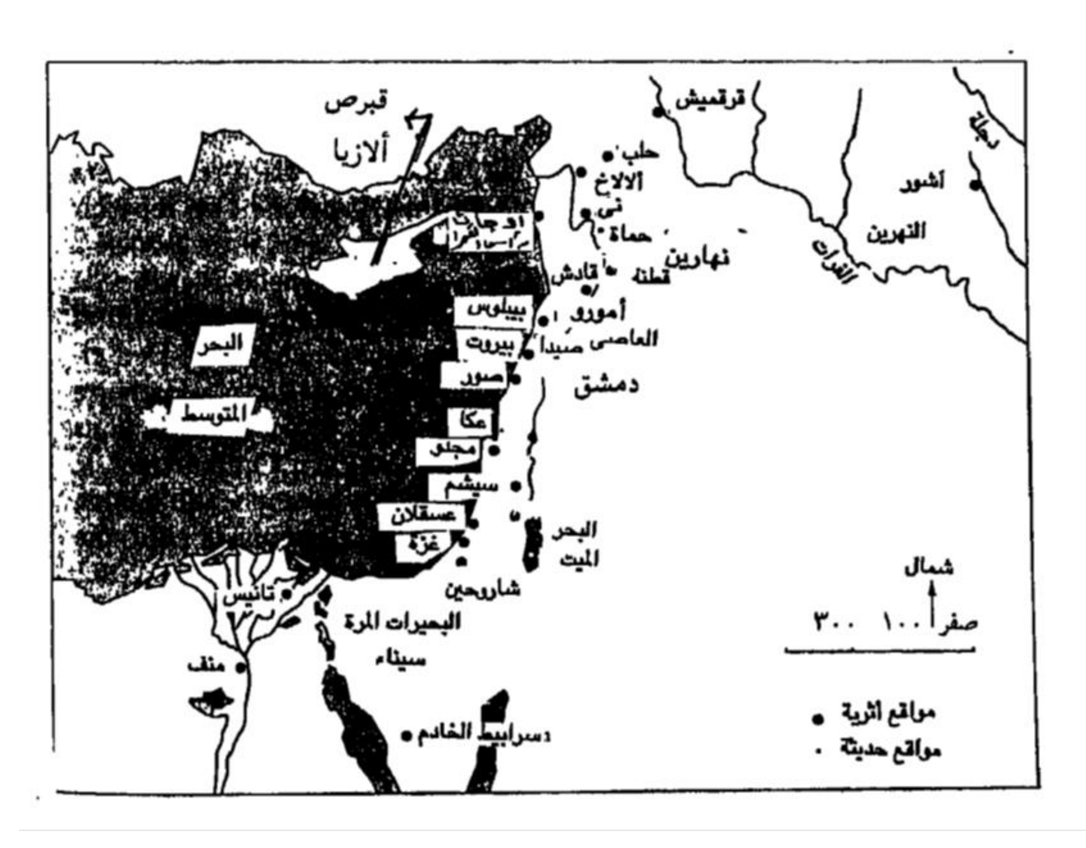
كما اتضح لنا من خلال العلاقات بين مصر وبلاد الرافدين في ذلك العصر قدرة الإنسان على ترك العداء والصراع لينشد السلام في محاولات عديدة من خلال المعاهدات والتحالفات التي عقدت وتوثقت من خلال الزواج الذي ربط مصر مع ملوك بلاد الرافدين وهو ما يدل على عمق الوعي السياسي والفكري لملوك ذلك العصر.

بالإضافة إلى دور العلاقات الدبلوماسية والرسائل المنمقة المتبادلة بين مصر وملوك بلاد الرافدين وسورية والتي أضاءت جانباً مهماً من أوضاع تلك المناطق وجغرافيتها وأهمية موقعها،

ولا ننسى أهمية الذهب ودوره في العلاقات فكان يتم طلبه بالاسم، مما يعطينا فكرة عن الوضع الاقتصادي لمصر ويبين غناها بين دول الشرق القديمة.

وأرجو من خلال هذه الدراسة أن أكون قد قدمت صورة واضحة عن هذه العلاقات ودورها في إظهار أهمية وقوة كل دولة، وأهم الوسائل التي اتبعتها كل منها في الحصول على مبتغاها، وأثرها وانعكاساتها على الدول الأخرى.

الملاحق



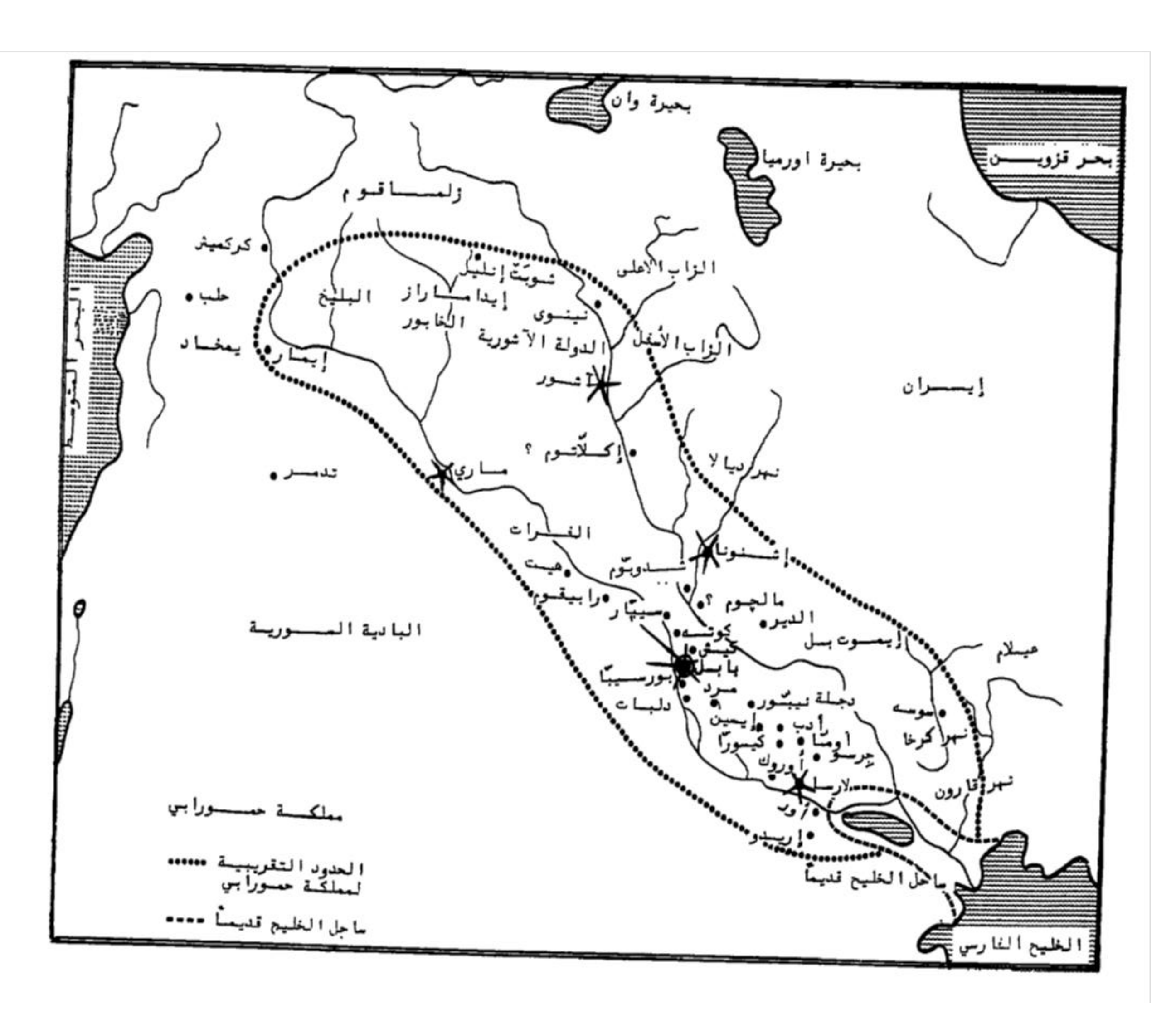
الشكل (١) خريطة مصر والشرق الأدنى القديم في بداية الدولة الحديثة .[1]

١ - جريمال (نيقولا)، ص ٢٦٢ .



الشكل (٢) معركة مجدو .[١]

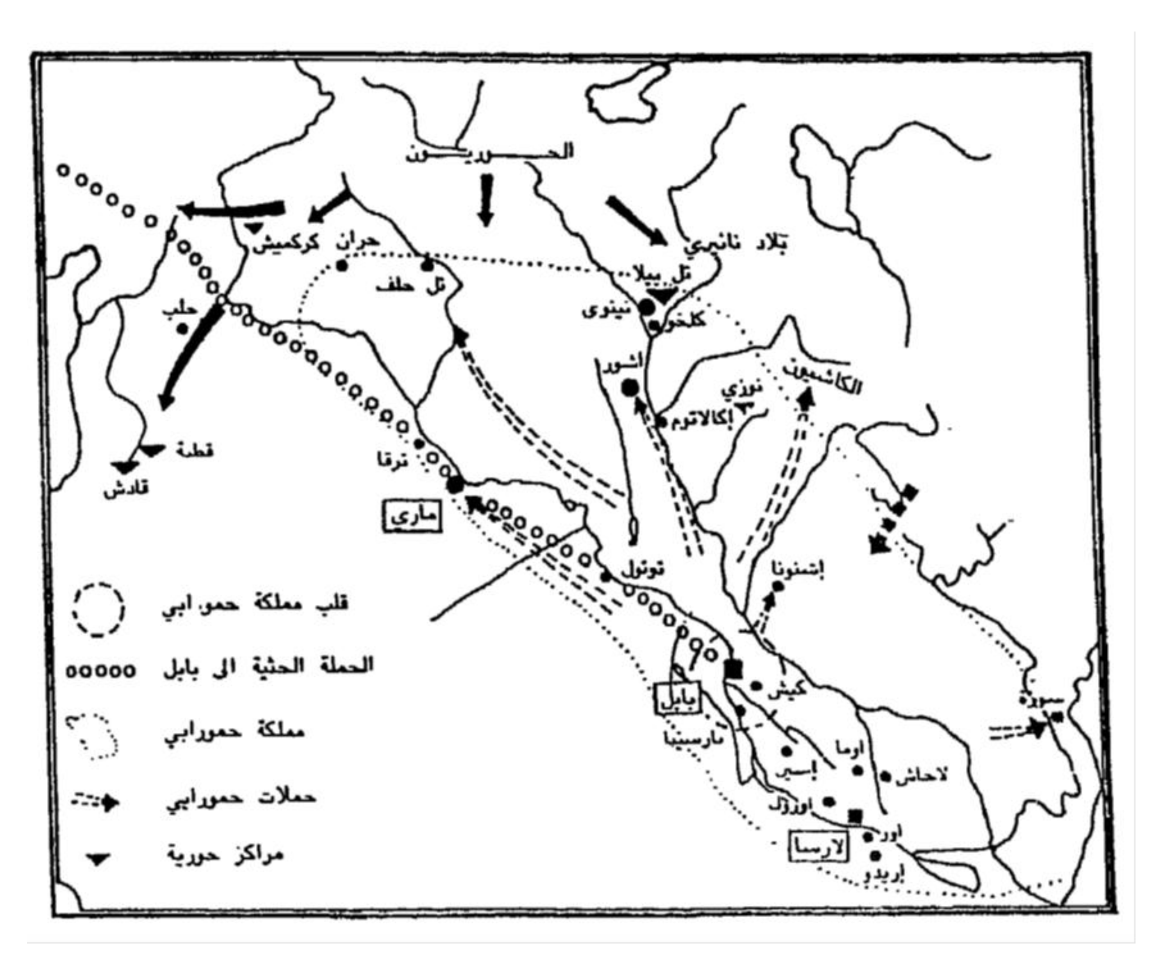
١ – زكي (عبد الرحمن)، ص ١٣٨.



الشكل (٣) مملكة حمورابي .[١]

---

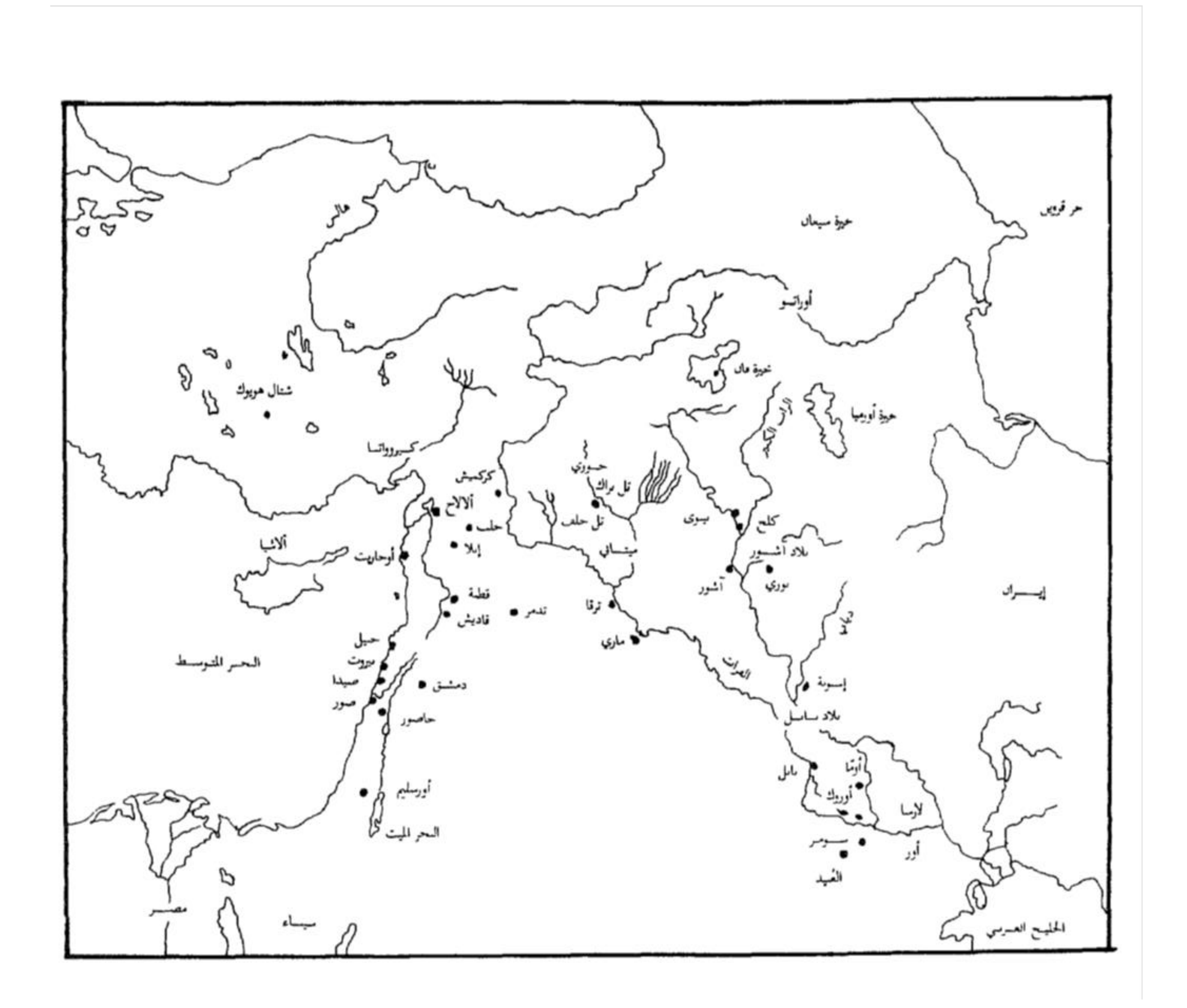
١ – الحلو (عبد الله)، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، دار بيسان، ط١، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٨٥.



الشكل (٤) مملكة حمورابي البابلي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد .[١]

---

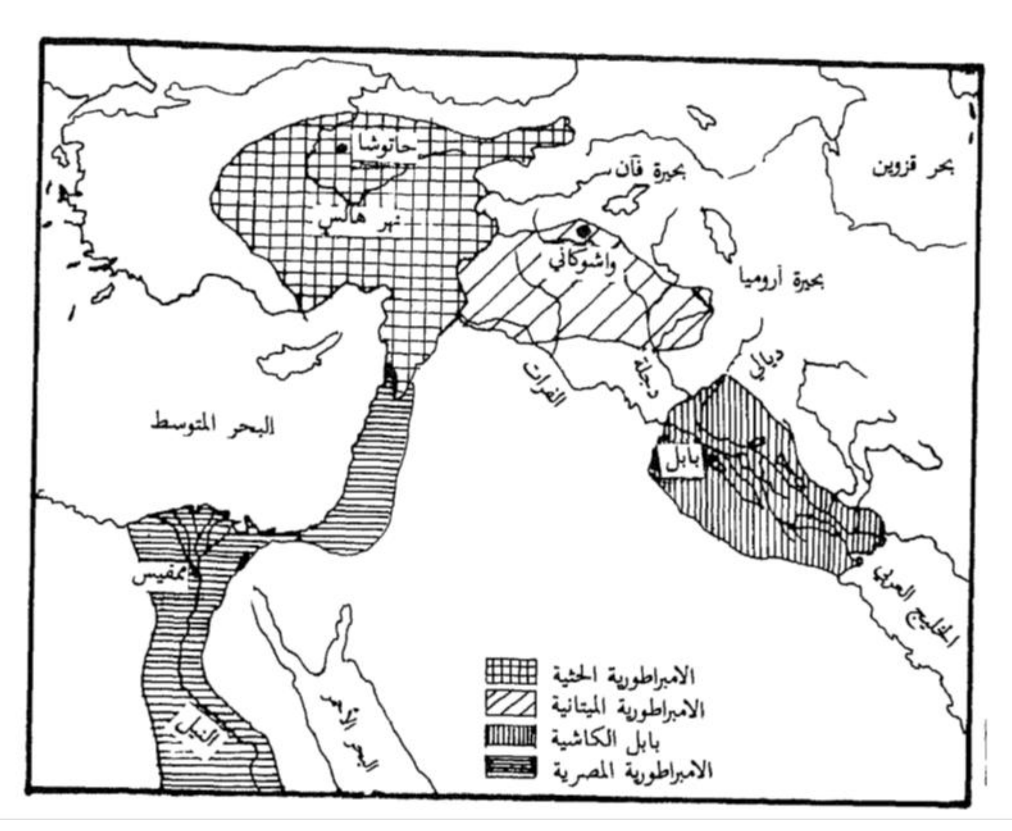
[١]- سليم (أحمد أمين)، ص ٢٣٨.



الشكل (٥) مصور بلاد الرافدين وسورية في العصور القديمة .[١]

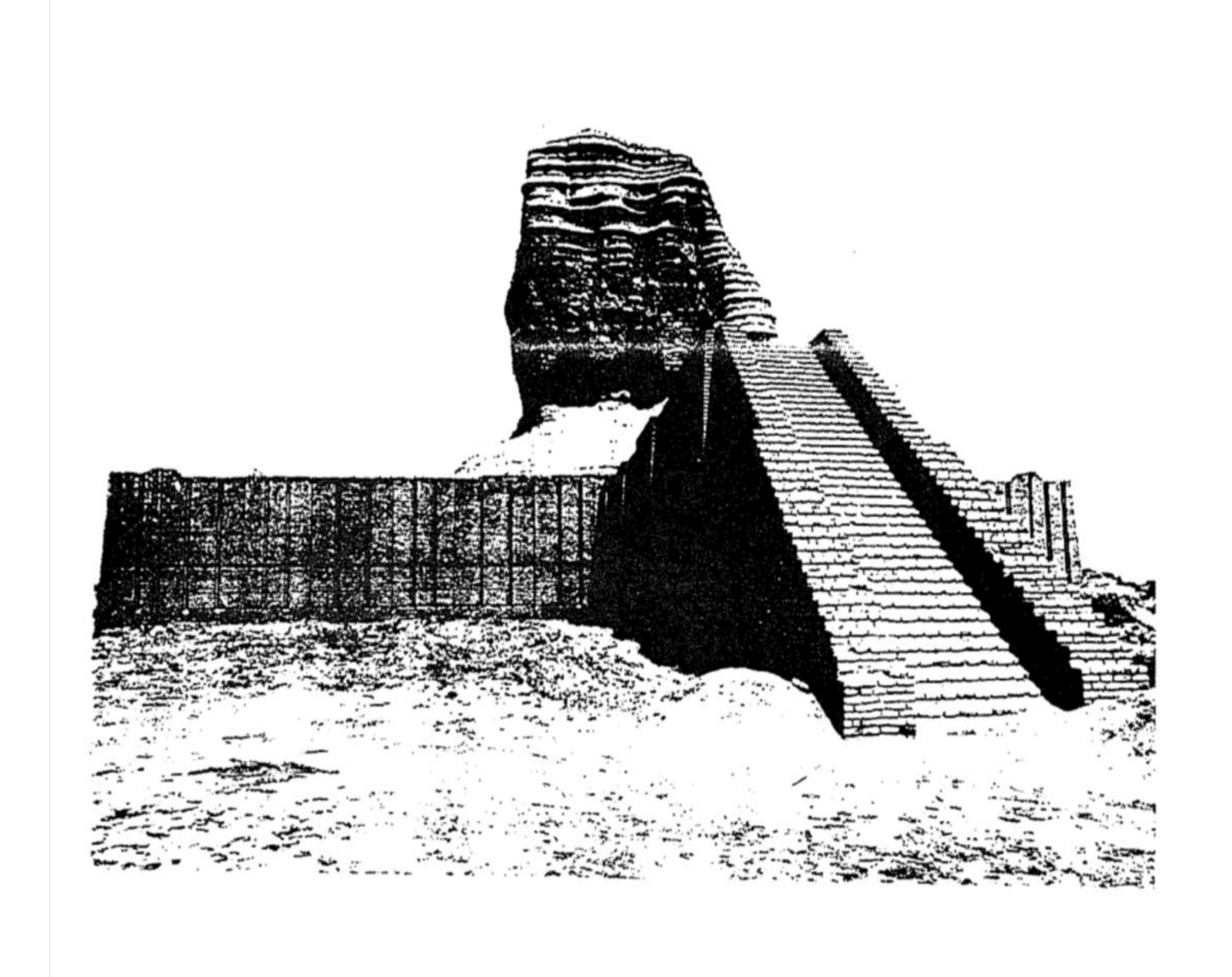
---

١ – مرعي وفرزات (عيد ومحمد حرب)، ص ١٠.



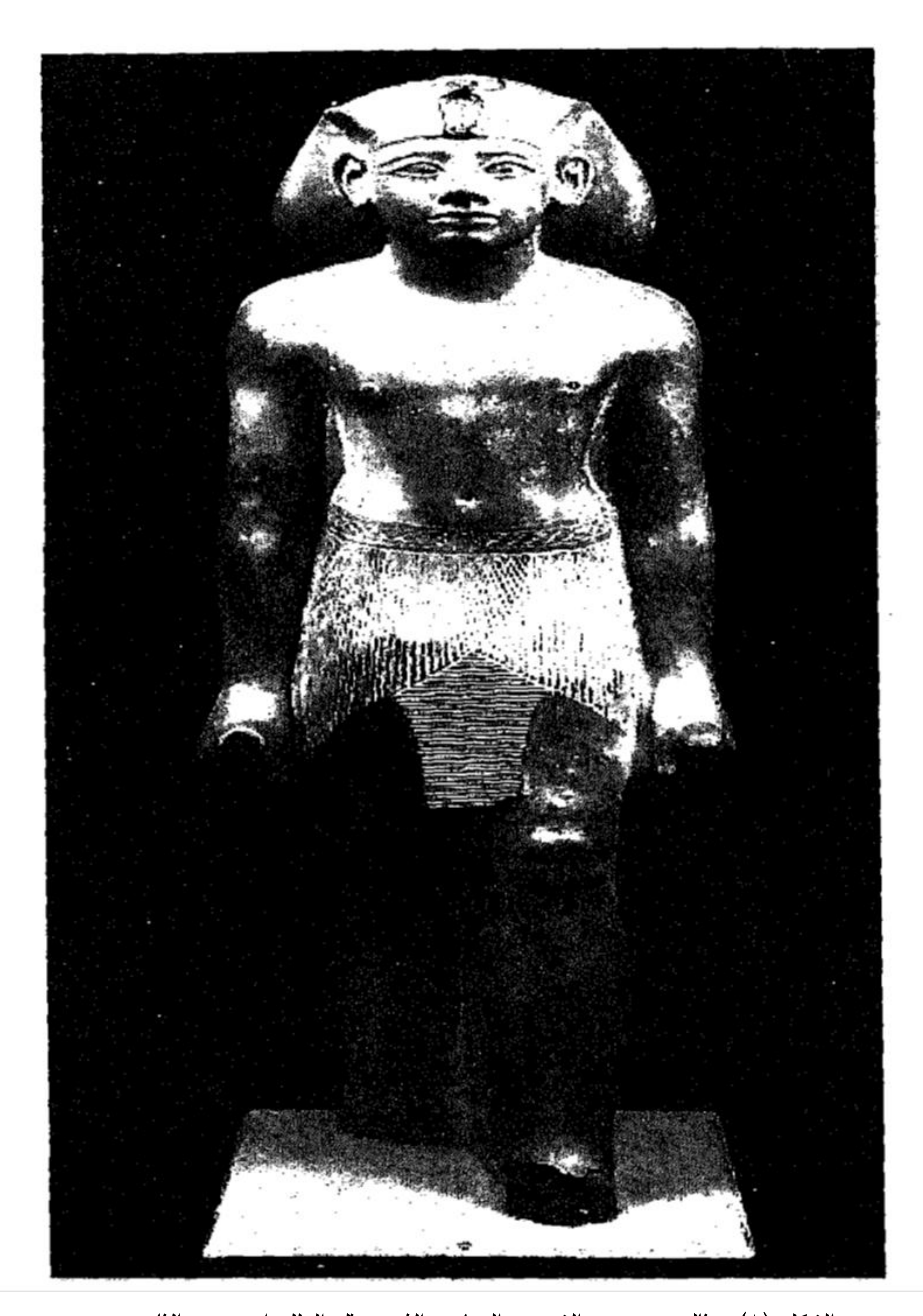
الشكل (٦) الشرق الأدنى القديم في القرن ١٥ ق.م .[١]

١ – مرعي وفرزات (عيد ومحمد حرب)، ص ١٥٨.



الشكل (٧) زقورة دور كوريجالزو المسماة اليوم عقرقوف (عاصمة ملك الكاشيين كوريجالزو الثاني) .

١ – الحلو (عبد الله)، ص٩٥.



الشكل (٨) تمثال من حجر الشيست الرمادي الذي يمثل الملك امنحوتب الثاني .[١]

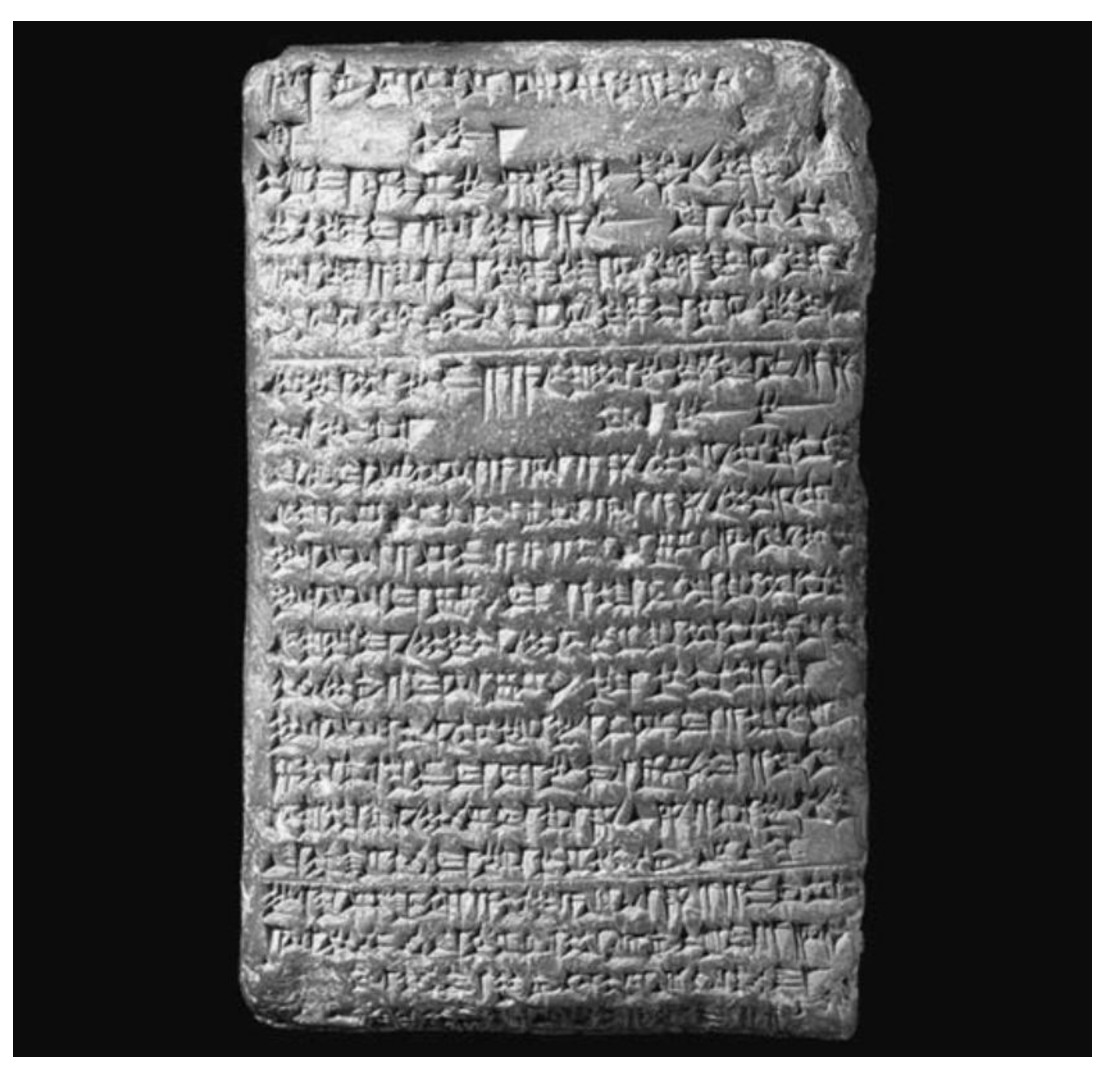
١ - السويفي (مختار)، ص ٢٠٨ .



Amunhotep II battle reliefs. Cairo Museum JE 36360

الشكل (٩) نقوش معارك امنحوتب الثاني (متحف القاهرة) .

1 – Spalinger, Anthony, J , War in ancient Egypt , London, 2005 , P 142



Letter from Burnaburiash, king of Babylon, to Amenophis IV, king of Egypt found at Amarna in Egypt. (the British Museum

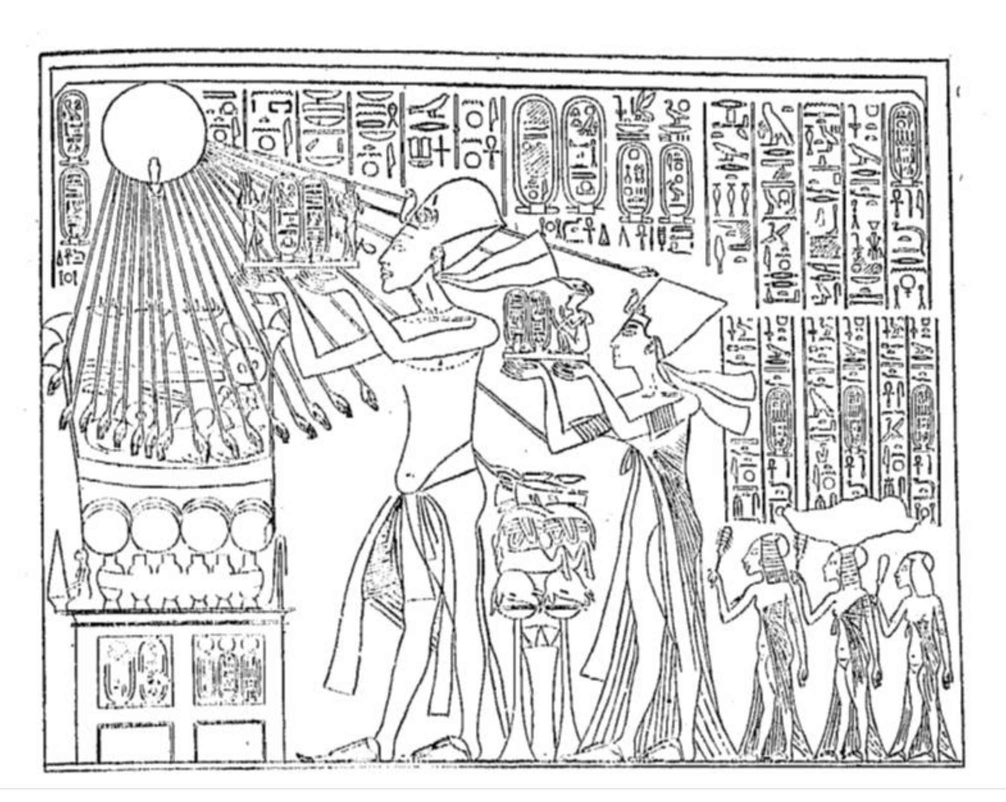
الشكل (١٠) رسالة من برونابورياش ملك بابل إلى امنحوتب الرابع وجدت في العمارنة بمصر (المتحف البريطاني) .

1- Gwendolyn, Leick, op.cit, P 489.



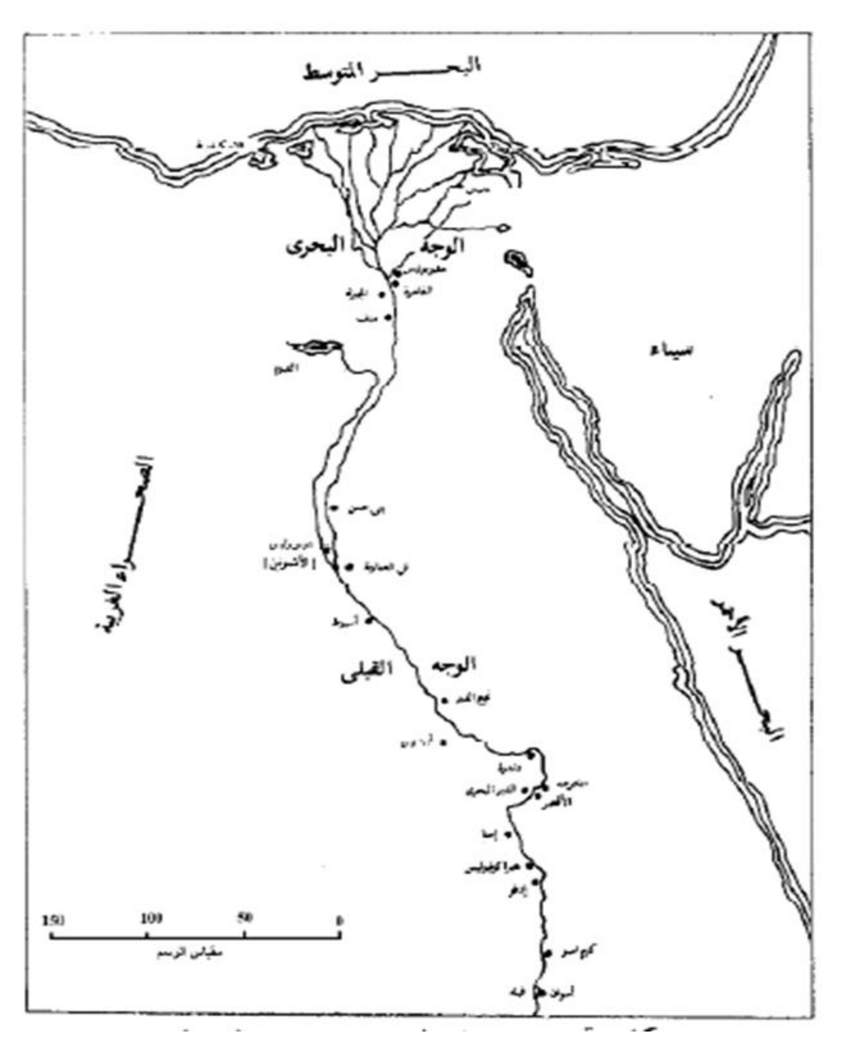
الشكل (١١) تمثال الملكة نفرتيتي .[١]

١ - صالح (عبد العزيز)، جـ ١ ، ص ٥٥٣.



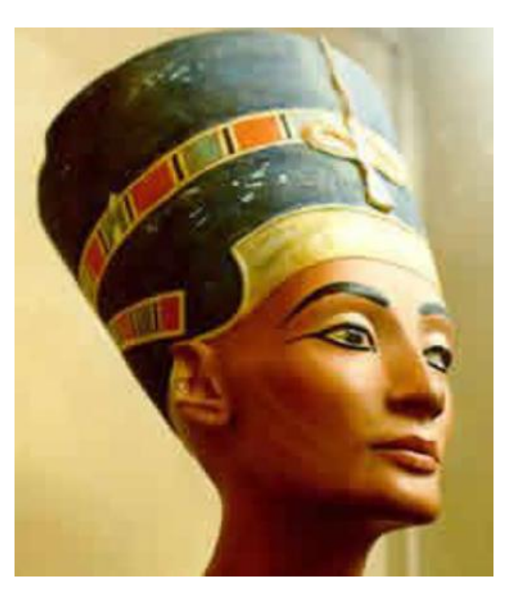
الشكل (١٢) أخناتون وأسرته يتعبدون لآتون .[1]

١ – زرقاني (إبراهيم وآخرون)، ص ٢١٠ .



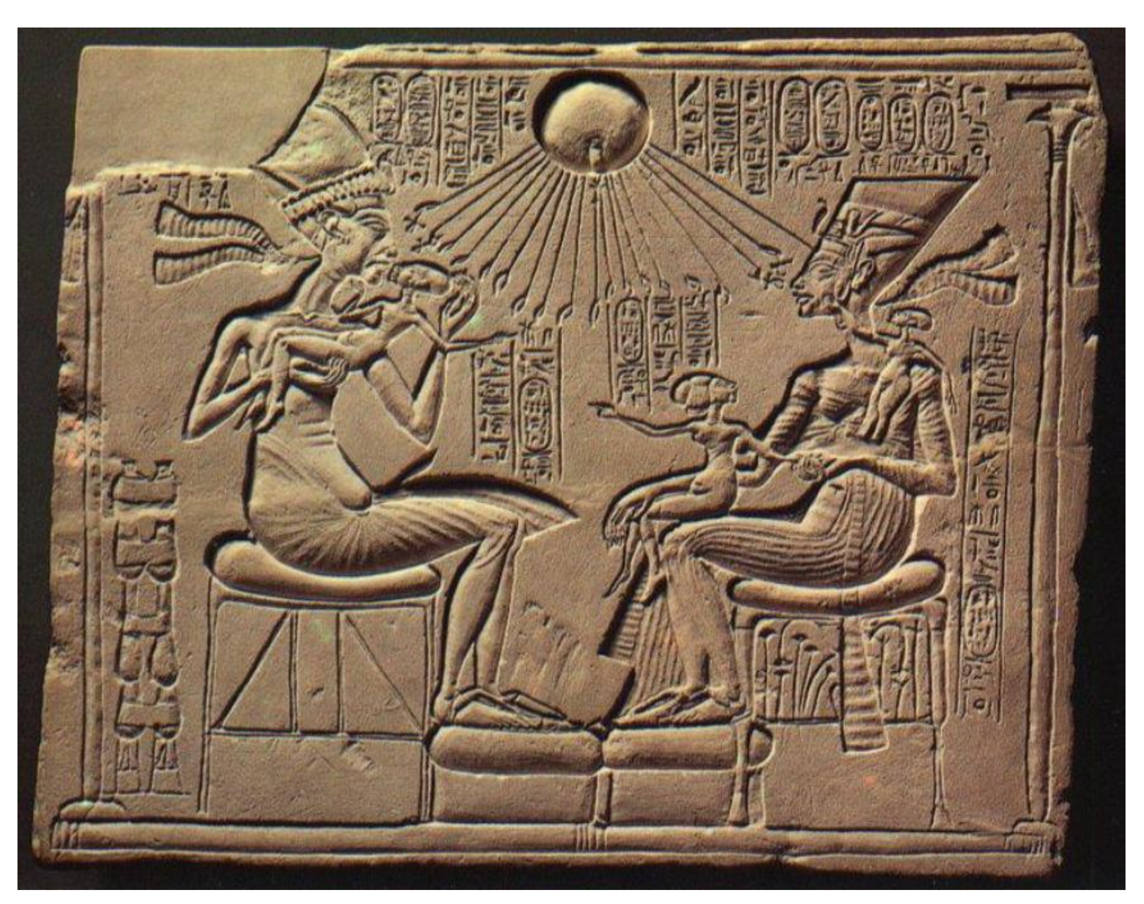
الشكل (١٣) موقع العمارنة في مصر الوسطى .[١]

١ – سامسون (جوليا)، ص ٧٨ .



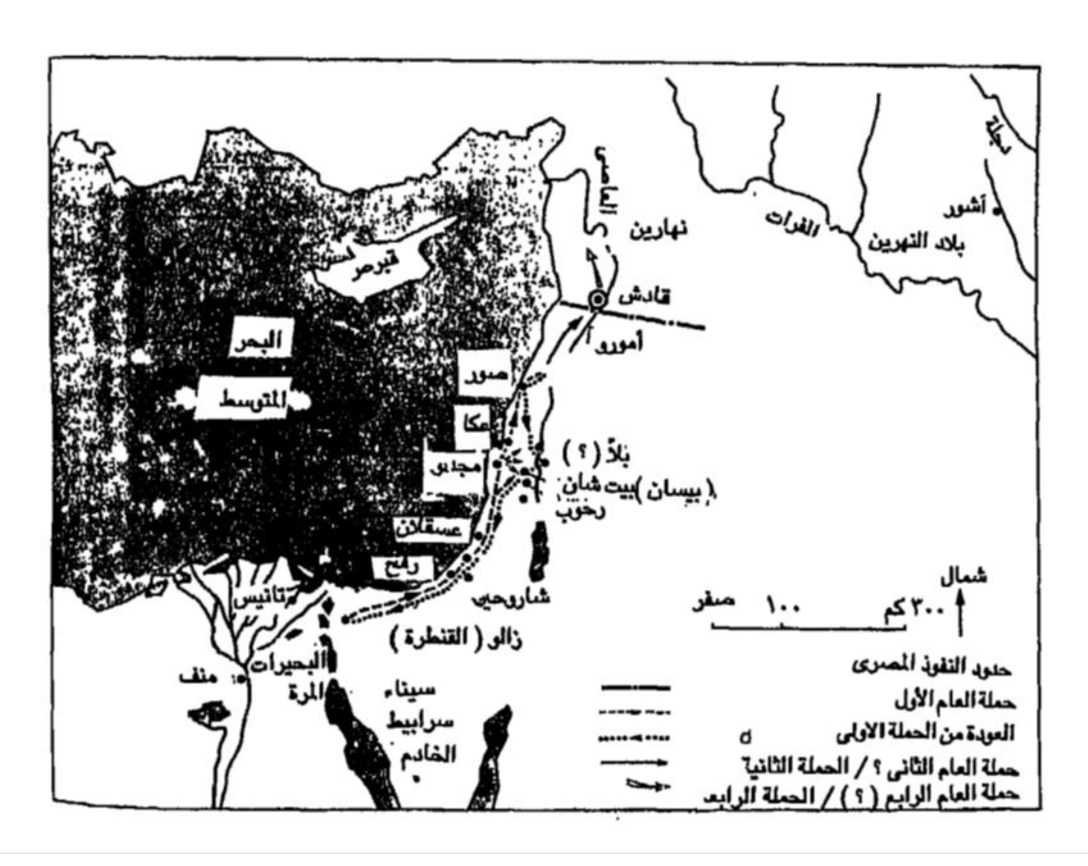
الشكل (١٤) التمثال الرائع لنفرتيتي الموجود حاليا بمتحف برلين .[١]

1- dvd4arab. maktoob. com/showthread. php?t=678714



الشكل (١٥) احدى لوحات التعبد في المنازل من عصر أخناتون .[١]

١- المتحف المصري، القاهرة.



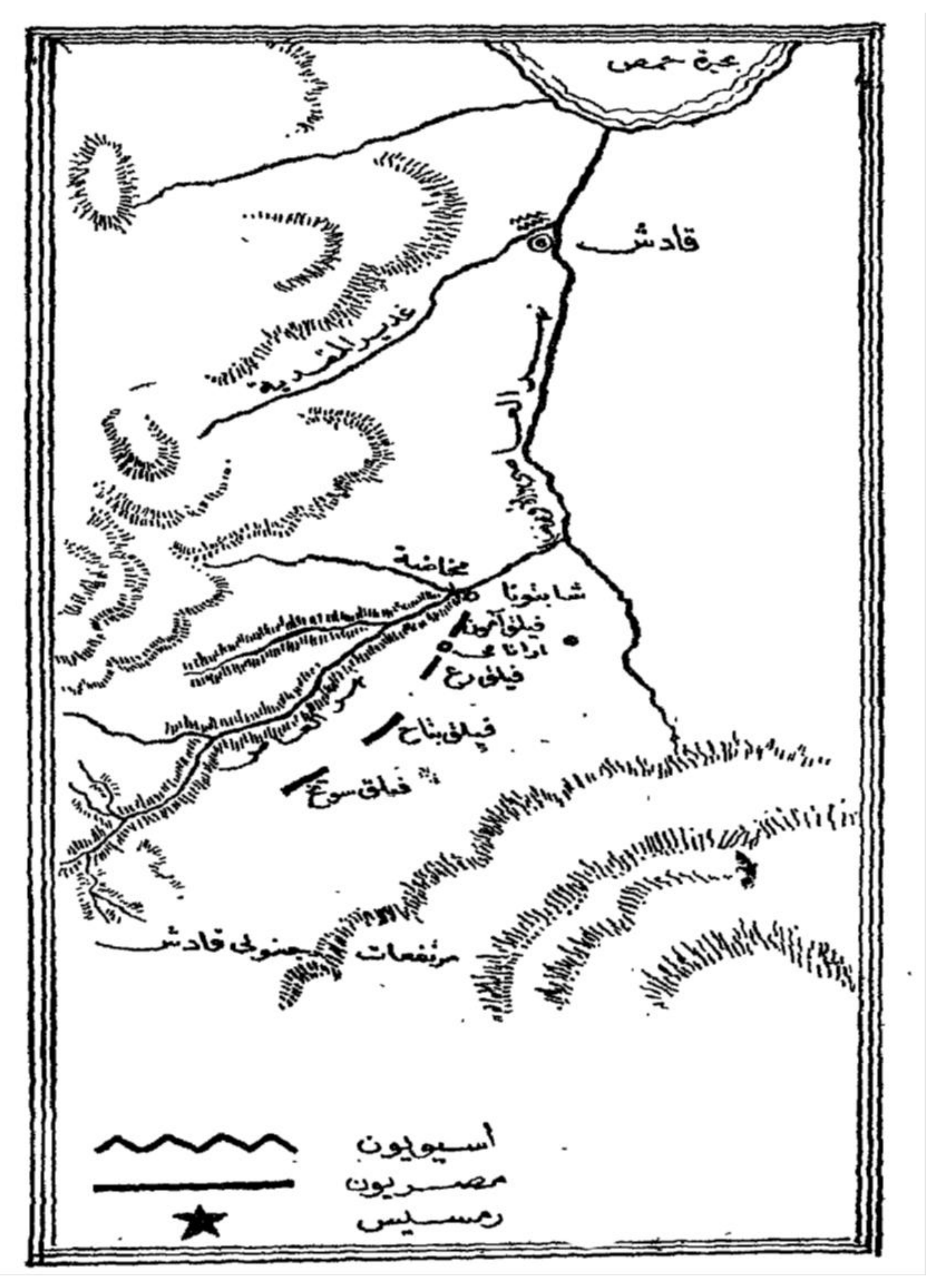
الشكل (١٦) حملات سيتى الأول في الشرق الأدنى .[1]

١ – جريمال (نيقولا)، ص ٣٢٢ .



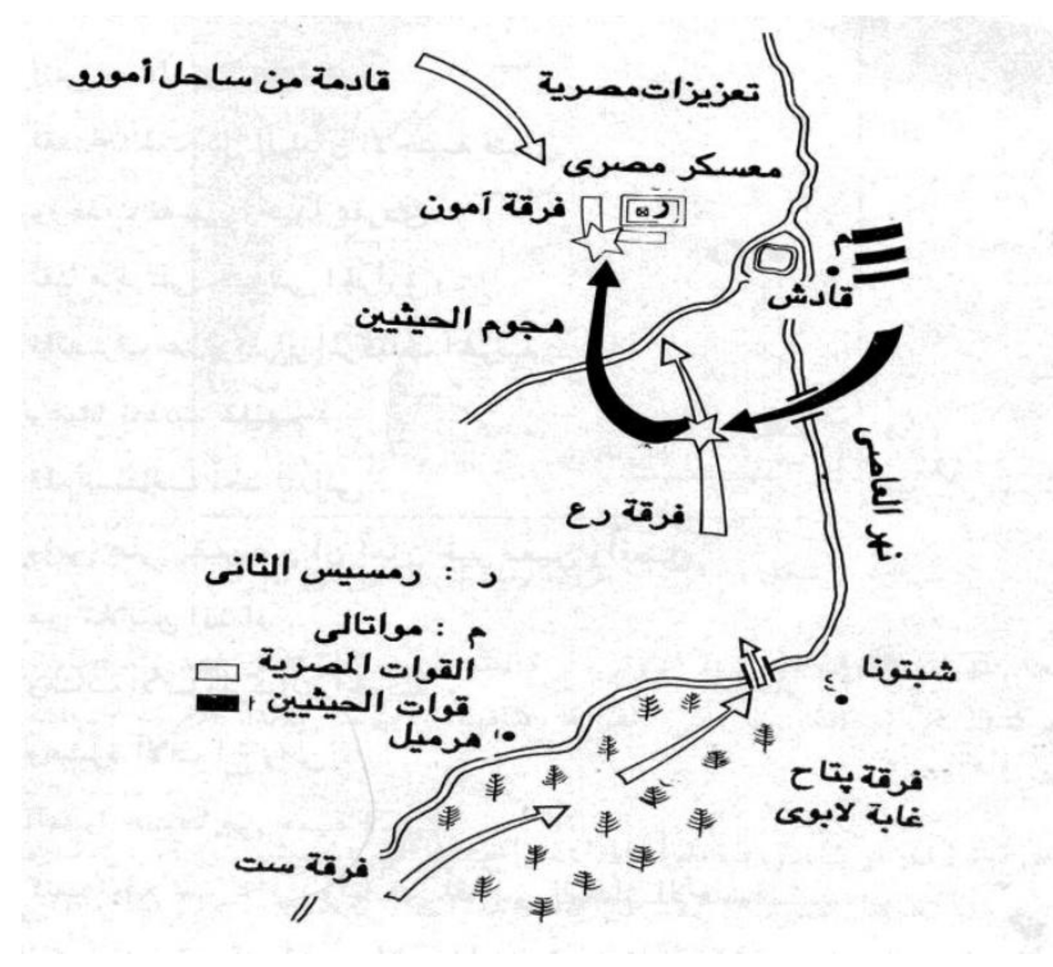
الشكل (١٧) تمثال الملك "رمسيس الثاني" .[١]

١- متحف تورين ، نقلا عن موقع www.sachmet.ch



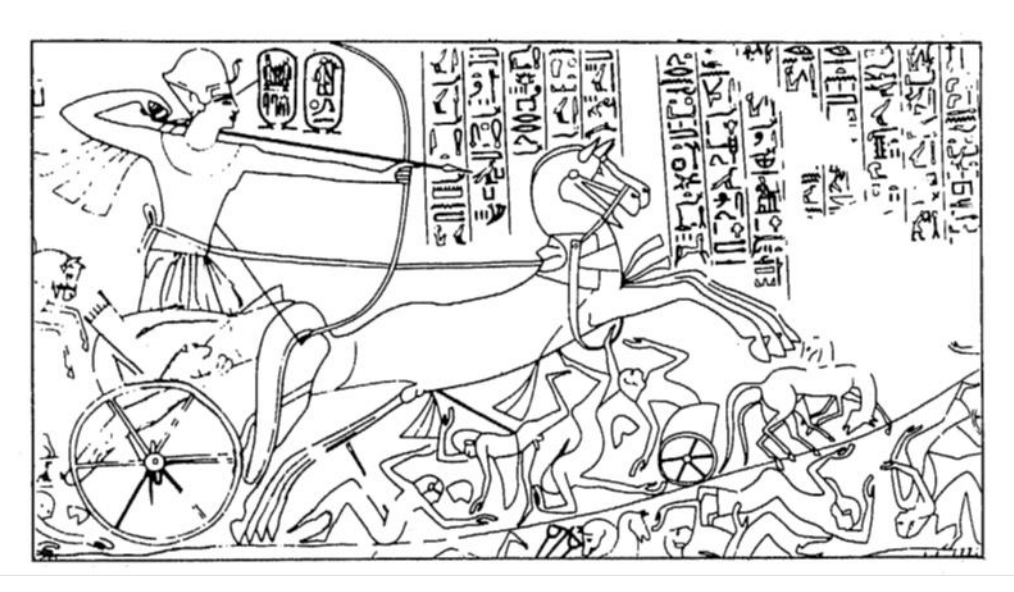
الشكل (١٨) خريطة تبين فرق الجيش المصري استعدادا لمعركة قادش .[١]

١ – زكي (عبد الرحمن)، ص٢٠٥.



الشكل (١٩) معركة قادش، تحركات الجيوش .[١]

١ – جريمال (نيقولا)، ص ٣٣٢.



الشكل (٢٠) رعمسيس الثاني وهو يسحق أعداءه من الحثيين في موقعة قادش .[١]

١ - السويفي (مختار)، ص ١٢٦ .

فهرس الأشكال والخرائط

قائمة بأهم المصطلحات

المصطلحات باللغة الإنكليزية	المصطلحات باللغة الفرنسية	المصطلحات باللغة العربية
Kumarbi	Kumarbi	كوماربي وتعني ملحمة للحوريين
Huradi	Huradi	خُرَدي وتعني الجندي اليقظ
Nim	Nim	نم وتعني النجد المرتفع
Ankh	Ankh	عنخ وتعني رمز الحياة
Maat	Almaat	الماعت وتعني الحقيقة
Huvaja	Huvaja	حويزة تعني إقليم خوزستان
Mariano	Mariano	الماريانو وتعني مقاتلي العربات

قائمة بالمختصرات

EA EL – Amarna.

JAOS Journal of American Oriental , 1960.

URK Urk., Seth, K., Urkunden des Alten Reichs,Leipzig, 1903.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المراجع العربية

١– أبو بكر (عبدالمنعم)، النظم الاجتماعية من تاريخ الحضارة المصرية الفرعوني، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، د.ت .

٢– أبو بكر (عبد المنعم)، محاضرات في تاريخ المصري القديم، مطبعة شبرا، القاهرة، ١٩٤٠م.

٣– أبو بكر (عبد المنعم)، أخناتون، القاهرة، ١٩٦١ .

٤– أحمد (عزالدين اسماعيل)، تاريخ الجيش المصري في عصور ما قبل التاريخ، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٥– إبراهيم (نجيب ميخائيل)، مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ١، ط٢، دار المعارف، ١٩٥٨م .

٦– إسماعيل (حلمي محروس)، الشرق العربي القديم وحضاراته، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧م .

٧– إسماعيل (فاروق)، مراسلات العمارنة الدولية، دار إنانا، دمشق، ٢٠١٠ م .

٨– أحمد (محمود عبد الحميد)، تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، جامعة دمشق، ١٩٩٦م .

٩– أحمد (محمود عبدالحميد)، سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ، جـ ١، مطبعة ابن حيان، دمشق، ١٩٨٥.

١٠– أحمد (عزالدين اسماعيل)، تاريخ الجيش المصري في عصور ما قبل التاريخ، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١١– الأحمد ورضا (سامي سعيد جواد الهاشمي)، تاريخ الشرق الأدنى القديم ايران والأناضول، مطابع التعليم العالي، بغداد، د.ت.

١٢– أديب (سمير)، تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة الاسكندرية، ١٩٩٧م .

١٣– أديب (سمير)، موسوعة الحضارة المصرية القديم، دار العربي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٤– الجبالي (هشام)، تأسيس الامبراطورية، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٥– الحلو (عبد الله)، سوريا القديمة، مطبعة الف باء، ط١ ، دمشق، ٢٠٠٤م.

١٦– الحلو (عبد الله)، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، دار بيسان، ط١، بيروت، ١٩٩٩م .

١٧- السعدي (حسين)، في تاريخ الشرق الأدنى القديم العراق – إيران – آسيا الصغرى، جـ ٢ ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م .

١٨- السعدي (حسن محمد محي الدين)، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١م .

١٩- السويفي (مختار)، أم الحضارات، جـ ١، الدار المصرية اللبنانية، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٩ م .

٢٠- السويفي (مختار)، مصر القديمة، تقديم محمد جمال الدين مختار، دار المصرية اللبنانية، ط١ ، القاهرة، ١٩٩٧م .

٢١- الأنصاري (ناصر)، المجمل في تاريخ مصر، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٢- السيد (رمضان)، تاريخ مصر من بداية الأسرة الخامسة عشرة حتى دخول الاسكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ ق.م ، جـ ٢ ، هيئة الآثار العامة، القاهرة، د.ت .

٢٣- باقر(طه)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جـ ٢، بغداد، ١٩٧١ م .

٢٤- باقر (طه وآخرون)، تاريخ العراق القديم، جـ١، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠م.

٢٥- بدوي (أحمد)، موكب الشمس، جـ ٢ ، مطبعة لجنة التأليف، ط٢، القاهرة، ١٩٥٥م .

٢٦- بركات (أبو العيون عبد العزيز)، معالم تاريخ مصر القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠١ م .

٢٧- توفيق (سيد)، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢٨- حسن (أسامة)، مصر الفرعونية، دار الأمل، ط١، القاهرة، ١٩٩٨ م.

٢٩- حسن (سليم)، مصر القديمة، جـ ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٠ م

٣٠- حسن(سليم)، السيادة العالمية وأقدم عقيدة للتوحيد، جـ ٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

٣١- دلو (برهان الدين)، حضارة مصر والعراق، ط١، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٩م .

٣٢- رشيد (فوزي)، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد، الموسوعة الذهبية، ط١، بغداد، ١٩٩١م .

٣٣- زايد (عبدالحميد)، جـ ١، مصر الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢ م .

٣٤- زايد (عبدالحميد)، مصر الخالدة، جـ ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٢ م .

٣٥- زايد (عبد الحميد)، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.

٣٦- زرقاني (إبراهيم)، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، د.ت .

٣٧- زكي (عبدالرحمن)، الجيش في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٧م .

٣٨- سعد الله (محمد علي)، في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر - سورية القديمة، جامعة الزقازيق، القاهرة ، ٢٠٠١.

٣٩- سعد الله (محمد علي)، في تاريخ مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠١م .

٤٠- سعيد (خليل)، معالم من حضارة وادي الرافدين، الدار البيضاء، ١٩٨٤

٤١- سليمان (توفيق)، دراسات في تاريخ غرب آسيا وشمال القديمة منذ أقدم العصور وحتى عام ١١٩٠ ق.م، دار دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

٤٢- سليمان و الفتيان (عامر واحمد مالك)، محاضرات في التاريخ القديم، مطابع جامعة الموصل، الموصل، ١٩٧٨

٤٣- سليم (أحمد أمين)، تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر وسورية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م .

٤٤- سليم (أحمد أمين)، تاريخ العراق - ايران - آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م .

٤٥- سليم (أحمد أمين)، دراسات في تاريخ اشرق الأدنى القديم (مصر.العراق.إيران)،دار النهضة العربية، الإسكندرية ، ١٩٩٨م.

٤٦- سوسة (أحمد)، مفصل العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية للطباعة، ط٥، بغداد، ١٩٨١م.

٤٧- سيد (عبد المنعم عبد الحليم)، حضارة مصر الفرعونية، جـ ٤ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م .

٤٨- سيف الدين (ابراهيم نمير و آخرون)، مصر في العصور القديمة، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٨م .

٤٩- صالح (عبد العزيز)، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، جـ١، مكتبة الانجلو المصرية، ط٢، ١٩٧٣م .

٥٠- طبوزادة (زكية يوسف)، تاريخ مصر القديم، القاهرة، ٢٠٠٨ م .

٥١- عبد الحليم (نبيلة)، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، الإسكندرية ، ١٩٨٣م .

٥٢- عبد العزيز (عادل السيد)، مصر تواجه أول احتلال أجنبي لها في التاريخ، مكتبة الإسكندرية.
٥٣- عثمان (عبد العزيز)، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ١، دار الفكر الحديث، ط٢، لبنان، ١٩٦٧م .
٥٤- عصفور (محمد أبو المحاسن)، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الطباعة الحديثة ، بغداد، ١٩٦٦م.
٥٥- عصفور (محمد أبو المحاسن)، علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى الفتح اليوناني، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٢م .
٥٦- عصفور (محمد أبو المحاسن)، معالم تاريخ الشرق الادنى القديم، مطبعة المصري، الإسكندرية، ١٩٦٨.
٥٧-علي (رمضان عبده)، تاريخ مصر القديم، جـ ١، دار نهضة الشرق، القاهرة، ٢٠٠١ م.
٥٨- علي (رمضان عبده)، تاريخ مصر القديم، جـ ٢، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠١ م.
٥٩- علي (رمضان عبده)، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ايران – العراق، جـ ١، دار نهضة الشرق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م .
٦٠- علي (رمضان عبده)، تاريخ الشرق الأدنى القديم الأناضول – بلاد الشام، جـ ٢، دار نهضة الشرق، ط١، القاهرة، ص ٢٠٠٢ م .
٦١- غزالة (هديب حياوي)، الدولة البابلية الحديثة، مطبعة الأهالي للنشر، ط١، دمشق، ٢٠٠١م .
٦٢- فخري (أحمد)، مصر الفرعونية، مكتبة الانجلو المصرية، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
٦٣- فخري (أحمد)، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الانغلو الأمريكية، ط٢ ، القاهرة .
٦٤- فرزات (محمد حرب)، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر القديمة وحضارتها)، ط٥ ، جامعة دمشق، سورية ، ١٩٩٣م .
٦٥- فكري (وائل)، موجز موسوعة مصر القديمة، جـ ١، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م .
٦٦- فياض (محمد)، المرأة المصرية القديمة، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٩٥م .
٦٧- قدري (أحمد)، المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية١٥٧٠- ١٠٨٧ق.م ، ترجمة مختار السويفي محمد العزب موسى الهيئة المصرية العامة للآثار، القاهرة، ١٩٨٥م .
٦٨- كريم (سيد)، أخناتون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م .

٦٩- محمد علي (محمد عبد اللطيف)، الخوريون وصلاتهم مصر بهم في عصر الأسرة الثامنة عشرة، جامعة الاسكندرية، ١٩٨٦م .

٧٠- محيسن (سلطان)، آثار الوطن العربي القديم (الاثار الشرقية)، جامعة دمشق ، ١٩٨٨م

٧١- مرعي (عيد وحرب فرزات)، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دار طلاس، ط٢، ١٩٩٤ .

٧٢- مرعي (عيد)، اللسان الأكادي، الهيئة العامة للكتاب، ط١ ، دمشق، ٢٠١٢م .

٧٣- مرعي (عيد)، تاريخ بلاد الرافدين، جامعة دمشق، دمشق، ٢٠١٤م .

٧٤- مرعي و عبدالله (عيد وفيصل)، تاريخ الوطن العربي القديم بلاد الرافدين، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ٢٠١٤م .

٧٥- منقار (سامح)، المعجم الوجيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧ .

٧٦- مهران (محمد بيومي)، تاريخ العراق القديم، جامعة الإسكندرية، دار المعرفية الجامعية، ١٩٩٠م .

٧٧- مهران (محمد بيومي)، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ٥، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧م .

٧٨- مهران (محمد بيومي)، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .

٧٩- مهران (محمد بيومي)، بلاد الشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

٨٠- موسى (أحمد رشاد)، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، الهيئة العامة للثقافة، القاهرة ، ١٩٩٨ م.

٨١- نعيم (فرح)، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٥ .

٨٢- نور الدين (عبد الحليم)، دور المرأة في المجتمع المصري القديم، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ١٩٩٥م .

٨٣- هبو (أحمد أرحيم)، تاريخ الشرق القديم (سورية)، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط١، ١٩٩٣م

٨٤- هبو (أحمد ارحيم)، تاريخ الشرق القديم (مصر)، دار الحكمة اليمانية، ط١، صنعاء، ١٩٩٥م.

٨٥- هلال (عاطف)، كتاب الموارد المعدنية وآفاق تنميتها حتى عام ٢٠٢٠ م، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠١ م.

ثانياً : المراجع المعربة

١ - أدولف (أرمان)، ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري، مطبعة الحلبي، د.ت .

٢- ألدريد (سير)، أخناتون، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م .

٣- أوتس (جون)، بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الحلبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠.

٤- إدزارد (أوتو)، الحضارات المبكرة موجز تاريخ السياسي والحضاري لبلاد الرافدين ووادي النيل من أقدم العصور وحتى الألف الثانية قبل الميلاد، ترجمة عامر سليمان، الموصل، ١٩٦٧ .

٥- إيمار (آندريه و جانين ابوابيه)، الشرق واليونان القديمة، ترجمة فريد، ج.داغر، فؤاد، م. أوريحان، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨١م .

٦- برايس (تريفور)، رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم، دار العلوم للنشر، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

٧- برستد (جيمس هنري)، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٠م .

٨- برستد (جيمس هنري)، فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، القاهرة، ١٩٥٦م.

٩- بورت (ديلا)، بلاد ما بين النهرين، ترجمة مارون خوري، د.ت.

١٠- بوزنر (جورج)، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١ م .

١١- ت. ج . جيمز، الحياة أيام الفراعنة، ترجمة أحمد زهير أمين، مراجعة محمود ماهر طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م .

١٢- جاردنر (ألن)، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣ م .

١٣- الجرني، الحيثيون، ترجمة محمد عبد القادر محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧ م.

١٤- جريمال (نيقولا)، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م .

١٥- حتي (فيليب)، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، جـ ١ ، ترجمة جورج حداد، دار الثقافة، بيروت، د.ت .

١٦- دافي (سافيتري)، اخناتون إله الشمس، ترجمة شوقي داود، معرض الشوف الدائم للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م .

١٧- دريوتون و فانديبه (أتيين و جاك)، مصر، ترجمة عباس بيومي، القاهرة، د. ت .

١٨- راتييه (سوزان)، حتشبسوت الملكة الملك، ترجمة فاطمة محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨.

١٩- رايفشتال (اليزابيث)، طيبة في عهد امنحوتب الثالث، ترجمة إبراهيم رزق، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧ م .

٢٠- رو (جورج)، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، بغداد، د.ت .

٢١- ريوردا (كارل)، التاريخ المصور لمصر القديمة، ترجمة ابتسام محمد عبد المجيد، ط١ ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩ م .

٢٢- ساكز (هاري)، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩ م .

٢٣- سامسون (جوليا)، نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، ط٢ ، القاهرة، ١٩٩٨ م.

٢٤- شارف (الكسندر)، تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى بناء مدينة الإسكندرية، جـ١، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٢٥- شتيندورف (ك . سيل) ، عندما حكمت مصر الشرق ، ترجمة محمد العزب موسى ، مكتبة مدبولي ، ط١ ، القاهرة،١٩٩٠م .

٢٦- عبودي (هنري . س)، معجم الحضارات السامية، ط٢، طرابلس، ١٩٩١ م.

٢٧- ف. دياكوف، الحضارات القديمة، جـ١، ترجمة تسنيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، ط١ ، دمشق، ٢٠٠٠ م .

٢٨- فيلهلم (جرنوت)، الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق اسماعيل، ط١، دار جدل، سورية، ٢٠٠٠ م .

٢٩– كلينغل (هورست)، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠ – ٣٠٠ ق.م، ترجمة سيف الدين دياب، دار المتنبي، ط١، دمشق، ١٩٩٨م .

٣٠– كونتنو (جورج)، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٧م .

٣١– لالويت (كلير)، نصوص مقدسة ودنيوية، جـ١، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م .

٣٢– ناتوفيتس (سميسون)، مصر أصل الشجرة، جـ ٢، ترجمة أحمد محمود، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٩٩٠ م .

٣٣– ولسن (جون)، الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، مكتبة النهضة العربية، د. ت.

٣٤– وليم . هـ .. بيك، فن الرسم عند قدماء المصريين، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧ م.

ثالثاً : الدوريات

1– الأحمد (سامي سعيد)، فترة العصر الكاشي، مجلة سومر، عدد ٤٩، بغداد، ١٩٨٣ .

٢– إسماعيل (فاروق)،الحثيون وحملاتهم على سورية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٨١ – ٨٢، ٢٠٠٣م .

٣– باقر (طه)، علاقات العراق القديم، مجلة سومر، جـ ١، مجلد الرابع، ١٩٤٨م.

٤– فيصل (عبدالله)، الأرض والإنسان في ألالاخ في القرنين الثامن عشر والخامس عشر ق.م، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٣٥ – ٣٦، دمشق، ١٩٩٠م.

٥– قابلو (جباغ)، العلاقات السياسية الدبلوماسية في المشرق العربي القديم " الزواج السياسي "، مجلة دراسات تاريخية، العددان /٧٩–٨٠/ أيلول – كانون الأول /، ٢٠٠٢م .

6 – The Journal Of American Oriental , 1960 .

رابعاً : المراجع الأجنبية

1. Astour, M, Mitanni, The Oxford Encyclopedia , vol 1, 2001.
2. Astour, M, Semitic Elements in the kumarbi myth an onomastica in Guiry , JNES. 2 (1968).
3. Astour, M, Hattusilis-Halab and Hanigalabat, JNES. 31 (1972).
4. Artzi , Pinhas ,The influence of political marriages on the internayional relations of amarna age , editions recherché sur , les civilizations , Paris , 1987.
5. Beal, R , Studies in Hittite history , JCS, 35 (1982).
6. Bendect, C, Urartians and Hurrions, JAOS, 1960.
7. Bertman , Stephen , Ancient Mesopotamia , New York , 2003.
8. Breasted, J. H , Ancient records of Egypt, Chicago, vol 2, 1962.
9. Breasted, J, A. history of the Ancient Egyptians, London ,1915.
10. Brihaye (pierrick) , Thoutmosis III le conquerant dun empire asiatique , Ie monde la bible , Paris , 1990 , numero 78.
11. Bryan, B. M , The reign of Thutmuse IV , London , 1990.
12. Collins,B, G , Hattusili I the lion king , JCS , 1998.
13. Cormack, G , Egypt in Asia ,London, 1908.
14. Dale , E, Marriage and diplomacy , London , 2005.
15. David & Cine , Eric , Amenhotep lll , Perspectives On his reign university of Michigan , 1998.
16. Donadoni , S, L ’Art égyptien, 1993.
17. Falukner, R , The Battle of Megiddo, London, 1942.
18. Faulkner ,R ,O ,The Euphrates campaign of Tuthmosis III ,Vol 32, London , 1946.
19. Finkelstein, J, Mesopotamia, JNES , 1962.
20. Gardiner ,A , The defeat of the Hyksos by kamose ,JEA , vol III , ,London, 1916.
21. Gelb, J , Hurrians and Subaians studies in Ancient oriental civilization, Chicago press, 1944.
22. Giveon, R, The Thutmusis IV and Asia, JNES. 28 (1969).
23. Goedicke , H , The battle of kadesh areassment , mary land , 1985 .
24. Grimal , N, A history of ancient Egypt, Oxford, 1994.
25. G.S.Goodspeed, AHistory of the Babylonians and Assyrians. (New York,1902).
26. Gurney, O, R , Anatolia c 1600-1380 B. C , Cambridge, 1966.

27. Guterbock, G , Ahurro Hittite hymn to istitar , JAOS , 1983.
28. Helck, Wolfgang, Einfluss der Militarfuhrer in der 18 Agyptischey Dynasty , Leipzig ,1939.
29. H.Nelson, The Ancient History of the Near East (Beirut, 1917)
30. Hogarth , D , G, Egyptian empire in Asia , JEA , vol I , London , 1914.
31. Hrozny , Ancient History of Western Asia (London: 1966) .
32.J.A. Brinkman ,Materials and studier for Kassite history , vol 1 , Chicago , 1976.
33. Jaquier, G, Histoir de civlisatian Egyptien , Paris , 1930.
34. J. Finegan, Light from the ancient past, vol, 1969.
35. J.O.Thomson, History of ancient Geography (Cambridge, 1948).
36. Kuhrt, A , The Ancient near East 3300-330 B.C, vol I, London, 1995.
37. Larsen, M , The old Assyrian colonies in Antolia , JAOS , 1979.
38. Leick , Gwendolyn , the Babylonian world , New York , 2007.
39. Leick ,Gwendolyn Who is who in the Ancient Near East , New York , 1999.
40. Liverani, M , Le lettere di el-Amarana paideia, Brescia , 1999 .
41. Monica, M. D, Thoutmosis III leplus grand des pharaons some pauque sarie satombo, Paris, 1991.
42. Mumford, G, Syria-Palestine, the oxford encyclopedia of ancient Egypt, the American university in Cairo press, vol 3, 2001.
43. Murnane, W , Arhetorical history the beginning of Thutmose III s first compaign in western Asia , JARCE. xxvi (1989).
44. Murnane ,W , The road to kadesh , Chicago , 1990.
45. Nigel stillman and nigel tallis , Armies of The Ancient near east 300- BC to 539 BC , England , 1984.
46. R.A.Grossland, Immigrants from the north. The problem of the Indo –Europeans, in CAH, Vol.1,Part.2, 1971.
47. Rainy ,A, Amenhotep II Campaign to Takhsi , 1971.
48. R.C.Thompson,The Kassite conquest, in CAH,Vol.1(Cambridge:1974)
49. Redford, D , Agate inscription from Karnak and Egyption involvencentt in western Asia during the early 18 dynasty , jaos 99 , 1979.

50. Redford , D ,b ,The wars in Syria and Palestine of Thutmose III, Boston, 2003.
51. R.Ghirshman , Iran (London ,1954).
52. R.W.Rogers, A History of Babylonia and Assyria,Vol.2(New York, 1900).
53. Samuel A. B . Mercer , Tell el – Amarna Tablets , vol 1 , Toronto.
54. Saunerons , Serge , Les prétres de l áncien Egyept , Paris , 1957 .
55. Sivia Anne Sheafer , Ramses the great , New York , 2009.
56. Snell, E, Life in the Ancint near East , Landon, 1997.
57. Soderbergh, S, The Hyksos rule in Egypt, 1951.
58. Spalinger , A, J, the northern wars of seti I an intergration study , jarce , XV ,Boston, 1978.
59. Spalinger, Anthony ,J, War in ancient Egypt ,London, 2005.
60. Spalinger, A ,J, A new reference to an Egyptian campaign of Thutmose III in Asia, JNES. 37 (1978).
61. S.Smith , Early History of Assyria to 1000 B.C (London: 1928).
62. The Cambridge ancient history , vol 2, part 1 ,Cambridge university press, 1988.
63. Vandier , Jacques , la religion égyptienne , Paris.
64. Wilhelm, G , Medizinishe omena aus Hattusa in Akkadischer sprach, JNES. 56 (1997).
65. Wilhelm, G, The kingdom of Mitanni in second millennium upper Mesopotamia in (jack msassom) ed, Civilizations of the Ancient near East, vol 2, 1995.
66. Willim L . Moran , The Amarna Letters , paris , 1987 .
67. Yeivin , S, h , The Third district in Thoutmosis III Palasteno Syrian Towns , 1950.

Summary of the Subject

This subject handles an important stage of old Nearest East in general and old Egypt in particular . whereby , despite being occupied by the Hyksos , it could expel them , to implement expansion policy outside Egypt and to affix itself as a great force all over the area ; Syria was its course , and that was of a great effect for it to enter in to correlation with the Mesopotamia countries and the Hittites, and the Hurrians Mittani States. In the beginning , the Hittite exploited the Egyptian resolution to get rid of the Hyksos in order to occupy the Syrian North and to reach the deep of the Euphrates countries and align with the Kssite who seized the rule bonds of all Babylon , with the beginning of the Fifteenth Century B.C.; some change began to have effect on forces scales where the Hittite Force hugely retreated due to the struggle for authority, what paved the way to the existence of Hurrians Mittani State , who widely expanded in the Syrian North to compete with Egypt on Syria , and this struggle continued , but the seventeenth campaigns of Tuthmosis III on Syria had exploited their ambitions , and Mittani exploited his death to resume its projects in the area, whereas the arrival of Amnhboteb II to the authority put the positions in other direction, which was conciliation and which was adopted by Tuthmosis IV . so soon as he seized the authority which was accompanied by the appearance of the Hittite threat caused the change in the Egyptian Foreign Policy as he took the conciliation course with Mttani to face the Hittite threat. During the reign of Imnhothep III correlations went on as he strengthened his relations with Mittani and the Euphrates countries through lineage and presents and delegations exchange, what was of great effect on Egypt and its Economic Wealth. But, his indifference towards the internal and external affairs of the country reflex on the Egyptian influence in Syria which became in form only and status went on worse and worse in the realm of Imhothep IV (Akhenaton) who tried to seize authority and carry on with the correlations with the Euphrates countries , among them Assyrian and Babylon and Mittani , but nevertheless it was not the same power as the days of his father because Akhenaton left that for a new doctrine in an attempt to unify Egypt with the neighboring countries, but he couldn't achieve that. The Horry fell down by the Hittite attacks and the Assyrians exploited the fell down of the Horry to establish the Mid Assyrian State And Hittite occupied Syria due to the weakness of Egyptian influence in it and to the fell down of the Hurrians, to reinforce occupation of the Syrian North and the Euphrates countries, what caused their entrance in to a struggle with Egypt reached its peak point during the realm of Ramses II who fought the battle Qadesh against the Hittites which was finalized by a treaty held up by align agreement led to matrimony between the Hittite and the Egyptian and sturdy relations went on up to the fall of the Hittite state by the sea peoples



Syrian Arab Republic

Damascus university

Faculty of letters and Humanities

Department of History

Mesopotamian-Egyptian relations between

1550- 1200 BC

A Thesis of Submitted to obtain A master degree in history of Ancient Near East

by
Reham Riad meska

supervision by
Dr. Lina Mohsen

١٤٣٨ / ٢٠١٧